

معالم الوصول

بشرح

الستة أصول

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب المشرقي النميمي

١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ

- رحمه الله تعالى -

شرحها فضيلة الشيخ

فلاح إسماعيل مندار

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

أعنتى بها

سالم بن محمد الجزائري

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

قال شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في رسالته الأصول الستة:

[المتن]

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة]

من أعجب العجائب، وأكبر الآيات الدالات على قدرة الملك الغلاب: ستة أصول، بيّنها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام، فوق ما يظنّه الظّانون؛ ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكّاء العالم، وعقلاء بني آدم إلا أقلّ القليل.

[الشرح]

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد: قبل الشروع فيما قرأه أخونا أحبّ أنبه على ملاحظة هنا -أو ملحوظة- أولا الذين اجتهدوا نشكرهم حقيقة، من اجتهد في إقامة هذه الدورة وكان سببا فيها فنسأل الله عز وجل أن يجزيهم عنا وعن الحضور كل خير.

لكن أقول: المذكرة التي كتبوا عليها مذكرة الأصول الستة هذه ليست بمذكرة؛ بل هذه رسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فأرجو أنما تصحح.

ثم كتبوا تحت في آخر سطرين منها شرح الشيخ فلان بن فلان، وهذا خطأ. الذي يرى الآن يظن أن هذه المذكرة فيها الشرح، وليس فيها شيء من الشرح؛ يعني لو كتبتم طبعتم على هذه الصورة بمناسبة الدورة التي تعقد في مسجد كذا بمنطقة كذا ويشرح فيها فلان، ما فيها بأس، أما إيهام الناس بأن لي شرحا على هذا، شرحا مطبوعا أو شرحا مكتوبا والأمر ليس كذلك. أنا لي شرح أو أكثر من شرح، لكن كلها لعله مسجل ومشافهة أما كتابة لا، فأرجو التنبيه.

الرسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رحمة واسعة، هو الإمام كما ذكرتم، وهو شيخ الإسلام، وهو الإمام المجدد رحمه الله وحقيقة من حقه علينا أن نعتقد أن له منة في أعناقنا جميعا؛ إذ بسببه هيا الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أمر رجوع الناس إلى التوحيد في هذه الجزيرة - في جزيرة العرب - فالجزيرة كانت تضرب بأطنابها وكانت تعجّ بصور كثيرة من صور الشرك والوثنيات والجاهليات وغيرها من أمور الضلالة والانحراف عن دين الله - عز وجل - ومناقضة التوحيد لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ومنافاته.

فهياً الله - عز وجل - هذا الرجل في القرن الثاني والثالث عشر الهجري؛ فأعاد الناس إلى أمر التوحيد

وجدّد لهم أمور التوحيد، ما جاء بشيء جديد، وإنما أقول: طُمست أعلام التوحيد وانتشرت صور البدعة والضلالة والتقليد الأعمى والوثنيات والجاهليات، فهياً الله عز وجل هذا الرجل فكان سبباً، فله منة في أعناقنا يجب أن نحفظها له ونترحم عليه، فرحمه الله رحمة واسعة.

ومن توفيق الله - عز وجل - لهذا الرجل لما علم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إخلاصه أن هياً له عددا عظيما من طلاب العلم أخذوا عنه هذا العلم، فكانوا هم الثّواة الذين تولّوا أمر تسيير الجيوش وغيرها لنشر التوحيد وإعادة الأمة إلى التوحيد.

ولما علم الله تعالى إخلاصهم في هذا الأمر هياً لهم السلطان محمد بن سعود، فدخل معهم بعد الإيمان بدعوتهم، فجعله الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نصرة لهذه الدعوة، وما منّ به اليوم من معرفة التوحيد التي وصفها - رحمه الله رحمة واسعة - في هذه المقدمة اللطيفة في هذه الرسالة الستة الأصول، أقول: يذكر أنها قد بُيّنت بيانا واضحا للعوام فكيف بطلاب العلم وغيرهم؛ ولكن مع ذلك كما ذكر أيضا (غلط فيها كثير من أذكى العالم، وعقلاء بني آدم) فيسر الله - عز وجل - لنا معرفة هذا الأمر والتوحيد ونشأنا عليه ونأخذ من هذا العلم، فنحمد الله - عز وجل - على هذا التوفيق والتسديد والمنة - كما قلت - بعد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - والفضل بعد الله - عز وجل - لأولئك الرجال وعلى رأسهم الإمام محمد رحمه الله رحمة واسعة.

يقول - رحمه الله - في هذه الرسالة اللطيفة الصغيرة في مبناها والعظيمة في معناها الستة أصول، ودائما نجد كثيرا من كتابات الإمام أنه يعتمد على الأصول ويكتب في الأصول، والأصول هي الأمور التي تُبنى عليها كثيرا من مسائل الدين ومسائل الدنيا، فهذه الرسالة جعل فيها ستة أصول لو التزمها الناس فهما وتطبيقا علما وعملا هياً الله - عز وجل - لهم حياة كريمة في الدنيا وحياة كريمة في الآخرة.

هذه الأصول الستة قدّم لها بهذه المقدمة فيقول رحمه الله: (من أعجب العجائب، وأكبر الآيات الدالات على قدرة الملك الغلاب: ستة أصول، بيّنها الله تعالى بيانا واضحا) وهذا ولا شك فيه، فالله - عز وجل - بين لهذه الأمة أمور دينها وأمور دنياها، والبيان منه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كان واضحا جلياً، ما ترك خيراً، ولا ترك ما يحمل الناس على الكمال في الدنيا والآخرة إلا وبينه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أعظم بيان. والمبين هو محمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وكلّنا يقر ويعترف ويؤمن بإمانا جازما أنه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بين ما بعثه الله - عز وجل - به بيانا تاما بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة؛ بل لن تجد البشرية ناصحا كمحمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، جميع الأنبياء وجميع الرسل بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا أممهم؛ ولكن محمداً - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فاقهم في ذلك كثيرا، وهو سيدهم وهو أولهم، وهو خاتمهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمحمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ما ترك خيرا إلا ودل الأمة عليه، ولا ترك شرا إلا وحذر الأمة منه، وهذا أمر واجب أوجبه الله - عز وجل - عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فالبيان كان غاية في الوضوح والمعرفة لدرجة أنه يدركه العوام، هذا مراد الشيخ - رحمة الله عليه - قال: **(بيانا واضحا للعوام)** والعامي لا يعرف كثيرا من أصول الاستدلال ولا يعرف المقدمات والنتائج التي تبنى عليها فإذا كان الأمر واضحا جليا ففقهه العوام.

لذلك أقول: إذا كان العوام يفهمون هذا الأمر، وفهموا توحيد الله عز وجل، وفهموا هذه الأصول، وهم عامة، فغيرهم أولى وأحرى بالفهم والإدراك لهذه الأصول. **(فوق ما يظنه الظانون)** يعني من أساليب التوضيح والبيان عن طريق محمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يعني في الكتاب والسنة.

ثم يقول: **(بعد هذا)** أي بعد هذا البيان الذي كان واضحا جليا يدركه العوام، يقول: **(بعد هذا غلط فيها كثير من أذكىء العالم)** أذكىء العالم إشارة منه - رحمه الله - إلى كثير ممن يشار إليهم في مذاهبهم ممن يوصفون بأنهم من أهل العلم، ولكن فاتهم هذه المسائل التي بينها الله - عز وجل - غاية البيان ووضحها نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - غاية الوضوح، فأدركها العوام، وغابت هذه الأصول الواضحة البينة عن أذكىء العالم، وذلك لأنهم ما اعتمدوا على توفيق الله - عز وجل -، وما أرجعوا الأمر إلى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -؛ ولكنهم اعتمدوا أولا وآخرا على ذكائهم وعلى عقولهم، فكانت هي السبب في إغوائهم وفي صدهم عن دين الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وعن هذه الأصول.

نعم، إذا الإنسان اعتمد على عقله وعلى ذكائه، فكما قيل: فأول ما يقضي عليه اجتهاده، الاجتهاد والعلو في إعطاء هذه العقول وفي قضاء هذه العقول على كلام الله وعلى كلام رسوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وعلى نور الوحي، هو السبب الأول والسبب الأعظم في صد الناس عن دين الله - عز وجل -، وعن معرفة الحق الذي أراده الله عز وجل، فهؤلاء الأذكىء كثير منهم في مذاهبهم هم أرباب المذاهب، وهم علماء المذاهب عند أهلهم، وكذلك **(عقلاء بني آدم)** إشارة منه أيضا إلى كثير من الذين يوصفون بأنهم أصحاب المدرسة العقلية، من الذين يصفون أنفسهم بأنهم يعتمدون على العقل، وقد قدموا عقولهم - والعياذ بالله - على نور وحي الكتاب والسنة، فكانت هذه العقول هي السبب في مهلكتهم وفي صدهم عن دين الله عز وجل.

ثم أشار رحمه الله؛ أي لم يبق من خلق الله عز وجل **(إلا أقل القليل)** الذين اعتمدوا على نور وحي الكتاب وعلى نور وحي سنة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثم يبدأ بعد ذلك رحمه الله، بعد هذه المقدمة التي يفهم منها مجانبة العاقل، ومجانبة مريد النجاة، من

أراد النجاة في دين الله عز وجل، ومن أراد العصمة في دين الله عز وجل، فأول ما يجب عليه أن يجتنب وأن يتعد عن مناهج أولئك الأذكياء وأولئك العقلاء الذين يصفون أنفسهم، وهذا الوصف أقول ليس لازما لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في أولئك الناس؛ ولكن هكذا اشتهروا أو بهذه الأوصاف والألقاب قد اشتهروا، فهو إنما يذكرهم بما قد اشتهروا به بين الناس وبين أتباعهم على وجه الخصوص؛ لأنه رحمه الله في جل كتاباته يكون غاية في الأدب وغاية في التودد وغاية في النصح لأولئك الذين انحرفوا عن دين الله عز وجل؛ لأنه إنما يريد نصحهم ويريد رجوعهم إلى الكتاب وإلى طريق نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فأول واجب على مريد النجاة أقول: هو بجانب منهج أو مناهج أولئك الأذكياء وأولئك العقلاء من أهل البدع والأهواء، الذين قدموا عقولهم والعياذ بالله على طريقة الكتاب، وجعلوا عقولهم تقضي قضاء محكما على أمر الكتاب وعلى أمر سنة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وطريقة الصحابة. والطريق الصحيح سيينها في الأصول الستة التي جعلها عنوانا لهذه الرسالة.

(إلا أقل القليل) والقلّة إشارة منه أيضا لأن الأصل في معرفة الحق والتزام الحق هو القلة دائما في دين الله عز وجل، والله - عز وجل - حكى عن الأمم السابقة، وعن كثير من أمم الأنبياء وأقوام المرسلين الذين بعثهم الله - عز وجل - إليهم، فكان غالب إجابة تلك الأمم والأقوام الإجابة منهم لا تكون إلا من القليل منهم.

فهذا نوح - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ذكر الله - عز وجل - أنه مكث يدعو الناس ألف سنة إلا خمسين عاما؛ يعني تسعمائة وخمسين سنة يدعو الناس إلى الله - تبارك وتعالى - ، وما ترك وسيلة ولا سببا من أسباب الدعوة وإجابة الناس إلا وسلكها: الإعلان، الإسرار والجهر في الأنديّة، في البيوت، في المنتديات، في كل مكان، كان يدعو إلى توحيد الله عز وجل، ثم يذكر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يقول: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، فالقلة أيضا من الأمور ومن العلامات التي نعرف بها الحق في أغلب الأحيان، في الصراع بين الحق والباطل؛ بين ما عليه الأنبياء والرسل - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وسائر الناس الذين يستعملون عقولهم ويُرجعون الأمور إلى ذكائهم وعقولهم، الأصل في معرفة الحق والتزام الحق ما عليه القلة لا الكثرة وهذا كثير في نصوص الكتاب والسنة ﴿وَأِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فالقلة عليها المدار وهي من العلامات التي يستشهد بها.

كذلك في أحاديث النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يقول: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا

واحدة»،^(١) أنظر أين الكثرة وأين القلة؟ فالكثرة دائما تبتعد عن المنهج الحق؛ لأن الأصل في الإنسان - كما ذكر كثير من أهل العلم ومشايخنا رحمهم الله - أن الأصل في الإنسان أنه يرجع الأمور إلى قناعاته العقلية وإلى قواعده المنطقية التي اقتنع وآمن بها إيمانا جازما.

دائما ننظر إلى الناس، وننظر إلى الأمور، وننظر إلى الأحوال بمنظار عقولنا والأقيسة المنطقية العقلية التي نؤمن بها وأنها هي الحق.

فدائما كل ما نقتنع به يكون حقا هذا الأصل في الغالب.

لذلك حتى لما جاءوا إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أرجعوا الكتاب والسنة إلى تلك العقلیات، فكانت سببا في هلاكهم وفي مجانبة الحق والعياذ بالله.

لذلك لا يبقى على الأصل الذي أراده ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إلا أقل القليل، فنسأل الله - عز وجل - أن نكون منهم.

وكذلك ما ذكر نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في عدة أهل النار: **«يدخل النار تسعمائة وتسع وتسعين»** ومقابل هؤلاء يدخل واحد فقط إلى الجنة؛^(٢) يعني من كل ألف واحد في الجنة وتسعمائة وتسع وتسعين هذه هي عدة أهل النار والعياذ بالله.

فنسأل الله - عز وجل - أن نكون وإياكم من أولئك القلة الذين أشار الله - عز وجل - إليهم وأشار إليهم نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ويشير إليه الإمام محمد رحمه الله.

الأصل الأول من الأصول التي ذكرها نقرأها إجمالا اليوم؛ يعني نأخذ فكرة عن الكتاب وعن تحرير الكتاب والرسالة قبل الشروع فيها تفصيلا إن شاء الله.

الأصول الستة التي ذكرها في هذه الرسالة اللطيفة:

الأصل الأول: مداره على الإخلاص وتجرید النية لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لا إله إلا هو. فالأصل الأول جعله في إصلاح العلاقة وإصلاح الأمر بين العبد وبين ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذا لاشك محله القلب، لا يطلع عليه أحد أبدا، ولا ينبغي لأحد أن يحكم على الناس من خلال نياتهم أو إخلاصهم لله من عدمها؛ لأن هذا الأمر لا يعرفه ولا يطلع عليه إلا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أو من أخبره الله

(١) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم (٤٥٩٧).

سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث رقم (٣٩٩٢)

قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل ﴿إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، حديث رقم (٦٥٣٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب قوله: ((يقول الله لأدم أخرج بعث النار...))، حديث رقم (٢٢٢).

- عز وجل - عن أحوال القلوب أو عن قلوب بعض خلقه من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويعرفه أيضا صاحب الشأن، صاحب ذلك القلب.

أما بقية الخلق فلا يجوز في شريعتنا - وفي شرائع الأنبياء جميعا - أن نحكم على الناس من خلال تصرفاتهم وأعمالهم وسلوكهم وأقوالهم فنحكم من خلال هذه الأمور - الأفعال والأقوال - على أنها تدل على إخلاص أو تدل على عدم إخلاص.

هذا الأمر ليس لأحد أبدا ومن تلبس به فليعلم أنه متأل على الله عز وجل، هذا الأمر يترك لله تبارك وتعالى لا إله إلا هو.

الأصل الأول - كما قلت - مداره على إصلاح العلاقة بينك وبين ربك تبارك وتعالى، ومدار هذا الأمر؛ مدار إصلاح العلاقة أنك لا تعمل شيئا مما ينبغي لله لغير الله عز وجل، كل الأعمال يُراد بها وجه الله سبحانه وتعالى لا إله إلا هو، وهو ما يعبر عنه بالإخلاص أو إصلاح النيات أو إصلاح القلوب، أو إصلاح البواطن مع ربنا تبارك وتعالى في جميع الأعمال، وفي جميع الأقوال التي نتقرب بها إلى الله عز وجل.

الأصل الثاني جعله الإمام - رحمه الله - في الاجتماع على كلمة تجمع أهل الإسلام، إشارات كما تعرفون، وكما تلاحظون من الرسالة، طبعاً هي ليست بحجم هذه المذكرة من حيث أوراقها؛ ولكن الرسالة عبارة عن أسطر قليلة وإشارات.

الأصل الثاني جعله - رحمه الله - في صلاح أمرك مع رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الأصل الأول في صلاح الأمر مع الله - عز وجل - ومداره على الإخلاص وتجريد النية لله.

الأصل الثاني في الاجتماع على كلمة الجماعة، الاجتماع.

واجتماع الأمة لا يمكن أن يتحقق أبداً إلا بأمر واحد: وهو أن يجتمعوا على كلمة الجماعة التي بينها رسولنا - عليه الصلاة والسلام -؛ بل أمرنا بها ربنا - تبارك وتعالى - في القرآن كما سنعرف ذلك على التفصيل.

الجماعة ومدار الجماعة على ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة، كما جاءت في النصوص الكثيرة، لذلك الأصل الثاني مداره على إصلاح العلاقة وإصلاح أمرك مع رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وهو ما يعبر عنه في الاصطلاح المتابعة، تجريد المتابعة لرسول الله - عليه الصلاة والسلام -، وإخلاص المتابعة في جميع الأقوال وفي جميع الأعمال التعبدية لإخلاصها من حيث المتابعة، إخلاصها من حيث المتابعة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فلا يُعبد ربنا - تبارك وتعالى - ولا تتقرب إلى ربك بعمل قولي لا بفعل ولا بقول إلا بما شرعه محمد عليه الصلاة والسلام، أو ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، فتكون بذلك تابعا ومتابعا في هذا القول التعبدية أو الفعل التعبدية لمحمد عليه الصلاة والسلام.

هَذَا حَقٌّ نَبِينَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَّا، وبالأصل الأول والثاني تجتمع للإنسان ويجمع أركان الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

بعد صلاح أمر الدين، وصلاح الأعمال كلها، ومجاوزة شروط قبول الأعمال عند الله - عز وجل - في الدين، بعد ذلك، بعد هذا كله يعني بعد تحقيق الشهادة لله - عز وجل - بالوحدانية ومحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالرسالة، جاء بالأصل الثالث، أنظروا كيف تتبع الأصول؛ حتى نعرف فن الكتابة والتوثيق كيف الله عز وجل وفقهم في بيان أو في تسلسل هذه الأصول.

الأصل الثالث: جعله رحمه الله في السمع والطاعة لولاة الأمر، ومراده بمؤلاء الولاة هم الحكام.

فالأصل الثالث - كما ذكر مشايخنا رحمهم الله - عليه صلاح أمر الدنيا، الأصل الأول والثاني في صلاح أمر الدين - الأصل الثالث في صلاح أمر دنياك؛ لأن الدنيا لا تستقيم ولا يكون هناك أمن ولا أمان في البلاد والأوطان وبين العباد إلا بهذا الأصل العظيم الذي قوامه على السمع والطاعة، ما نريد نقول الولاء؛ لكن السمع والطاعة هذا حد الواجب، هذا هو حد الواجب ولكن الأعظم من هذا إن أراد الناس أمانا وأمانا أكثر، فمحنة ولادة الأمر ومحبة الحكام، الدعاء للحكام، تولى الحكام وموالاته الحكام، ونصح الحكام هذه كلها من الأمور التي أوجبها ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وبينها رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غاية البيان.

فصلاح أمر الدنيا أمر في غاية الأهمية بعد صلاح أمر الدين؛ بل إن الناس لو اضطربت عليهم أمور دنياهم تضررت عليهم أمور دينهم أيضا؛ يعني إذا كان الناس يعيشون في البلاد لا أمن ولا أمان ولا استقرار فإن أمور دينهم وتعبدهم لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لا شك مآله إلى الاضطراب؛ فتن عظيمة جدا والخوف وعدم الأمن، هذه كلها أمور يعني تفسد على الناس حتى أمر دينهم.

فبعد صلاح وإصلاح أمر الدين بالأصل الأول والثاني جعل - رحمه الله - الأصل الثالث في صلاح أمر الدنيا وقوامه على السمع والطاعة لولاة الأمور والحكام.

وهذا أمر مطلوب لدى الجميع يعني يطلبه الكافر والمسلم، الكل يريد السلم والأمن والأمان في البلاد حتى تهدأ الأمور وتقوم وتحقق خلافة الإنسان على الأرض ويعيش بين أهله وذويه آمنة في ماله، آمنة في ولده، آمنة على نفسه، يأمن حتى على دينه، هذه كلها لا تقوم إلا بإصلاح هذا الأصل الثالث وهو القائم على السمع والطاعة لولاة الأمور.

الأصل الرابع بعد هذا جعله رحمه الله كما وصف في مجانبة الأدعياء وأئمة الضلال، هذا الأصل جعله على وجوب متابعة العلماء، بعد السمع والطاعة للأمراء جاء بوجوب متابعة وتوقير واحترام العلماء ومعرفة منزلتهم والصدور عن فتاواهم التي يجتمعون عليها ولا يضطربون فيها.

هذا أصل عظيم جدا لا قوام - والله - لا في أمر الدين ولا في أمر الدنيا إلا بهذا، فالعلماء جعلهم الله -

عز وجل - منارات يستنير بهم عامة أهل الأرض.

العلماء؛ - وعندما نقول العلماء قطعاً الكتاب والسنة -، ونصِفهم دائماً يعني كما وصفهم نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ورثة الأنبياء، العلماء هنا يُراد بهم ورثة الأنبياء الذين أخذوا علمهم عن الكتاب والسنة واجتمعوا على سنة نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وصَدَرُوا عنها لا يعتمدون على عقل ولا يقدمون رأياً ولا يقدمون قولاً لأحد كائناً من كان على قول الله - عز وجل - وعلى قول نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نعم، معرفة هؤلاء العلماء والبحث عن هؤلاء العلماء، ثم الجلوس إليهم والأخذ عنهم والصدور عما يفتون به، هذا أصل عظيم؛ بل ذكر كثير من مشايخنا أن جميع الأصول الثلاثة السابقة قوامها على هذا الأمر؛ لا يُفهم الإخلاص ولا تُعرف المتابعة ولا يعرف وجوب السمع والطاعة إلا عن طريق هؤلاء العلماء. فالعلماء هؤلاء وإن كانوا هم الأصل الرابع إلا أن الأصول الثلاثة السابقة لا تتحقق للعبد إلا بهذا، فلا يعتمد على ما يقرأ قراءة مستقلة ولا يعتمد على نفسه أو على أقرانه من أصاغر أهل العلم أو طلاب العلم من أمثالنا أبداً، وإنما الرجوع لكبار أهل العلم الأكابر من أهل العلم الذين لهم باعٌ طويلة جداً ولهم قدم راسخة ثابتة في دين الله - عز وجل - وفي معرفة الأحكام ومعرفة العلوم وغيرها.

نعم عن هؤلاء نصدر وعلى هؤلاء نجتمع وبهذا يقوم لنا أمر الدين وأمر الدنيا، والنبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذكر أنه أمانة لأصحابه؛ أي أنه مادام موجوداً لا يخشى على الصحابة من فتنه أبداً. ثم ذكر - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قال: **«وأصحابي أمانة لأمتي»**^(١) مادام الأصحاب موجودون الصحابة أحياء، إذن لا خوف على هذه الأمة من الغواية ومن الانحراف الكلي عن دين الله - عز وجل - مهما كانت الفتن بوجود الصحابة، الصحابة أمانة، كذلك يذكر أهل العلم ورثة الصحابة ومن تبعهم بإحسان من العلماء هم أمانة للأمة إلى قيام الساعة

فأمان الأمة في أمر دينها وأمان الأمة في أمر دنياها إنما قوامه على العلماء الربانيين الذين هم ورثة الأنبياء وليس العلماء الذين يعتمدون على العقول والذكاء كما ذكر رحمه الله.

ثم **الأصل الخامس**: بعد هذا أنظروا الترتيب، كما ذكرت جعل الأصل الخامس في بيان حقيقة ولاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو؛ لأن هذه المسألة كانت سبباً في انحراف كثير من هذه الأمة وراء علماء الضلال، خلط عظيم جداً يحصل بين الناس وبين العامة ما يعرفون، يظنون كل من لبس عُمّة وجبة صار عالماً أو كل من يذكر له في تعريفه أمور من خوارق العادات أو من الأمور التي يحكيها الناس مما لا يقدر

(١) صحيح الجامع، حديث رقم (٦٨٠٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

عليه سائر الناس، مما يسهله الله - عز وجل - أو مما قد يكذبون به ظنوا أن تلك هي أصول الولاية وأنها علامات ولاية الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لأولئك العلماء، وهذا خلل عظيم جدا.

ولاية الله - عز وجل - غاية في اليسر، يعني كل مؤمن تقى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ولي الله عز وجل، الولاية سهلة، الولاية ما هي صعبة لست صعبة، يقول ربنا تبارك تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، هذه النتيجة ذكرها ترغيبا قبل معرفة الولاية، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ من هم؟ ماذا قال لنا؟ قال: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة أبدا.

وذكر النتيجة قبل الوقت لهم، هذا ترغيب حتى تتشوق إلى معرفة هؤلاء، لاشك كل عاقل يريد أن يكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثم قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ﴾ هذه بيانية، تبين الأولياء، من هم الأولياء؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]، فقط، حقق الإيمان بأركانه وواجباته تحقيقا كاملا، ثم حقق التقوى - العمل -؛ يعني علم، معرفة، إيمان، ثم عمل، كل ما يقال لك هذا شيء يجب الله فعله، هذا شيء يكرهه الله أتركه، هذا فعله رسول الله تفعله، هذا شيء تركه رسول الله تتركه.

هذه هي التقوى، التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء ثواب الله على علم من الله - عز وجل - وتترك المعاصي كلها على نور وعلم من الله مخافة عقاب الله - عز وجل -، هذه هي التقوى.

بهذا تتحقق الولاية، إيمان صحيح، إيمان صادق، ما فيه خلل في العقيدة، ثم متابعة صحيحة لرسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - تتحقق الولاية.

وإذا تحققت الولاية وميز الإنسان بين أولياء الله وبين أولياء الشيطان، وميز بين العلماء والذين يجب إتباعهم والذين يوصفون بأنهم من أهل العلم، والذين يجب مفارقتهم ومجانبتهم، إذا عرف هذا صحت له جميع الأمور ونال ما ينشده من الولاية.

والولاية قطعا هي أن تحب الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وأن يحبك الله - عز وجل -؛ يعني كسب حب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو، كسب حب الله ما يكون إلا باثنين:

- إصلاح العقيدة.

- ثم إصلاح العمل لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - والمتابعة لرسول الله.

تستطيع أن تنال بها ولاية الله عز وجل، وإذا نلت ولاية الله فأنت من الذين لا خوف عليهم في الدنيا والآخرة، ولا هم يحزنون أيضا لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ونسأل الله - عز وجل - أن نكون وإياكم منهم.

طبعاً اجتماع الإنسان وجمعه لهذه الأصول الخمسة.

مثلما قلنا: هذه الولاية هي الغاية التي ينشدها الإنسان: من إخلاصه، من متابعتة، من السمع والطاعة للأمراء، من السمع والطاعة للعلماء.

ماذا نريد من هذا كله؟

تريد نيل ولاية الله عز وجل، ولا تظن أن بينك وبين الولاية سدودا وموانع عظيمة، ما يمكن أن تصلها لا أبدا، الولاية غاية في السهولة والله الحمد والمنة.

ثم اجتماع، إذا حصل الإنسان العلم الصحيح عن طريق العلماء الذين هم ورث الأنبياء، ثم حصلت له الولاية على أساس معرفة الحق؛ معرفة العقيدة والتزام العمل، لاشك أنه نال الخير كله، وأنه هو المغبوط، وهو الذي يُغبط في دين الله عز وجل. نسأل الله - عز وجل - أن نكون وإياكم منهم.

الأصل السادس: جعله - رحمه الله - مثل السلاح الذي يجب أن يتسلح به أولياء الله - تبارك وتعالى

- بعد التزامهم بهذه الأصول؛ لأنه لا يمكن لأهل الحق أن يبقوا على حقهم وأن يصبروا على حقهم دون أذى، مستحيل هذا.

ولنا في الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أسوة حسنة، الأنبياء جاءوا للإصلاح، جاءوا للنصح، وتعبوا مع الأمم والأقوام، ومع ذلك أؤذوا أذى عظيما، لا أحد أؤذي في هذه الدنيا كما الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وقد صبروا، وهذا مصداق قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر]، فهذا الطريق: الطريق الذي قوامه على الخمسة أصول هذه السابقة حتى يرتب عليها الأصل السادس، هذه الخمسة أصول إياك أن تظن أنك تسلكها والناس يعني يمدحونك ويشنون عليك، لا يمكن أبدا، إذا سلكت هذه الطريق فاعلم أن أعداء أكثر من الإنس والجن، والأعداء هؤلاء الذين يتربصون بأهل هذه الطريق - طريق الحق إلى الله تبارك وتعالى - هم أعداء من الإنس ومن الجن، يكيدون الليل والنهار.

مثلما قلت: تذكروا الأنبياء، تذكروا محمد بن عبد الوهاب كم أؤذي في دين الله عز وجل؟ حتى أنهم أرادوا قتله، أرادوا قتله ليلا رحمه الله؛ ولكن يسر الله - عز وجل - له من يهرب به ولا يؤذيه أبدا، وطُرد من بلده، وأؤذوا، وإلى اليوم لو تذهب لأي مكان في الدنيا الحركة الوهابية أو الدعوة الوهابية دعوة مشوهة عند عامة أهل الإسلام، يقول لك: أعوذ بالله، أعوذ بالله، وهابي إيش يعني وهابي؟ وهابي نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب.

سبحان الله ناس في أدغال أفريقيا وفي جنوب شرق آسيا ما يعرفون من الدين شيئا ولكن يعرفون أنه فيه شيء اسمه وهابية، وعلى طول يقول: أعوذ بالله من الوهابية. عندهم أن الوهابية كفر، وأن الوهابية أناس لا يحبون الله - تبارك وتعالى - ولا يحبون رسول الله، وأنهم يهدمون القبور، وأنهم لا يحبون الأولياء، أو صاف

كثيرة جدا ألصقت بدعوته - رحمة الله عليه - مع أنه ما أراد إلا النصح والخير لهذه الأمة. فلذلك جعل الأصل السادس حتى الإنسان يسلي نفسه مما قد يجده في هذه الطريق، لا شك هذه الأمور ليسا شرطاً؛ ولكن أقول: هي أمور هي الأصل؛ لأنها حصلت للأنبياء، «وأشد الناس بلاء في هذه الدنيا الأنبياء ثم الأمثل والأمثل»^(١) كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام.

فهذه الطريق ليست مخوفة بالرياحين والورود والزهور وإنما ينصب لك العداء لاشك، ممن؟ من أدياء العلم، نعم وأئمة الضلال، يصفون هذه الدعوة بأوصاف قبيحة مجسمة إلى اليوم، هذه الدعوة السلفية يصفونها بأنها دعوة التجسيم، وأن أهلها يجسمون الله، وأنهم يشبهون الله - تبارك وتعالى - بخلقه، هذه فرق كثيرة جدا.

أقول: والافتراء على هذه الدعوة لا تتينا أبداً عن هذه الطريق، هذه طريق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، محمد - عليه الصلاة والسلام - وُصف بأنه مجنون وأنه كاهن وأنه كاذب وأنه وأنه... أوصاف كثيرة قبيحة جدا، فما زال أهل البدع والأهواء يُطلقون الأوصاف القبيحة على أهل الحق؛ لأنهم يريدون لأتباعهم أن لا يسلكوا هذه الطريق؛ لأنهم ما يعيشون بدون أتباع.

فلذلك جعل - رحمه الله - الأصل السادس مما يتسلى به طالب الحق الذي يصير على هذا الطريق الحق الذي يسلك الأصول الخمسة السابقة، فجعلها في الرد على شبه أهل التقليد وأئمة الضلال ودعاة التقليد وغيرهم؛ حتى لا تتينا هذه الأوصاف القبيحة ولا أيضا عداوتهم لنا في طريق الحق إلى الله عز وجل، لا تتينا أبداً؛ بل تجعلنا نواصل وإن كنا قلة فإن القلة هي الخير والبركة في دين الله تبارك وتعالى لا إله إلا هو. لذلك هذه الأصول الستة كما قلت يعني:

- إصلاح الأمر مع الله تبارك وتعالى وهو الإخلاص.
- إصلاح الأمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المتابعة.
- إصلاح الأمر مع الحكام بالسمع والطاعة؛ وهو أقل ما يكون.
- إصلاح الأمر مع العلماء بالجلوس إليهم والصدور عنهم.
- ثم بعد ذلك إدراك ولاية الله تبارك وتعالى حتى يفرح الإنسان؛ لأن العمل كثير، فيعرف النتيجة، معرفة النتيجة تجعل الإنسان يستمر ويواصل على هذه الطريق.

(١) سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (٢٣٩٨)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٢٣).

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

- ثم بعد ذلك الرد على بعض شبه أهل التقليد، ممن يقفون في طريق أهل الحق، ويصفونهم بالأوصاف القبيحة وغيرها حتى لا تثنينا، وحتى نحقق الصبر في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. أسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم إلى ما فيه الخير والصالح، وإلى معرفة هذه الأصول الستة على التفصيل إن شاء الله، ومن ثم التزامها، نصحح العقائد ونصحح العمل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حتى نكون من أولياء الله - عز وجل - من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ومن والاه، وبعد:

ذكرنا في الدرس السابق الأصول الستة إجمالاً في هذه الرسالة التي كتبها الإمام محمد رحمه الله عليه، وبيّنا علاقة هذه الأصول بعضها ببعض، فالحقيقة مثل هذا التحليل أو معرفة الرسالة قبل الشروع فيها تفصيلاً لها أهمية عند طلاب العلم؛ لمعرفة الأبواب أو معرفة الفصول أو معرفة الأصول التي ذكرها المصنف، وعلة الترتيب فيما بينها، وعلاقة كل أصل من هذه الأصول الستة بالأصل الآخر.

فذكرنا أن الأصل الأول وهو ما عبّر عنه - رحمه الله - بإخلاص الدين لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وقلنا: إنه يتعلق بالإخلاص، وهذا صلاح أمر العبد مع ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والأصل الثاني جعله - رحمه الله - في متابعة رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - واجتماع الأمة بعد نبينا، وهذا قلنا: إنه صلاح الأمر مع نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، واجتماع الأمة على كلمة سواء وعدم التفرق في دين الله عز وجل.

ويعلم طالب العلم أهمية هذا الأصل بالنسبة للأصل الأول أيضاً.

والأصل الثالث جعله - رحمه الله - في السمع والطاعة للحكام والأمراء، وقلنا: هذا فيه صلاح أمر الدنيا ووجود الأمن والاطمئنان في البلاد.

والأصل الرابع جعله في طاعة العلماء وفي متابعة العلماء رحمه الله عليهم، وقلنا: هذا فيه جماع الأصول الثلاثة الأولى إذ لا يُعلم شيء من دين الله - عز وجل - إلا عن طريق أهل العلم، ولا يُعلم شيء لا في الإخلاص ولا في المتابعة ولا في السمع والطاعة للحكام إلا ما يُبينه أهل العلم.

ثم جعل بعد ذلك الأصل الخامس في النتيجة، وهي أن العبد إذا أخلص لله وتابع لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وسمع وأطاع للحكام، وصدر في جميع أمور دينه عن أهل العلم الأكابر ينال بذلك ولاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذه هي الولاية الحقّة.

ثم جعل الأصل السادس في الرد على شبه كثير من الناس ممن زعموا ولاية الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وتبيين ذلك والرد عليهم؛ لأن فيه رد إثارة الشبهات على أهل الحق، وهذه سنة أهل البدع مع أهل الدين والإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وفي الدرس الثاني نبداً - إن شاء الله - وبتوقيقه - عز وجل - في تفصيل الأصل الأول الذي ذكره رحمه الله.

[المتن]

الأصل الأول

إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، بكلام يفهمه أبلد العامة؛ ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار: أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم.^(١)

[الشرح]

أقول بتوفيق الله عز وجل: في هذا الأصل العظيم الذي جعله أول الأصول، وهو أهم الأصول على الإطلاق (إخلاص الدين لله تبارك وتعالى)، وكلمة (الدين) ترد في الكتاب والسنة على معان عدة، لا بد لطالب العلم أن يتدبرها، وأن يفرق بينها استعمالاً وفهماً وتدبراً.

فكلمة (الدين) ترد أحياناً متعدية بنفسها: دانه، يدينه، دان فلاناً من الناس، ومدار هذه الكلمة وهذا الاستعمال في لغة العرب، وكذلك في ورودها في الكتاب والسنة على المحاسبة والمراقبة. ومنه قولنا: إن الدين ويوم الدين إنما هو لله تبارك وتعالى. ومنه أيضاً ما يوصف به ربنا تبارك وتعالى أنه الديان أي أنه المحاسب، يراقب الناس ثم يحاسبهم سبحانه وتعالى، ولا محاسب لهم غيره عز وجل.

ومنه أيضاً -من هذا الاستعمال- كما جاء في حديث نبينا عليه الصلاة والسلام: «الكيس من دان نفسه»^(٢) أي من راقب نفسه وحاسب نفسه في جميع الأفعال والأعمال والأحوال.

والاستعمال الثاني -وهو يهمننا أكثر- وهو تعدي هذه الكلمة بحرف اللام، يقال: دان له، دان لله تبارك وتعالى، ومدار هذا الاستعمال بهذا التعدي إنما هو على الخضوع والاستسلام والانقياد.

وأيضاً استعمال آخر من حيث اللغة وفي الكتاب والسنة ولأنها كلمة ترد تتعدى بالباء، يقال: دان بكذا، أدين بالإسلام، وفلان يدين بالنصرانية، يدين بهذا الشيء أي بالمعتقد والمعتقد الذي يعتنقه.

وعلاقة الكلمة المتعدية، إذا تعدت دان له ودان بكذا، هذا كما يذكر أهل العلم لبيان أن مطلق الخضوع

(١) أي أتباع الصالحين، في نسخة: أتباعهم.

(٢) سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرفائق والورع، باب (٢٥)، حديث رقم (٢٤٥٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (٤٢٦٠).

قال الشيخ الألباني: ضعيف.

لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لا يصح، فمن أراد أن يدين لله أي أن يخضع لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ويستسلم لله، فإن الأمر ليس على إطلاقه، أي لا يجوز لنا ولا يحل لأحد أن يخضع لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الخضوع الشرعي على هواه، وعلى اختياراته، وعلى ما يختاره وما يهديه إليه عقله، إنما ينبغي أن يدين لله بكذا، فندين لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بما شرع، ندين لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بالإسلام؛ أي نخضع لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بما يأمرنا به دينُ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وهو الإسلام.

فلا بد من الجمع بين الدَيْنُونَةِ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثم ليس على أهوائنا وليس على اختياراتنا، وإنما بما جاء به دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿الدِّينَ﴾ يعني من أراد الخضوع لله - عز وجل - فلا خضوع يُقبل عند الله - عز وجل - إلا بما جاء به دين الله - عز وجل - وهو الإسلام. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أي خضوعاً ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي خضع لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وهذه يبيّن فيها الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ارتباط الأصل الأول بالأصل الثاني كما سيأتي إن شاء الله.

فالأصل الأول إخلاص هذا الدين بهذا المعنى بالخضوع والاستسلام والتقيد بما جاء به الدين الحنيف إخلاصه لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو - أول واجب وأعظم واجب؛ بل يبنى عليه الأمر كله أوله وآخره، كل الأمور كل الأمور تبنى على هذا الأصل العظيم ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ١٠٥]، عبادة الله - عز وجل - لا تقبل إلا بالإخلاص، والإخلاص هو خلوص الدين كله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أن يخلص الإنسان ما يدين به لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وما يعمل به لله - عز وجل - تدينا وخضوعاً واستسلاماً، يُخلص هذا كله في قوله ومعتقده وفعله، يخلصه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ أي يخلصه فلا يصرف شيء منه لغير الله عز وجل، يخلصه من جميع الشوائب يخلصه من غير وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يخلصه من حظوظ النفس والدنيا، يخلصه من المصالح والأهواء؛ ليبقى الأمر كله لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وحده، ولا يراد به إلا وجه الله عز وجل.

والأدلة كثيرة جداً في كتاب الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كما ذكر قال: (وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل) الذي هو إخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو ما يعبر عنه بتوحيد الألوهية وتوحيد العبادة لله عز وجل لا إله إلا هو.

وأيضاً منه حديث، حديث نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))،^(١) وهذا الحديث

^(١) البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... حديث رقم (١٠١).

يعلمه الجميع، وذكر أهل العلم أن هذا الحديث هو ميزان جميع الأعمال، جميع الأعمال كونها معتقد، أعمال قلبية، أعمال ظاهرة على الجوارح، أقوال، أفعال، معتقدات، كلها هذا ميزانها، جميع الأعمال هذا ميزانها من حيث الباطن؛ يعني من حيث القلب من حيث الإخلاص **((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ))**، ونعلم جميعاً أن النيات لا يعلمها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إِلَهَ إِلا هُوَ، وكذلك صاحب العمل، لذلك يقال: إن هذا الميزان ميزان باطني، والباطن لا يكون إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا شك أن صاحب العمل يعلم في باطنه إن أراد بهذا العمل وجه الله - عز وجل - أو أراد غير هذا والعياذ بالله.

خضوع هذا الدين كله لله والخضوع إنما يكون بما شرعه محمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بهذا الدين الذي ندين لله - عز وجل - به، هذا يتعلق بجميع الإسلام وبجميع الإيمان وبجميع الإحسان. ونعلم جميعاً أن الدين عند الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إسلام وإيمان ثم إحسان، والإحسان ليس أمراً مستقلاً، وإنما الإسلام كله - جميع شعب الإسلام - كل ما يوصف بأنه من الإسلام أي ما جاء به الدين الإسلامي يُخلص لله عز وجل.

وينبغي على العبد أن يُحسن وأن يتقن ما كان من إسلامه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إِلَهَ إِلا هُوَ. وكذلك الإيمان وشعب الإيمان ينبغي إخلاصها، ويجب على العبد أن يتقن ويحسن فيها؛ لذلك جاء الإحسان كما جاء في حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))**^(١)، وهذا يراد منه إخلاص العمل في جميع الإسلام وفي جميع شعب الإيمان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إِلَهَ إِلا هُوَ.

والإخلاص إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إِلَهَ إِلا هُوَ، إفراده - عز وجل - من حيث صرف الأعمال له، والإخلاص له - عز وجل - من حيث اعتقاد استحقاقه - عز وجل - وحده لهذه الأعمال. لهذا ينبغي أن يحرر من قبل طالب العلم ومن قبل من أراد تحقيق الإخلاص على أكمل صورته وعلى أكمل وجوهه:

الأول: أن تحرر ما في قلبك، وأن تعتقد اعتقاداً جازماً أن جميع أعمال الإسلام وأن جميع أعمال الإيمان لا يستحقها - من حيث الاستحقاق - إلا هو عز وجل.

والثاني: أن جميع أعمال الإسلام وأن جميع أعمال الإيمان لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله عز

مسلم: كتاب الإمارة باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال. حديث رقم

(١٩٠٧).

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٥٨).

وجل، فمن صرف شيئاً لغير الله من الأعمال فقد أشرك، وعندما نقول: أشرك. أي أنه لم يخلص، الشرك منافاة الإخلاص، الشرك إما أن يكون ناقصاً وإما أن يكون ناقصاً للإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إخلاص العبادة -.

وإخلاص العبادة - كما قلنا - يكون:

• من حيث الاعتقاد، اعتقاد الاستحقاق.

• ومن حيث الفعل أي صرف الأفعال.

يعني بعض الناس يعتقد أن النبي محمداً - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مثلاً يستحق أن تُطلب منه الشفاعة، هذا شرك، هذا إشراك بالله عز وجل، يعتقد أن محمداً - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يستحق أن يُطلب، وهو ما قال: يا محمد اشفع لي؛ لكن اعتقاد أن محمداً يستحق له هذه المترلة، نقول: هذا شرك؛ لأن الشرك ليس فقط في صرف العمل وإنما أيضاً في اعتقاد استحقاق غير الله - عز وجل - لهذه الأعمال.

لذلك نحن نفسر دائماً كلمة لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: نقول: لا يستحق العبادة والإلهية، لا يستحقها؛ الاستحقاق شيء وصرف العمل شيء آخر، يعتقد أن فلاناً يستحق أن يسجد له ولم يسجد أيضاً أشرك، وإذا سجد أيضاً أشرك.

فصرف العبادة شرك، واعتقاد استحقاق غير الله - عز وجل - لشيء من العبادات في الإسلام وفي الإيمان أيضاً شرك والعياذ بالله.

فالإخلاص لا يكون إلا بخلوص جميع الإسلام وجميع الإيمان من اعتقاد استحقاق غير الله، ومن صرف العمل لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، سواء كان العمل قليلاً أو كان العمل في الجوارح من أعمال الإيمان أو من أعمال الإسلام.

التجرد لله عز وجل، إرادة وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، دائماً يذكر أهل العلم أن أصل الإخلاص يتحقق بالتجرد في جميع الأعمال للآخرة؛ أي لا تعمل شيئاً تريد به غير الآخرة، غير وجه الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لا من حظ ولا من هوى ولا من شهوة ولا من جاه عند غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو، وهذا هو الإخلاص الذي أراده ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

ابن القيم رحمه الله يتكلم عن الإخلاص بكلام لطيف يقول^(١): الإخلاص رأس الأمر.

^(١) يقول ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين المجلد الثاني ص ٤٦٨ طبعة دار الفكر: فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى؛ فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة.

يعني رأس جميع الإسلام كله والإيمان كله؛ كل شعب وأعمال الإسلام وكل شعب وأعمال الإيمان، وطبعاً نعرف الفرق بين الإسلام والإيمان كما مر معنا ومر معكم سابقاً.

الإخلاص رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي يُبنى عليه. وكلمة حق، كلمة عظيمة، الإخلاص في جميع الأعمال هو رأس الأمر، أي الأمر هذا لا يُقبل إلا إذا كان خالصاً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وعموده وأساسه؛ بل وأصله الذي يُبنى عليه، جميع الأعمال تبنى على الإخلاص، إن كان فيه إخلاص لعل الأعمال الأخرى تقبل، وأما إذا انتفى الإخلاص فلا شيء من العمل -والعياذ بالله- يقبل. إذا كان عدم الإخلاص من باب الشرك الأكبر كما تعرفون.

ثم قال أيضاً: **النية روح العمل وقائده وسائقه والعمل تابع لها -تابع للنية- يُبنى عليها ويصح بصحتها ويفسد بفسادها وبها -بالنية- يستجلب التوفيق من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى والعصمة والسداد، وأيضاً وبعدها -بعدم الإخلاص يحصل الخذلان.** يقول رحمه الله: **وبالإخلاص يكون التفاوت بين العباد في أعمالهم في الدنيا وفي الآخرة.**

بالإخلاص يكون التفاوت؛ رجل يصلي وليس له من صلاته إلا نصفها كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، آخر يصلي وليس له من صلاته إلا ربعها -ربع الصلاة- السبب؟ الإخلاص، الصورة واحدة، الصلاة واحدة، وأعمال الصلاة واحدة لكن الإخلاص، التفاوت في الإخلاص.

وبهذا ذكر كثير من الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- سبق أبا بكر -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- لغيره من الصحابة في الإيمان، سببه إخلاص الأمر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وخلوص هذا القلب في جميع أحواله وفي جميع أعماله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وتجرده من كل حظ لنفسه، ومن كل مصلحة من مصالح الدنيا وغيرها. كثير من السلف -رحمهم الله- كانوا يتكلمون في الإخلاص بأقوال والله تكتب بالذهب.

سفيان الثوري رحمه الله يقول: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تنقلب عليّ.

لذلك النيات وحصر النية وضبط النية في جميع الأعمال لاشك أنها تحتاج إلى متابعة، تحتاج إلى مراقبة، تحتاج إلى محاسبة، حتى نصلح هذا القلب ونصلح الباطن مع ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هذا هو رأس الأمر كله؛ يعني لا يصلح شيء من أمور ديننا إلا بصلاح هذا الأصل العظيم وهو الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

عبد الله بن المبارك -رحمه الله- يقول: **رُبَّ عمل صغير تعظمه النية والإخلاص، ورُبَّ عمل كبير تصغره النية والإخلاص.**

الإخلاص؛ يعني الأعمال كلها مبنية على الإخلاص كما قال ابن القيم: الأعمال تصح بصحة الإخلاص

وتفسد بفساد الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

والإخلاص كما نعرف، هُذا الإخلاص يشوبه إما ما كان من جنس الشرك الأكبر وإما ما كان من جنس الشرك الأصغر.

الأكبر يستبعد كثيرا لأنه لا يوجد أو يقل كثيرا في طلبه العلم وفي المستقيمين في أمر الدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو؛ لكن الذي يتردد علينا كثيرا هو ما يكون من جنس الشرك الأصغر، لذلك كان أحد السلف - رحمهم الله - يدعو الله - عز وجل - ويكثر في دعائه بقوله عز وجل: وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك ثم خالط قلبي ما قد علمت. يستغفر الله - عز وجل - مما لا يعلمه، لذلك نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يقول لأبي بكر الصديق: أن يقول في دعائه: اللهم إني أستغفرك من أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك من أن أشرك بك مما لا أعلم. أيضا.

إذن هناك شرك معلوم، وهناك شرك يخفى أمره على كثير من الناس، وهذا النوع هو الذي ينبغي أن نحذره كثيرا، وأن نراقب أنفسنا كثيرا، وأن نعالج فيه النيات لإخلاص هُذا النوع، ولخلوص عملنا لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - من هُذه الأنواع التي ترد كثيرا على كثير من الناس، والعياذ بالله، وتنقلب على صاحبها. يعني ربما تبدأ بالصلاة لله - عز وجل - ثم في أثناء الصلاة يأتي على قلبك وارد آخر يفسد الإخلاص لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إما إفسادا كلياً أو إفسادا جزئياً والعياذ بالله.

هَذا هو الإخلاص الذي ذكره رحمه الله قال: **(إخلاص الدِّين لله تَعَالَى وحده لا شريك له)** ثم قال: **(وبيان ضده)** أي ضد الشرك، أيضا من الأمور التي ينبغي معرفتها والحذر منها ضد هَذا الإخلاص وهو الشرك، لا بد من معرفة الشرك، لا بد من معرفة الأساليب والأعمال التي تكون طريقا للوقوع في الشرك والعياذ بالله، لذلك عبر عنه - رحمه الله - بأنه ضد الإخلاص وضد التوحيد لله - عز وجل - وضد الأفراد والتفرد لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في إسلامنا وفي إيماننا، ثم ذكر - رحمه الله - بأن أكثر القرآن جاء في بيان هَذا الأصل؛ بل يقول ابن القيم رحمه الله: القرآن كله في التوحيد، القرآن كله من أوله إلى آخره ما جاء منه شيء إلا لبيان التوحيد والتحذير من ضده.

ونحن نعلم جميعاً أن القرآن:

إما فيه أمر من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بفعل كذا أو نهي عن فعل كذا، أو إخبار عن قوم كذا ممن آمن بالرسول، أو إخبار عن الذين كفروا بالرسول جميعاً، أو فيه القصص وفيه العبر، أو فيه الأمر بالتوحيد وإخلاص التوحيد لله، والتحذير من الشرك، وكذلك بيان الأسماء والصفات، فيه أبواب كثيرة جدا وفيه أمور ونصوص كثيرة جدا التوحيد، من حيث الربوبية، من حيث الألوهية، من حيث نفي الشرك ومجانبة الشرك، ومن حيث الأسماء والصفات.

الأمر والنهي كيف يدخل في التوحيد؟ يقول ابن القيم رحمه الله: إن الأمر والنهي داخل في التوحيد لأنه من لوازمه. من لوازم التوحيد امتثال أمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - واجتناب نهيه عز وجل، فعل الصلاة، إكرام الجار، بر الوالدين، هذه أوامر وأمرنا بها، جميع الأوامر هي من حقوق التوحيد ومن لوازم التوحيد؛ لأن التوحيد: فيه توحيد ربوبية، فيه توحيد ألوهية، توحيد الألوهية الخضوع، والخضوع أيضا يكون لجميع أمر الله ولجميع نهي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نخضع للأمر بفعله وامتثاله ونخضع للنهي باجتنابه والبعد عنه.

وأما قصص الأنبياء أو قصص الأمم هذا أيضا يقول ابن القيم أيضا في التوحيد؛ لأنه بيان ما كافأ به الله - عز وجل - الموحد من أطاعوا رسلهم وأنبياءهم، أو بيان لما عاقب الله - عز وجل - به لمن خالفوا أمر التوحيد وأمر الإخلاص لله عز وجل، فابتعدوا عن مناهج الأنبياء، وعن طريقة الأنبياء ولم يستسلموا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكان من الله عز وجل لهم العقوبة.

لذلك القرآن كله من حيث توحيده، من حيث أمره، من حيث نهيه، من حيث قصصه، من حيث عبره، لاشك أنه كله في التوحيد.

أقول: إذا كان القرآن كله في التوحيد، فالسنة كذلك جاء على لسان نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - النصوص الكثيرة في ذكر التوحيد، وبيان التوحيد، ولوازم التوحيد، وحقوق التوحيد، وفضل التوحيد، وجزاء الله - عز وجل - للموحدين، وجزاء الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - للمشركين الذين لا يخلصون التوحيد لله عز وجل.

ونعلم جميعا في سيرة نبينا كيف كان - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يعتني عناية فائقة بأمر التوحيد؛ دعا للتوحيد من أول يوم إلى يوم وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيذكر أنه كان من آخر كلامه أنه قال: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) تقول عائشة: يحذر ما صنعوا، ^(١) تحذير من موافقة المشركين في أفعالهم، سواء الأفعال الشركية، أو الأفعال التي ستؤدي بالإنسان إلى الوقوع في الشرك والعياذ بالله، هذا تحذير من نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لذلك لا يصح قول القائلين الذين يزعمون أن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - اعتنى بأمر التوحيد في مكة، فيقولون: الفترة المكية هي فترة الأمر بالتوحيد، وأما الفترة المدنية -أو المكث في مدينة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا كان لأمر العبادات والأخلاق والسلوك.

لا، النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اعتنى بالتوحيد أولا وآخرا من أول يوم من مبعثه إلى آخر يوم في

(١) مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم (٥٣١).

حياته وهو يهتم بالتوحيد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإخلاص هذا التوحيد لله عز وجل، وحماية هذا التوحيد من الوقوع في شيء من الشرك، سواء الشرك الأصغر أو الشرك الأكبر مما هو تنقيص وتكدير للإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكم حذر نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - من الأقوال التي درج عليها الصحابة مما قد اعتادها الناس في الجاهلية، أقوال أيضا كان ينهاتهم عنها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، استغاثوا به يوما عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال: ((أَلَا إِنَّهُ لَا يَسْتَغَاثُ بِي))، مع أن الاستغاثة قد تكون جائزة؛ لأنهم استغاثوا بالرسول وهو حي قادر يقدر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يكفلهم، ذلك الذي استغاثوا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه فيأمر بقتله أو يأمر أحدا أن يفعل به شيئا؛ ولكنه أرشدهم إلى أن الاستغاثة لا تكون إلا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

الحلف بغير الله كان كثيرا، وكما هو اليوم كثير من الناس مازالوا يحلفون بغير الله، فكم نهي نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: ((من حلف بغير الله فقد أشرك، فقد كفر))^(١) نصوص كثيرة جدا تحذر من الحلف بغير الله، وهم لا يقصدون التعظيم، لا شك أن الصحابة ما كانوا يقصدون التعظيم لهذا المحلوف به، التعظيم الواجب لله عز وجل؛ ولكن هذا كله صيانة للتوحيد وحماية لهذا الجانب العظيم، وهذا الأصل العظيم الذي هو إخلاص التوحيد وإخلاص العبادة لله عز وجل.

فالنبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في سنته، والله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في القرآن كل هذا فالنصوص جاءت لهذا التوحيد ولحماية هذا التوحيد من أن يشوبه شيء من المكدرات الناقضة لها أو الناقصة منها ومن كمالها والعياذ بالله.

ثم يقول رحمه الله: (وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، بكلام يفهمه أبلد العامة) نعم غاية في الوضوح، نصوص التوحيد ما جاءت مجملة أبدا؛ بل جاءت مفصلة تفصيلا لا يخفى منه شيء على أحد من الخلق أبدا، ولكن أنظروا كيف يعبر رحمه الله يقول: (بكلام يفهمه أبلد العامة) لكن أنظر إلى حال الأمة اليوم اختلفوا في أمر التوحيد، اختلفوا في معنى التوحيد، اختلفوا في لوازم التوحيد، اختلفوا في نواقض التوحيد، حتى النواقض اختلفوا فيها، اختلفوا في نواقض التوحيد، اختلفوا في كل شيء، أصل التوحيد، معنى التوحيد، اختلفت الأمة فيها اختلافا بينا.

والقول الحق في التوحيد: أنه أفراد العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أفراد العبادة لله عز وجل في جميع أعمالنا من

(١) سنن الترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، حديث رقم (١٥٣٥). قال الترمذي: حديث حسن.

سنن أبي داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، حديث رقم (٣٢٥١).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

إسلام وإيمان، والإحسان في الإسلام والإيمان لا يكون إلا بإخلاصه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكذلك إفراده - عز وجل - بجميع الأسماء والصفات والكمال والجمال بنفي كل عيب ونقص ومشابهة بين ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وبين أحد من خلقه، وكذلك إفراده - عز وجل - في النفع والضر لا ينفع إلا هو، لا ينفع إلا هو ولا يضر إلا هو؛ أي إفراده - عز وجل - بالأعمال التي هي من أعمال الربوبية ومن أعمال السيادة والملك لا فاعل لها إلا هو عز وجل.

هَذَا معنى التوحيد، وهذا هو التوحيد الواجب لله عز وجل؛ ولكن أقول: اختلفت الأمة اختلافاً بينا، - والعياذ بالله - وما سبب هذا الاختلاف، إلا كما ذكر رحمه الله.

يقول: **(ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار)** ما الذي صار على الأمة؟ ابتعدوا عن منهج الوحي، ابتعدوا عن طريقة الكتاب، وابتعدوا عن طريقة سنة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وسبب هذا الابتعاد وهذا الانحراف عن دين الله - عز وجل - حتى في معنى التوحيد وأصل التوحيد، أقول: سببه أنهم انتهجوا مناهج شتى هي من زبالات عقولهم ومن اختراعات الأهواء والمصالح ومتابعة علماء الضلالة - والعياذ بالله - ومتابعة وساوس الشياطين، هذه كلها أسباب.

ولكن العصمة من جميع هذه الأسباب لا يكون إلا بأمر واحد وهو ما ذكره رحمه الله في الأصل الثاني، ونرجئ الكلام فيه إلى حينه إن شاء الله.

نعم لا تجتمع الأمة ولا تتحد الأمة إلا على أمر واحد وعلى سبب واحد، وأما إذا تُركت الأمة للأفكار والعقول وتُركت للأهواء وتركت لاختلافات العقول وغيرها فلا شك أن المال هو ما آلت إليه الأمة في أيامنا هذه؛ بل منذ قرون منذ قرون والأمة تختلف، مثل ما ذكرت، تعريف التوحيد حصل فيه الاختلاف، التوحيد الذي هو أعظم واجب، الله عز وجل ما أنزل القرآن ولا أرسل الكتب كلها والرسل كلها إلا لأجل التوحيد، والأمة اليوم تختلف في تعريف التوحيد، تختلف في هذا الأصل العظيم الذي لا ينبغي لأحد أن يختلف فيه أبداً؛ ولكن هذا واقع الأمة، وكذلك اختلفت الأمة في معنى الشرك الذي هو أعظم معصية يعصى بها ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

يعني أعظم واجب اختلفنا فيه وأعظم محذور أيضاً اختلفنا فيه.

والقرآن والسنة لم تأت بهذا الأصل وذاك الفاسد بالإجمال، وإنما والله بالتفصيل، ورغم هذا التفصيل أقول: اختلفت الأمة، وسبب الاختلاف هو الابتعاد عن الأصل الثاني من أصول هذه الرسالة العظيمة.

نعم يقول: **(ثم لما صار على أكثر الأمة)** نعم هذا هو الأكثر ولا شك لكن الأقل والقليل هو ما ذكره نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لعلنا ذكرنا طرفاً منه في الدرس السابق أن الأكثر دائماً على الانحراف وعلى الضلال وعلى الدم، وأما

المدح في الكتاب والسنة ما كان إلا من حظ القليل من الأمة والقليل ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وحديث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الثلاث والسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة،^(١) هذا ما ذكره نبينا عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق))^(٢) الطائفة يعني القلة على الحق، وأما البقية فإنها على الانحراف وعلى البعد عن منهج الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وكما ذكرت ما اختلفنا في الفروع، اختلفنا والله في الأصول، الأمة اختلفت في الأصول، حتى أهل السنة كثير من أهل السنة وفرق أهل السنة بينهم كثير من الاختلافات في الأصول، وأعظم الأصول مثل ما قلت التوحيد وأنظر إلى الاختلاف فيه، ونحن لسنا بصدده، وأنظر إلى الشرك وهو أعظم محذور، وأنظر كيف اختلفت الأمة في معنى الشرك والعياذ بالله.

نعم يقول: (صار على أكثر الأمة ما صار: أظهر لهم الشيطان) وهذا طبعاً يراد به شيطان الجن ويراد به شيطان الإنس أيضاً الذين يزخرفون والذين يزينون الباطل الذي عليه أكثر الناس، وهذا لا بد منه؛ يعني هؤلاء الأكثر الذين هم على الانحراف وعلى مجانبة الصواب في دين الله عز وجل، ما سبب استمرارهم على هذا الباطل؟ سببه الزخرفة والتزيين والتفريق، هذا الكلام كله يراد منه ذكر المبررات، لذلك لا ترى إنساناً ولا ترى عاقلاً أبداً يسلك مسلكاً إلا بعد التبرير له، سواء كان المسلك صواباً صحيحاً أو كان المسلك معوجاً وخطأً. نعم ما فيه أنت تمشي في هذا الطريق ليه؟ يقول لك: والله أقرب لي من هذا الطريق أنت تمشي في الطريق الطويل لم لا تمشي في الطريق الأقصر؟ قال: لأن الطريق هذا آمن؛ لا بد من التبرير العاقل منا يعني من جميع الناس المسلم والكافر لا يفعل فعلاً إلا وفي نفسه المبرر لهذا الفعل، أقول: سواء كان الفعل صواباً صحيحاً أو كان على خلاف ذلك.

يعني مثلاً الآن المدخن للسجائر، يدخن السجائر، والكل يعلم أن السجائر ضارة محرمة، هذا المدخن لماذا يدخن؟ لو سألته لماذا تدخن؟ عنده تبرير أو ما عنده؟ لابد أن يبرر لنفسه، يقول: أنا إذا ما دخنت يحصل لي كذا. يحصل لي كذا أو يقول: لا الأطباء ذكروا إن الدخان ما له علاقة له، لا بالوفاة ولا بالضرر ولا بالمرض، لا بد أن يذكر التبرير لنفسه حتى يسوغ لنفسه الاستمرار على هذا الفعل.

لذلك هؤلاء لما انحرفوا وذكروا في توحيد الله ما ذكروا من الأخطاء، وكذلك في الشرك وفي وقوع

(١) سبق تخريجه في الصفحة (٦).

(٢) مسلم: كتاب الإمارة، باب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم))، حديث رقم: (١٩٢٠).

الشرك؛ بل بعضهم بعض هذه الأمة يقول: أصلاً لا يتصور وقوع الشرك ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. سبحانه الله، وكأنه من أغفل الخلق عما في الكتاب والسنة، إذا كان النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - خاف الشرك على أبي بكر، إذا كان إبراهيم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - خاف الشرك على نفسه وعلى بنيه، ثم يأتي في الأمة من يزعم أنه لا خوف على من ينطق بالشهادتين، ما عليه الخوف من الوقوع في الشرك.

أين أنت من حديث ذات أنواط؟ صحابة قالوا لبنينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. والحديث معروف ماذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الخطاب للصحابة؟ يقول: **((الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده ما قالت بنو إسرائيل لموسى قلتم)) ((والذي نفسي بيده كالذي قالته بنو إسرائيل لموسى -ماذا قالت بنو إسرائيل؟ قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً))** ^(١) شرك صريح اجعل لنا إلهاً غير الله حتى نعبده، ثم هؤلاء في ذات أنواط قال: مقاتلكم ومقاتلتهم سواء، إذن الوقوع في الشرك متصور؛ بل ذكر مشايخنا: أن الدخول في الإسلام بكلمة والخروج من الإسلام قد يكون بكلمة أيضاً. وانظر في كتب أهل العلم ما ذكروه من كتاب الردة، أحكام المرتدين لمن هذا الكتاب؟ هذا الكتاب لمن كان على الإسلام ثم ارتد على الإسلام.

وكيف يرتد المسلم عن إسلامه؟ إما بقول وإما بفعل وإما بمعتقد وإما بشك في الأصول والثوابت والعياذ بالله.

كلمة قد يقولها، كلمة قد يقولها يخرج بها من الإسلام إلى الكفر، ثم يأتي في الأمة من يقول: لا يتصور الوقوع في الشرك من هذه الأمة، والعياذ بالله، هذا حد الاختلاف، الاختلاف ليس هينا وليس سهلاً أبداً. نعم أقول: ما هو السبب؟ السبب التبرير، السبب التبرير، لذلك جاء الشيطان قبحه الله وبين وصور أن الإخلاص الذي يطالب به علماء السلف إنما هو يقوم أو مداره على التقصير في حقوق من؟ على التقصير في حقوق الصالحين وعلى تنقص الأولياء وربما الأنبياء أيضاً، يقول: هذا تنقص للأنبياء، كونك أنت ما تطلب الشفاعة من محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو تقول: الشفاعة من محمد هذا تطلب فيه الشرك والعياذ بالله يقول: هذا تنقص لمقام نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كونك ما تقرر الغلو في النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يقول: هذا تنقص أنتم لا تحبون محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا التبرير فبرر لهم أن أولئك الذين يدعون إلى هذا التوحيد الذي هو إخلاص الأمر كله لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يقول: هذا النوع من التوحيد تنبه أنت لأن

^(١) سنن الترمذي: الولاء والهبة، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، برقم: (٢١٨٠).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

فيه تنقضا بمقامات النبوة ومقامات الولاية في الصالحين وغيرهم، نعم وبين لهم أيضا أن التحذير، هذا التحذير الذي نحن نحذره -التحذير من الشرك- هو يقول: هذا الشرك الذي يزعمون حقيقته محبة الصالحين، ومحبة الأنبياء، وتعظيم الأنبياء، وتعظيم الأولياء، وتقدير الأولياء، وزيارة قبور الأولياء، لذلك يقول: ابتعدوا عن هؤلاء؛ لأنهم لا مقام عندهم للأنبياء ولا مقام عندهم للأولياء، واستمروا في فعلكم واستمروا في عقائدكم؛ لأن ما أنتم عليه هو الدين الذي أراده ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

نحن نقول: لا، نحن نعظم الأنبياء نحن نعظم الأولياء؛ ولكن التعظيم الشرعي، لا نخرج بهم أبدا، أن نصرف لهم حقا من حقوق الله، ولا أن نصرف لهم فعلا لا يجوز صرفه إلا لله؛ يعني ما نعطيهم شيئا لا من حقوق الربوبية ولا من حقوق الألوهية، ولا أيضا نعتقد فيهم الكمال المطلق الواجب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وبذلك نخلص أنواع التوحيد الثلاثة لله عز وجل من أي شائبة، واعلموا جميعا كما ذكر نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُو فِي الدِّينِ))؛^(١) الغلو في الصالحين، الغلو في الأنبياء هو سبب هلاك الأمم جميعا، معظم الأمم التي أهلكتها الله - عز وجل - سببه ما هو؟ الغلو في الصالحين، كونك تحب الصالحين، كونك تحب مثلا آل البيت، تحب علي بن أبي طالب، تحب فاطمة، نحن جميعا نحب عليا وفاطمة ونحب الحسن ونحب الحسين، نحبه جميعا؛ لكن حبا شرعيا، ما نعطيهم شيئا لا من حقوق الربوبية ولا من حقوق الألوهية أبدا.

ولكن أولئك ماذا فعلوا؟ أحبوا بزعمهم، قالوا: نحن آل البيت ثم غلوا في آل البيت الغلو الذي أخرجهم، لذلك ما من بدعة إلا وفيها الانطلاق من أصل شرعي؛ ولكن الغلو هو الذي حاد به عن استمراره على الأصل الشرعي وفي الحد الشرعي فأخرجه عن حده الشرعي، والعياذ بالله.

الشاهد أن وجوب الخوف من الشرك واجب، كما أن إخلاص التوحيد واجب لله عز وجل، الخوف من الوقوع في الشرك أيضا واجب، ... خاف من الوقوع في الشرك، نقول: الشرك الأكبر لعله مستبعد لنا ولكم ونسأل الله عز وجل أن يعصمنا من الوقوع في شيء منه؛ لكن الحذر الدائم الواجب ينبغي أن يكون باستمرار في جميع الأحوال، وفي جميع الأوقات من الوقوع في الشرك الأصغر ومنه الرياء، ومنه حب العمل لبعض أمور المصالح الدنيوية وغيرها، ومنه الجاه؛ الحصول على الجاه وعلى السلطان وعلى بعض المصالح الدنيوية والعياذ بالله، هذه الأمور كلها، أو الخوف على الرزق.. هذه كلها ينبغي أن تكون في قلوبنا، فكما أننا نفرح بالتوحيد وما وفقنا إليه في فهم التوحيد والشرك وغيره أيضا نخاف، لا بد من الخوف، وبهذا

(١) سنن ابن ماجه: كتاب المناسك، باب قدر حصي الرمي، حديث رقم (٣٠٢٨). قال الشيخ الألباني: حسن، وانظر أيضا السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٢٨٣).

الخوف يحصل دائما عندك تنقية وتصفية لهذا التوحيد الواجب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حتى نكون من الذين أخلصوا دينهم لله وحققوا الإخلاص لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بالتوحيد؛ بل في جميع أعمال الإسلام وفي جميع أعمال الإيمان، ونحظى بما جعله الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لأهل الإخلاص.

طبعاً الإخلاص يكفينا فيه أنه به تنال ولاية الله - عز وجل - كما في الأصل السادس، ويكفينا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يحب أهل الإخلاص ويجب أهل التوحيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نذكر في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: -أنظروا إلى أثر الإخلاص- ((**إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم**)) الناس أين كانوا الذين خاطبهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ كانوا في الجهاد، في الحرب في المعركة في القتال مع الكفار، ثم قال لهم: هذا أنتم تفعلون كل هذه الأفعال، وفيه ناس في المدينة وما زالوا في المدينة ما سرتهم يعني كل خطوة في مسيركم، وكل وادي قطعتموه وكل عمل فعلتموه في الجهاد، أولئك كانوا معكم، هم ما هم معهم؛ لكن معكم في الأجر والثواب، فاستغرب الصحابة قالوا: يا رسول الله وهم في المدينة؟ قال: ((**نعم، وهم في المدينة حبسهم العذر**))^(١) باتفاق أهل العلم أن هؤلاء حبسهم العذر وهم على أعلى درجات الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لو وجدوا ما يخرجون به لخرجوا؛ لكن منعهم العذر إما أنه ما وجد؛ لأنه إما أنه في حاجة لضرورة كذا، منعهم العذر، فجعلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو الذي خرج للجهاد سواء بسواء من حيث الأجر والثواب عند الله عز وجل.

مثل ما قلت: الإخلاص واجب لله عز وجل.

الخوف من الشرك واجب أيضا وبه وبهذا الأمر الثاني يَصَانُ الأول.

وأيضا ذكر أهل العلم فائدة عظيمة جدا لهذا الثاني أن به -بهذا الثاني- يحصل التعادل في حال القلب وعدم الأمن من مكر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وعدم الاغترار بما وفقك الله - عز وجل - به من فهم التوحيد، لاشك نحمد الله عز وجل على هذا الفهم.

ومثل ما نقول دائما لهذا الإمام الذي نحن بصدد شرح رسالته هذه العظيمة له منة عظيمة في رقابنا في تخليص التوحيد في هذه الجزيرة من أدران الشرك؛ بل وفي معظم بلاد الإسلام والمسلمين والله الحمد والمنة، فله المنة وله الفضل بعد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لأنه طَهَّرَ أفهام الناس وأعمال الناس وواقع الناس من كثير من صور الشرك التي كانت منتشرة وتنتشر دائما.

النفوس - سبحانه الله - كأنها بهذا التزيين يعني بتزيين شياطين الإنس والجن كأنها تميل إلى الوقوع في

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، اب من حبسه العذر عن الغزو، حديث رقم (٢٨٣٩).

مسلم: كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، حديث رقم (١٩١١).

المعاصي وفي الشرك والعياذ بالله، وإلى مخالطة التوحيد بغيره، لذلك الإخلاص عزيز جدا، فهذا الإمام - رحمه الله - نذكره ونذكر له هذا الفضل وهذه المنة علينا وعلى غيرنا؛ لأنه قام وحمل سيف التوحيد في هذه الجزيرة، وفي هذه البلاد، وانتشر الفضل وهذا الفهم العظيم إلى غير هذه الجزيرة من بلاد الإسلام والمسلمين، فجزاه الله عنا كل خير، جزاه الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عنا ما جرى به علما عن قومه وعن أمته. هذا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.



[الأسئلة]

س١/ هل من جامع زوجته أثناء قضاء رمضان عليه الإثم، وهل عليه كفارة علما أنها صائمة وهو مفطر؟

ج/ الكفارة على خلاف بين أهل العلم؛ لكن نقول: الأصل في القضاء أنه يجب فيه الاستمرار، يعني مثل صيام رمضان الأداء والقضاء في الأداء وفي القضاء، واجب تبييت النية وواجب الاستمرار فيه إذا دخل فيه، إذا دخلت في القضاء يجب عليك الاستمرار، ليس مثل النوافل، صيام النافلة نعم لك أن تكمل الصيام ولك أن تفطر، المتطوع أمير نفسه، أما في القضاء لا يجوز بحال، لا شك أنه يَأْتُم إثمًا عظيمًا، وأفسد يعني هذا اليوم، وعليه حرم عظيم.

أما الكفارة فبعض أهل العلم يرى أنها تحمل وتقاس برمضان؛ لأنها قضاء عن رمضان فلها الحكم، وبعض أهل العلم قال: ليس عليه تلك الكفارة؛ ولكن الجرم عظيم لاشك أن الجرم عظيم.

س٢/ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من سأل عرافا لم تقبل له صلاة أربعين يوما**))^(١) ((**ومن صدقه كفر بما أنزل على محمد**))^(٢) هل سؤال العراف من الشرك...؟

ج/ نحن ذكرنا قبل قليل ما قاله ابن القيم رحمه الله؛ يعني إذا كانت النصوص في التوحيد فهي في التوحيد، وجميع النصوص التي في الأمر والنهي لها علاقة بالتوحيد، فهي من حقوق التوحيد، كل مخالفة لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لها علاقة بالتوحيد، كل مخالفة لله عز وجل، وكل طاعة لله - عز وجل - لها شأن في التوحيد.

والتوحيد نعرف أن ما يضاد التوحيد شرك أكبر أو شرك أصغر.

(١) مسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم (٢٢٣٠)، وليس فيه (كاهنا).

(٢) مسند أحمد، عن أبي هريرة حديث رقم (٩٥٣٦)، وقال الشيخ الألباني في الإرواء (٦٩/٧): رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ورواه أبو بكر بن خلاد في الفوائد والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وهو كم قالوا.

والشرك الأصغر هو عبارة عن أعمال ومعاصي، عبارة عن أعمال ومعاصي؛ يعني أقوال وأعمال يعني أمور قولية وأمور فعلية يفعلها العباد وهي في حقيقتها معصية؛ لكن عدّها العلماء من الشرك الأصغر تفريقاً بينها وبين مطلق المعاصي؛ لأن الشرك الأصغر كما هو معصية هو أيضاً وسيلة إلى الوقوع في الشرك الأكبر. فنقول: سؤال العراف معصية أو ليس بمعصية؟ معصية، إذن تُنقص التوحيد لاشك، لأن كل المعاصي تنقص التوحيد.

طيب هل هي من الشرك؟ أو من الكبائر؟ السؤال عن الكبائر، يقول: هل هو من الكبائر أو من الشرك؟ نقول: لا، من الشرك لأن الإتيان إلى الكاهن وسؤاله وبعد أن يتكرر هذا ويتكرر، ويتكرر تأتي وتساءل تأتي وتساءل، سيأتي في قلبك قبول أو ربما تطلع مرة وتشوف الذي قاله لك وقع صورة طبق الأصل، مرة اثنين ثلاثة ماذا يصير؟ فمجرد الإتيان إلى الكاهن وسؤاله وسيلة إلى تصديقه.

ولما كان تصديقه شركاً أكبر كان مجرد الإتيان والسؤال شركاً أصغر، عرفنا الفرق. يعني أن المعاصي يرتبها العلماء الشرك الأكبر، الكفر الأكبر، الاعتقادي هذه المرتبة الأولى. ثم المرتبة الثانية الكفر العملي الذي هو الأصغر.

المرتبة الثالثة البدعة.

المرتبة الرابعة الكبائر.

ثم الصغائر، هكذا الترتيب.

فالشرك الأصغر هي فوق البدعة.

الشرك الأصغر فوق الكبائر لم؟ لأنه وسيلة للوقوع في الشرك الأكبر هذا سبب، والسبب الآخر أن الشرك الأصغر قال فيه كثير من العلماء: أنه لا يغفره الله عز وجل أبداً.

الكبائر بالاتفاق أنها تحت مشيئة الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إن شاء غفر وإن شاء عذب بها.

وأما الشرك الأصغر فقالوا: من حيث عدم المغفرة والشرك الأكبر سواء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١)، وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله عليه - لا يفرق في باب أنها لا تدخل تحت المشيئة بين الشرك الأصغر وبين الشرك الأكبر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، قالوا: نكرة في سياق النفي، أي شرك لا يغفره الله ما يقال عنه شرك إذن لا يغفره الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أكبر كان أم أصغر، لا يغفره؛ لكن الفرق بين الأكبر والأصغر:

أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، صاحبه مخلد في النار، يخرج عن الإسلام.

(١) سورة النساء في الآيتين: ٤٨ و ١١٦.

أما صاحب الشرك الأصغر فأعماله الأخرى باقية، ولا تحبط عنه جميع الأعمال، ويخرج من الملة ولا يخلد في النار، وإنما شركه هذا الأصغر لا يغفره الله؛ فيعذب بقدره ثم يخرج من العذاب نعم.

س٣/ هل قضاء رمضان يقدم على صيام ست من شوال؟

ج/ لا صومي رمضان أولاً، الأول القضاء، القضاء يقدم على صيام الست من شوال، ثم دائماً يذكرون أهل العلم الوعد إذا ذكر في نص مترتباً على فعل أو على أفعال فإن جزاء الوعد لا يكون إلا بالوفاء بتلك الأعمال جميعاً، والنص الذي عندنا ((**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر**)).^(١) فالأصل أن الأول إتمام رمضان ثم بعد ذلك، وذكرنا قبل قليل حديث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو متفق عليه: ((**إن بالمدينة أقواماً**)).^(٢)

فأنت إذا علم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - منك صدق النية مع هذا العذر الشرعي الذي حال دونك ودون صيام رمضان فأبشري؛ لأن الحديث الذي ذكره النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليس خاصاً بمن كان في المدينة، هذا عام، كل من أخلص لله وصدق مع الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في عمل من الأعمال حبسه أو حال دونه والعمل العذر، فإن له أجره وثوابه.

أنت أولاً صومي أولاً وبادري بالقضاء ثم أيضاً مما يذكر أهل العلم أنت إذا مت الله - عز وجل - لا يسألك عن الست من شوال؛ ولكن من مات وقد ترك أياماً وكان يمكنه القضاء ولم يقض فربما حوسب على التقصير.

نعم الأصل القضاء، الأصل رمضان أولاً ثم بعد ذلك، أقول: وإذا علم الله منك صدق النية فأبشري بالثواب فكأنك صمت رمضان وست من شوال ويعطي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِطَاءُ الأوفى.

س٤/ ...

ج/ الشرك الأصغر معصية في ذاتها إما قولية وإما فعلية؛ يعني مثل الحلف بغير الله، الحلف بغير الله كأن يحلف الإنسان برأسه أو برأس أمه أو يحلف بالحسن أو بالحسين أو بالعباس أو بالبدوي أو بالنبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذا كله حلف بغير الله عز وجل، أقوال اعتاد عليها الناس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ((**لا تحلفوا من كان حالفاً فليحلف بالله**)).^(٣) ونهى عن الحلف، إذن الحلف بغير الله معصية في ذاتها،

(١) مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان، حديث رقم (١١٦٤).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة (٢٧).

(٣) البخاري: كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، حديث رقم (٦١٠٨).

مسلم: كتاب الإيمان، النهي عن الحلف بغير الله تَعَالَى، حديث رقم (١٦٤٦).

لماذا صارت شركاً أصغر، لم توصف وصفاً آخر فوق المعصية هي معصية ومع المعصية توصف بأنها شرك أصغر لم؟ لأنها طريق، هذا تعريف الشرك الأصغر معصية في ذاتها وهي وسيلة وطريق إلى الوقوع في الشرك الأكبر فكل معصية كانت وسيلة أو طريقاً للوقوع في الشرك الأكبر فهو من الشرك الأصغر.
س ٥/ ...

ج/ هذا بحسب المعتقد؛ لكن نحن نقول مطلق السؤال، واحد يسأل أو يسمع أو يقرأ يريد أن يعرف هذه الأخبار أو عنده حب الاستطلاع، هذا الكلام فيه، أما إن اعتقد أن هناك من يعلم الغيب، حتى ولو لم يسأل وقلنا قبل قليل: الوقوع في الشرك قد يكون مجرد الاعتقاد ليس بالفعل، مجرد اعتقاد أن فيه هناك من يعلم الغيب هذا شرك أكبر كفر انتهى، حتى لو لم يسأل، حتى بدون سؤال فانتبه.

فاعتقاد وجود من يعلم الغيب هذا بحد ذاته كفر وشرك أكبر مخرج من الملة؛ ولكن الكلام، وهو النص الذي جاء هو في مجرد السؤال سواء السؤال من باب حب الاستطلاع أو من باب المعرفة دون اعتقاد أما إذا حصل معه الاعتقاد، والعياذ بالله لذلك قلنا شرك أصغر ليس؟ لأنه يؤول إلى الوقوع في الشرك الأكبر، اليوم تسأله غدا تصدقه، خاصة إذا حصل معك مرة أو مرتين أو ثلاث أنه يقول قولاً ثم تراه يقع في كما قاله نعم .

س ٦/ هل يجوز الحلف بيمين الله أو بصفة من صفاته؟

ج/ جميع صفات الله محل يمين، نحلف بالله عز وجل بذاته بأسمائه بصفاته.

س ٧/ ... البنوك الربوية

ج/ الأصل التفريق هنا التعامل بالربا، وبعدين قلت المصاريف الشهرية كلها ربا، كيف ؟ يعني فرق أن نتعامل بالربا وبين الرجل أصل ماله ربا، إذا كان أصل المال يعني كل المال ربا لهذا له حكم، نعم.

لهذا نقول للأبناء: لا تأكلوا إلا على قدر الضرورة ولكم الغنم وعليه الغرم، كما قاله أهل العلم.

أما إذا كان الرجل ماله مختلط يعني عنده راتب وعنده محل تجاري وعنده أشياء، وأيضا عنده أنه واضع أمواله في البنوك الربوية ويأخذ عليها أرباح، فهذا يقال: صاحب مال مختلط؛ يعني ماله مختلط فيه الحلال بالحرام، فنقول للأبناء كلوا واشربوا واستمتعوا أيضا لكم الغنم وعليه الغرم، يجوز التوسع أكثر من الأول؛ يعني الأول لا يأخذ إلا بقدر الضرورة تحتاج ثوب في السنة خذ ثوب لا تأخذ اثنين، أما الثاني المختلط لا هذا الأمر فيه واسع نعم . مع وجوب بذل النصيحة مناصحة هذا الأب ومناصحة هذا الوالد.

س ٨/ ...

ج/ هذا ما ذكره النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تقارب الزمان، يعني من أشراط الساعة تقارب الزمان، سبحانه الله، على كل نقول: يعني نرجو من الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن يهدي قلب هذا الوالد،

ونقول لها: انصحيه كثيرا وما ينبغي له أن يعضل ابنته، هذا من العضل الذي نهانا الله - عز وجل - عنه أنه يمنع ويحبس البنت إلا على من وافق هواه أو مصلحة أو دنيا أو غيرها، لا يجوز.

فنصيحتنا أقول: يعني ننصحه بأن تنصح والدها وتدخل ناس لنصيحة هذا الوالد وإذا ما سمع.

هو لماذا رافض يزوجها ؟

عجيب؛ أولا إيش مفهوم السلفي عندها، يعني من هو السلفي الذي تقدم، يعني اليوم حتى كلمة السلفية صارت إيش؟ من الأمور التي يختلف فيها الناس والعياذ بالله.

فعلى كل نقول لها: إذا جاء واحد من الأخوان أو من العوام وكان صاحب دين وصاحب خلق من حيث العموم ما فيه بأس اقبلي به؛ لكن أفضل من هذا إن كان عندكم قاض، أظن في فرنسا ما فيه؛ يعني لو كان في بلد إسلامي كان نقول لها: ارفعي أمرك للقضاء والقاضي يتولى تزويجها؛ لأن القاضي له ولاية إذا عضل الولي موليته.

لو كان ما فيه والكافر لا ولاية له على مسلم نحن ما نعرض ونقول: اذهبي إلى القاضي الكافر الفرنسي إلا إذا كان فيه قاضي في الحكومة الفرنسية مسلم فهذا اذهبي إليه، إذا كان ما فيه لا عليك إلا نصيحة هذا الأب.

الخطوة الأولى استبدال الولي بولي آخر.

الخطوة الثانية أن الواحد ممن يرضى بهم الواحد ولو كان عاميا لكن صاحب دين صاحب خلق، ثم أنت إن شاء الله تجتهدين عليه اجتهد لعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَهْدِيهِ عَلَى يَدَيْكَ أيضا.

والثالث طبعا هذه كلها -الثالث نقاط- هروبا من عدم الزواج وخاصة في فرنسا والعياذ بالله فتنة عظيمة، نقول: الثالث اقبلي.

نحن قلنا تستبدلين الولي بولي آخر أو نصيحة الوالد بقدر الاستطاعة والتأثير عليه من قبل إخوانه وأحبابه وغيرهم.

والثالث اقبلي بالعامي إذا كان صاحب دين وصاحب خلق كما قال نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مع الدعاء والاجتهاد عليه بعد ذلك حتى يهديه الله عز وجل؛ أما أنك تبقين عانس لا والله، ما نقبل به لا في فرنسا ولا في غير فرنسا، وفي فرنسا الوضع أشد لاشك.

وبالله التوفيق. (١)



(١) انتهى الشريط الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث

[المتن]

الأصل الثاني

أمر الله بالإجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانا شافياً كافياً، تفهمه العوام؛ وهما أن نكون كالذين تفرقوا قبلنا فهلكوا؛ واذكر أنه أمر المرسلين بالإجتماع في الدين، وهماهم عن التفرق فيه؛ ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجائب في ذلك؛ ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه، هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالإجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون!

[الشرح]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.
وبعد:

الأصل الثاني في هذه الرسالة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.
سبق وعرفنا الأصل الأول، والذي بين فيه - رحمه الله - وأراد به الحق الواجب لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الذي يجب على كل مسلم أن يؤديه له - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هو التوحيد والإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
وفي هذا الأصل - وهو الأصل الثاني - مراده رحمه الله التنبيه إلى حق رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والواجب على كل مسلم نحوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهو الاجتماع على متابعة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتوحيد هذه المتابعة وتجريد هذه المتابعة له وحده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
فيذكر يقول: (أمر الله بالإجتماع في الدين، ونهى عن التفرق فيه) نعم بينه في آيات كثيرات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعبر عنها الإمام (فبين الله هذا بيانا شافياً كافياً، تفهمه العوام)، وكل أمر في كتاب الله عز وجل، كل ما يأمرنا الله - عز وجل - بفعله في الكتاب، وكل ما يأمرنا به نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بفعله في السنة، نحن مأمورون أيضاً، الأمر بالفعل يتضمن النهي عن ضده، لذلك قال: (وهما أن نكون كالذين تفرقوا) لأن الإجتماع في الدين هو نهي، الأمر بالإجتماع في الدين هو نهي عن التفرق في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فجاء ذكر أمر الإجتماع والنهي عن الفرقة صريحا واضحا بينا وكثيرا في الكتاب والسنة، نعم هذا ما أراده رحمه الله.

والله - عز وجل - في كتابه قد أمرنا كثيرا بالاجتماع ونهانا أيضا كثيرا عن التفرق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

آيات أقول كثيرات منها أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، الخطاب لبنينا عليه الصلاة والسلام.

ومنه أيضا ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فالشاهد إن الله - تبارك وتعالى - قد أمر عباده كثيرا في آيات كثيرة وبألفاظ متعددة ومناسبات متباينة أيضا، كل ذلك يأمر الله - عز وجل - عباده أن يجتمعوا.

فالاجتماع أصل عظيم من أصول الدين نعم، ومطلب عظيم من مطالب الديانات جميعا، ورسول الله تبارك وتعالى كلهم جميع رسل الله - عز وجل - جاءوا لهذه المهمة لاجتماع الناس، لذلك كان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرسِلُ في الأمم، ويرسل في الأقوام الأنبياء والمرسلين ليجتمع الناس على كلمة الأنبياء والمرسلين؛ لأنهم إذا لم يجتمعوا على نبي وعلى رسول فإنهم لن يجتمعوا على غيرهما أو من هو دون الأنبياء ودون الرسل.

الأصل أن الناس يريدون ما يجمعهم من أمر الله - تبارك وتعالى - وعلى أمر الله تبارك وتعالى، لذلك من أعظم مهمات الأنبياء والرسل اجتماع الناس، لذلك كان ربنا - عز وجل - يؤيد الأنبياء ويؤيد المرسلين بكثير من الآيات والعلامات الدالة على أنهم من عند الله - تبارك وتعالى - ، وبأمره، لتحمل الناس على تصديق الأنبياء وعلى تصديق المرسلين وعلى الاجتماع على كلمة الأنبياء والمرسلين، لما فيه خيرهم ولما فيه سئوهم إن هم آمنوا وصدقوا وتابعوا الأنبياء وتابعوا المرسلين.

فكانت الآيات والمعجزات تترا على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما ذاك إلا رحمة من ربنا تبارك وتعالى لأولئك الناس وأولئك الأمم، حتى يصدقوا أنبياءهم ويصدقوا رسلهم، وبذلك يفوزوا مفازين: فوزا عظيما في الدنيا، وفوزا عظيما عند الله تبارك وتعالى.

فالشاهد أن القرآن والسنة فيهما الكثير من الآيات والأحاديث التي تأمر بالاجتماع وتنهى عن التفرق

أيضا، نعم.

وهذه من أصول أهل السنة والجماعة، من الأصول التي بنى أهل السنة والجماعة عليها مذهبهم أنهم يدعون ويعتنون عناية عظيمة في دعوتهم في الناس على أمر الاجتماع، فيسعون سعيًا صادقًا إلى توحيد الأمة، وإلى اجتماع كلمة الأمة وإلى عدم تفرق فرد منها من هذه الأمة، وهذه العناية واضحة ظاهرة في دعوتهم رحمة الله على من مات منهم جميعًا، وكذلك من أصول أهل السنة والجماعة، وهذه يجب أن نتنبه لها من أصول أهل السنة والجماعة:

أولاً: الدعوة إلى توحيد الأمة وجمع شتاتها والنهي عن التفرق في أي قول وفي أي مذهب، لا في العقائد ولا في العبادات ولا في غيرها، اجتماع صادق، اجتماع تام واجتماع كامل لأمر الأمة، في جميع دين الله تبارك وتعالى.

وأيضا من أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يؤمنون بإيمان جازما بأن الفرقة والتفرق والتحزب لا بد واقع في هذه الأمة، نعم وهذا لا يعد تناقضا، لا منافاة بين الأمرين وبين الأصلين:

الأصل الأول: الصدق نعم، والاعتناء بجمع كلمة الأمة في جميع أمور الدين.

الأصل الثاني: هو الإيمان الجازم بوقوع التفرق ووقوع التحزب والتشتت في هذه الأمة، ونعني بهذه الأمة: الأمة أمة الإجابة الذين استجابوا لنبينا عليه الصلاة والسلام.

وهذا مقتضى - أعني الأصل الأول والثاني - هو مقتضى فهم نصوص الكتاب والسنة، ولا منافاة بين الأمرين، كما يدعي كثير من أصحاب الدعوات وأصحاب الصياحات والصراخ وغيرهم، أن هذا من التناقض في أصول مذهبكم، لا والله لا يعد هذا تناقضا عند العقلاء فضلا عنه عند الفضلاء، ليس هذا من التناقض في شيء أبدا، إذ مقتضى نصوص الكتاب والسنة، مقتضى النصوص في كتاب ربنا وفي سنة نبينا أن ندعوا الناس إلى الاجتماع، وأن نؤمن بإيماننا جازما بتفرق الأمة ووقوع هذا التفرق، وأن هذا التفرق ليس تفرقا هينا، وإنما هو تفرق عظيم في أصول الدين وفي فروعه أيضا، هذا مقتضى النصوص، والجمع بين هذا الأصل وذاك الأصل كما قلت، فالكتاب والسنة فيهما الأمر كما يذكر الشيخ باجتماع الأمة.

إذن هذا هو الأصل الأول.

وكذلك في الكتاب والسنة إخبار وفرق عظيم بين الأمر وبين الخبر، الأمر في الكتاب والسنة أمر بجمع كلمة الأمة لذلك في دعوتنا ندعو الناس ونحمل الناس على الاجتماع في أي أمر من أمور الدين، وجاء في الكتاب والسنة أخبار كثيرة جدا عن نبينا - عليه الصلاة والسلام - تفصيلا لا إجمالا أن الأمة لا بد لها أن تتفرق.

إذن ذاك أمر في الكتاب والسنة، وهذا خبر، فأصلنا الأول مبني على أمر الله وأمر رسوله، وأصلنا الثاني

مبني على خبر الله وعلى خبر رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا منافاة بين الأصليين وبين الأمرين أبداً، إن تدبر العاقل وكان يستطيع أن يجمع بين الأمر وبين الخبر.

فالأمر الشرعي يجب علينا أن نقوم به وأن نعمل به.

والخبر في الكتاب والسنة واجب على كل مسلم ومؤمن أن يؤمن به إيمانا جازما وأن يصدق بوقوعه. فما أخبر ربنا عن شيء أنه سيكون إلا وجب الإيمان علينا أنه كائن لا محالة، لو اجتمعت الإنس والجن على أن لا يكون والله لا بد أن يكون.

وإذا أخبر نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عن أمر أو حدث أنه سيكون إذن نجزم جزما قاطعا أنه لا بد أن يكون وسيكون في هذه الأمة.

أقول: هذا مقتضى نصوص الكتاب والسنة وهذا مقتضى الجمع بين الأدلة الشرعية وهذا مقتضى الالتفات إلى أمر الله وما واجبنا نحو الأمر وإلى خبر الله أو خبر الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وما هو واجب المسلم نحو الأخبار.

لذلك دائما نقول في شهادة أن محمدا رسول الله. ماذا نقول؟

نقول: تصديقه في ما أخبر وطاعته في ما أمر.

فالأوامر تحتاج إلى طاعة وامتنال وفعل والتزام والأخبار تحتاج إلى تصديق وجزم وقطع. بما أخبر أنه سيكون فإنه لا بد وسيكون في هذه الأمة أو كما أخبر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

كما جاء الأمر في القرآن جاء الأمر في نصوص كثيرة جدا في سنة نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بالأمر بجمع الكلمة واجتماع الأمة وعدم التفرق والوعيد الشديد للمخالفين الذين يخالفون أمر الله وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويكفيها فيه حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي))** ^(١) ثم قال: **((ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض))** ^(٢)، التفرق من فرق أيضا بين الكتاب والسنة فإنه ممن خالف أصول الكتاب والسنة، فلذلك الأمة لا تجتمع إلا إذا اجتمعت اجتماعا صادقا كما في هذا الحديث على كتاب ربنا وعلى سنة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهذه النصوص الكثيرة في القرآن والسنة التي أمرت بالاجتماع وأخبرت عن التفرق أقول: الأمر

(١) الموطأ: كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم، ١٦٦٢. مرسلا، وقد وصله ابن عبد البر.

قال الشيخ الألباني في رسالة التوسل وأحكامه: إسناده حسن.

(٢) وهذه الزيادة فهو في المستدرك للحاكم.

بالاجتماع تضمن بيان كثير من أصول الاجتماع؛ يعني ما هي الأصول الواجب علينا أن نتبعها حتى تجتمع الأمة أيضا، هذا أقول: جاء بينا واضحا كما ذكر، (واذكر أنه أمر المرسلين بالاجتماع في الدين، وفهامهم عن التفرق فيه؛ ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجائب في ذلك)، ثم صار الأمر جل واقع الناس.

إذن أيضا هتا المصنف رحمه الله على أصول أهل السنة والجماعة، فرّق بين الأمر وبين ما صار إليه حال الأمة؛ لأن هذا مقتضى إيش؟ مقتضى الخبر؛ يعني كلامه في السطور الأولى مقتضى الأمر، (ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه، هو العلم والفقه في الدين)، هذا هو مقتضى الخبر الذي جاءنا عن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى وجاءنا عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تفصيلا. نعم.

أقول: أصول الاجتماع كما هو مقتضى الكتاب والسنة وجدها أهل العلم بحسب الاستقراء؛ استقروا نصوص الكتاب والسنة وجدوا أن مدار الاجتماع يعني الأمور التي بها يحصل الاجتماع أقول: وجدوا مدار يعني الاقتضاء بأمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - والانقياد لأمر الله عز وجل، وجدوه ينحصر في أمرين اثنين فقط؛ يعني كيف تجتمع الأمة؟ على ماذا تجتمع الأمة؟ لماذا تجتمع الأمة؟ ليس بالصراخ ولا بالشعارات ولا بالأنشيد ولا بالحماس ولا بغيره من الأساليب.

الكتاب والسنة والله فيهما الغنية، ومن ترك ما في الكتاب والسنة لن يحصل على هذه النتيجة، الاجتماع لن يكون إلا بالتزامنا بما جاء في الكتاب ولما جاءت به السنة، هذا مقتضى حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومقتضى نصوص الكتاب أيضا.

أقول: مدار أو أصول حصول الاجتماع بالأمة مداره على أمرين:

الأمر الأول: كما ذكر العلماء رحمة الله عليهم الاجتماع وعدم التفرق في الدين والعقيدة، الاجتماع وعدم التفرق في أي مسألة من مسائل الدين والاعتقاد.

الثاني: الاجتماع في الجوانب الاجتماعية والسلوكية والأخلاقية.

وإذا تدبّر العاقل الأصل الأول وهو الاجتماع في الدين والعقيدة ثم تدبر الثاني يعرف البون والفرق العظيم في أيهما يجب الاعتناء والاهتمام أولا.

لذلك دائما نقول في دعوتنا وفي دعوة أهل السنة والجماعة: العقيدة أولا، الاهتمام بالعقيدة أولا، لا تجتمع الأمة إلا إذا اجتمعت في عقائدها، وكمال اجتماع الأمة إذا اجتمعت في سلوكياتها وفي جوانبها الاجتماعية والأخلاقية، نعم.

هذا كمال اجتماع الأمة؛ لكن الأصل في اجتماع الأمة لا يكون إلا إذا اجتمعت في عقائدها وفي

عبادتها -أمور الدين؛ العقائد والعبادات-، ثم بعد ذلك لا شك أن الكمال يزيد -والكمال الاجتماعي يزيد- إذا اتحدت الأمة واتفقت الأمة في الجوانب الاجتماعية، والجوانب السلوكية، والجوانب الأخلاقية. ينظر الآن العاقل، بتدبر العاقل ويقارن بين الدعوات التي تدعو إلى دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، في مقام الدعوة وفي مجال الدعوة، في الأمة الدعوات كثيرة والشعارات أكثر؛ لكن أقول: طبعاً كل هذه الجماعات التي تدعو إلى دين الله - عز وجل - بزعمها تريد توحيد الأمة واجتماع الأمة، وتنتهي عن التفرق، هذا شعارها لأن هذا مطلب.

اجتماع الأمة وعدم التفرق مطلب لا يجيد عنه أحد أبداً، نعم، لذلك كل الدعوات تقول: نحن نريد أن نجتمع الأمة ونجمع المسلمين على كلمة سواء.

لكن كيفية الجمع؟ ما هي أصول الجمع؟

أقول: العاقل ينظر نظرة في هذه الجماعات القائمة اليوم من حيث وعلى مقتضى التزامها بالأصلين اللذين عليهما مدار اجتماع الأمة.

والله لن تجتمع الأمة إذا هي تفرقت في عقائدها، وانظر إلى التاريخ؛ لكن مشكلتنا دائماً نقول: إن هذه الأمة سبحانه الله تقطع صلة واقعها بتاريخها الماضي، ما ننظر إلى التاريخ ولا نعتبر بالتاريخ، وهذا خلل، هذا خلل في المنهج لا شك، تاريخ الأمة هو الأصل أن الإنسان، يعتبر بما مضى، يعتبر بغيره، السعيد من هو اتعظ بغيره، والشقي من كان واعظه من نفسه، فالاتعاض بالغير أن ننظر في التاريخ وتعتبر؛ متى اتفقت الأمة، متى اجتمعت الأمة، متى كان اجتماع هذه الأمة وكانت الأمة قوية تسوس الدنيا كلها متى؟ لما كانت على عقيدة واحدة وعلى عبادة واحدة، لا تكاد تختلف في شيء؛ بل لم تختلف في عقائدها ولا في عباداتها ومسائل دينها، وحتى في السلوكيات والأخلاقيات ما كادت تختلف إلا قليلاً؛ لكن لما دبت الفرقة وبدأت تتفرق الأمة في العقائد والسلوك والعبادات وغيرها تشتت الأمة وضعفت الأمة وهذا واقع حال وهوان الأمة على غيرها من الأمم، هذا سببه.

فأقول: الاجتماع، اجتماع الأمة والله لن يكون؛ لا تاريخ يجمع، ولا دم يجمع، ولا جغرافية أيضاً تجمع، ولا مصالح تجمع، ولا قومية تجمع، ما فيه شيء يجمع، ما فيه وحدة وطنية، وحدة قومية، وحدة تاريخية، كل هذه روابط، نعم هذه روابط؛ لكن لا تقوى على أن تجمع الأمة، ما فيه دولة وما فيه أمة إلا وتسعى إلى توحيد شعبها؛ لأن الشعب هذا ينطلق انطلاقاً واحدة حتى تكون الدولة قوية.

أعطونا دولة استطاعت بكل ما تملك من أجهزة ومن أموال وطاقات وغيرها، وحدت أفراد شعوبها رغم اختلافهم في عقائدهم؟ مستحيل، مستحيل في كل بلاد الدنيا فيه نصراني وفيه مسلم، اتفقوا، اتحدوا، اجتمعوا؟ لا، والله، ما فيه، تصيح الدولة في الليل وفي النهار: الوحدة الوطنية واللحمة الوطنية. لكن هذا

كله هباء، لا تجتمع الأمة ولا يجتمع الأفراد إلا إذا اجتمع ما في قلوبهم، هذا قول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اجتمعوا على دين واحد ثم هو يؤلف بين قلوبكم ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إذا حصل هذا فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعطيكم النتيجة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ متى؟ لما كانت تختلف المشارب نعم ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ متى؟ لما اتفقت على دين واحد، اجتمع الدين فجمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قلوب الأمة ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولا يمكن ترجع الأمة وتعيش هذه الوحدة لا تحتاج جغرافية ولا تحتاج مصالح القومية ولا غيرها إلا اجتماع العقيدة أولا -توحيد العقيدة وتوحيد العبادة وتوحيد الدين-، ثم بعد ذلك توحيد الأمة في الأمور والجوانب السلوكية والأخلاقية وغيرها.

أنظر إلى هذين الأصلين، ثم أنظر كم اعتنى بالأصل الأول وبالأصل الثاني كتاب ربنا وسنة نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - سبحانه الله القرآن كله والسنة كلها - كل السنة وكل القرآن - والله اعتناء بتوحيد الدين، كلمات يسيرات كان يقولها بعض الصحابة (ما شاء الله وشئت) هل كان يتركهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ لا، أبدا.

والله أنظر كم اعتنى نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بجانب الدين وجانب العقيدة وكم اعتنى بجانب العبادات - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في جمع الأمة، ثم بعد ذلك في المرتبة الثانية الجوانب الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية وغيرها.

لكن تأتي الآن جماعة من الجماعات وتنحي أمور الاعتقاد ولا تهتم بالعقائد أبدا؛ بل إذا كلمتهم وخاطبتهم يقولون: مناقشة وكشف الأمور العقائدية ونحدث الناس بأصول عقائدها، هذا من شأنه أنه يفرق الأمة.

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ما جاء في الكتاب والسنة أنه أصل توحيد الأمة عند كثير من الجماعات هو أصل تفريق الأمة، هذه طامة، هذه طامة، هذا انتكاس في المفاهيم، وانقلاب؛ انقلاب يعني حتى في العقلية. ربك - عز وجل - ونيك - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وضعوا لنا خطأ أن الأمة لا تجتمع إلا بهذا، وأنت تقول: إن هذا الذي يفرق الأمة، ثم تفرح بما عندك من دعوة وما عندك من أتباع وعدد وتذكر تاريخ نفسك أنك لك نصف قرن من الزمان وغيره وغيره تدعو إلى دين الله عز وجل، هذه جماعة من الجماعات. جماعة أخرى تصرّح وتنصّ أن مسائل العلم وأن العلم الشرعي عندها ينقسم إلى قسمين:

قسم يتعلق بالفضائل.

وقسم يتعلق بالمسائل.

ثم يقولون ويتبحرون قبح الله تلك الأصوات: أما علوم المسائل لا شأن لها في دعوتنا وفي طريقنا

ومنهجنا.

يا مسكين، ماذا يعنون بعلم المسائل؟ يعني مسائل العقائد ومسائل العبادات واختلافات الفقهاء واختلافات أهل العقيدة، هذه لا تبحث، ممنوع منعاً باتاً التطرق إليها في منهجهم وفي دعوتهم. والقسم الثاني من العلوم الدينية يقول: علم الفضائل نعم هذا هو مجال دعوتنا. نعم الفضائل تكمل الاجتماع مثل ما قلنا؛ لكن والله أمور الفضائل لا تقبل عند الله عز وجل إلا إذا كانت مبنية على أصول العقائد.

هل تقبل فضيلة من الفضائل، هل تقبل الآن يعني أخلاقيات الناس وسلوكيات تقبل عند الله عز وجل بعقيدة منحرفة؟ والله ما تقبل، كما أنها لا تقبل بلا إسلام ولا إيمان، لا تقبل أيضاً بلا صحة اعتقاد. كل الفضائل تبنى على العقائد، فإذا فسدت العقيدة لا تقبل هذه الفضائل أبداً، وإلا الكفار عندهم كثير من الفضائل، تقبل؟ ما تقبل لم؟ لأنهم افتقدوا الأصل الذي يبنى عليه هذا الفرع، هذه فروع تبنى على أصل، فأنت تترك في دعوتك؛ بل وتنص أنك لا تسمح لأحد في منهجك بل وفي دعوتك أن يتكلم في المسائل والعقائد، ولا أن يوحد الأمة في العقائد.

هذه تجتمع مع مقالات الآخرين الذين يقولون: يعني تجمع الأمة ونجمع شباب الأمة، وأصول الاجتماع عندنا أن نتباحث في الأمور التي اتفقنا عليها، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، تجتمع الأمة والله لن تجتمع الأمة وهذا واقعنا.

لذلك نقول: طوبى لمن دعا إلى دين الله - عز وجل - ونُصب عينيه هذين الأصلين:

- توحيد الأمة في الدين والاعتقاد.
 - ثم بعد ذلك توحيد الأمة في الجوانب السلوكية والأخلاقية والاجتماعية.
- لا شك الكتاب والسنة فيهما الكثير من النصوص التي تدعو إلى توحيد الأمة، وإلى سمو الأمة في جوانبها السلوكية والأخلاقية، عدم التحاسد عدم التباغض، عدم البيع على البيع، كل هذه الأمور من شأنها إصلاح هذه الجوانب، وهذه كثيرة؛ عدم الغش، بر الوالدين، الأخلاق، السلوك، البر بالجار، كل هذه الأمور نعم هذه أمور لا بد منها، ولا قوام لأمة إلا بها؛ لكن بعد تصحيح الاعتقاد.

أما مع فساد الاعتقاد فلا يقبل شيء منها أبد.

لذلك نقول: طوبى لمن اشتغل في الدعوة إلى دين الله - عز وجل - ونُصب عينيه الأصل الأول والأصل الثاني، وخاب والله وخسر من نحى وأبعد الأصل الأول واعتنى بالأصل الثاني أو نحى أصلاً من الأصلين، فكيف إذا كان بتنحية الأصل الأول الذي هو الأصل الذي يبنى عليه الأصل الثاني.

نعم، هذا بالنسبة لمن يدعو، وكذلك بالنسبة للجماعة التي تدعو.

لذلك نقول: من أصول أهل السنة والجماعة في دعوتها أنها تعتني عناية فائقة بالعقيدة أولاً؛ إصلاح العقائد، إصلاح القلوب مع ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أولاً، يعني أصلح ما بينك وبين ربك علاقتك بربك عز وجل أولاً التوحيد، نعم علاقتك بالنبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - علاقتك بأركان الإيمان كلها. ثم بعد ذلك علاقتك بالجيران وبالناس وبالأرحام وغيرهم، لا يقدم شيء على ما هو أهم منه. أقول: عامة الدعوات اليوم نعرف جميعاً أنها لا عناية عندها بأمور الاعتقاد؛ بل والله الأقيح من هذا، لو كانت ما تعتني وتسكت طيب؛ لكنها لا تعتني وتصريح أن الاهتمام بأمور الاعتقاد سبب من أسباب التفرق.

نعم ونحن نقول: والله لا اجتماع إلا بهذا الأمر، واضح جدا من حيث النصوص الشرعية؛ بل حتى من حيث واقعنا، والله من حيث الواقع أيضاً المسألة غاية في الوضوح؛ يعني تمزقت الأمة تفرقت الأمة لما دب فيها الاختلاف ولما جاءت الاختلافات في العقائد تمزقت الأمة إلى شذمة وإلى شراذم كثيرة، هانت على الناس وهانت عند الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أيضاً.

إذن الاهتمام في الدعوة أولاً يكون بالاعتقاد في أمور الدين، ثم بعد ذلك في الجوانب السلوكية والأخلاقية وغيرها.

الأصل الثاني الذي ذكره هنا - رحمه الله - المراد منه الأصل الأول، المراد منه ومراده - رحمه الله رحمة واسعة - الأصل الأول وهو اجتماع الناس على أمر الدين كما ذكر (أمر الله بالإجماع في الدين) والدين ما هو؟ إسلام وإيمان وإحسان، الإسلام أركان الإسلام وأصول الإسلام، والإيمان أركان الإيمان.

كيف نوحّد الأمة وكيف نجتمع الأمة على أصول الإسلام وعلى أصول الإيمان؟ حتى نحقق هذا الأصل ونحقق توحيد الأمة في أمر الدين، سواء من حيث الإسلام وأصول الإسلام ومسائل الإسلام، أو من حيث مسائل الإيمان، أقول: هذه أيضاً ذكر أهل العلم وذكر مشايخنا أنها لن تتحقق إلا بأمرين اثنين، تسهيل ما عندنا كثير عشر أو اثنا عشرة كل أصل لا يقوم إلا على أمرين، هذا أيضاً اجتماع الدين لا يمكن أن يتحقق إلا بتحقيق أمرين اثنين، أو بالوقوف عند أمرين اثنين:

الأمر الأول توحيد وتجريد المتابعة للنبى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في جميع هديه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أمور الأعمال، من حيث كفيّتها، من حيث صفتها هيأتها، من حيث كميتها، من حيث وقتها، كل هذا يجب الاعتناء به اعتناءً عظيماً؛ يعني متابعة دقيقة جداً لما كان عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَصَحْبُهُ وَسَلَّمَ في جميع الأمور، وطبعا العقائد أولاً ثم العبادات، وبعد ذلك السلوك والأخلاق؛ يعني الدين كله عقائد، عبادات، وسلوك وأخلاق.

لذلك أهل العلم ذكروه قديماً قالوا: العقائد - أنت تريد وطبعا ما فيه واحد لا يريد-؛ يعني حتى

أصحاب الدعوات التي ذكرناها إن جئت لواحد تقول له: أنت تريد فعلا أن تكون صلاتك كصلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وهل تريد أن تكون عقيدتك كعقيدة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ طبعاً الجواب: نعم. لأن خلاف هذا كفر والعياذ بالله، نعم.

كيف تصل إلى أن تكون عقائدك وعباداتك وأخلاقك وسلوكك أيضاً مثلما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نقول: ما عليك إلا أنك تتقيد بما كان - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فتعرف - وهذا معروف -؛ يعني معرفة هذا الأمر واضح جداً وسهل؛ لأنه يعرف من خلال سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كيف صلى؟ كم صلى؟ متى صلى؟ الأوقات التي صلى فيها؟ كيف صام؟ كيف أمور العقائد كلها؟ العقائد التي نهي عنها؟ الأقوال التي نهي عنها؟ كيف كان يصون التوحيد؟ كيف كان يصون العقيدة؟ كيف كان يحرس العقيدة؟ كل هذه الأمور، كيف كان موقفه من الأنبياء، من الملائكة، من جميع أمور الدين؟

هذه إذا عرفت ما عليك إلا أن تلتزمها، لذلك جاء عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((**من أحدث** **في أمرنا**)) أي أمر؟ تجارة يعني؟ صناعة؟ أمر الدين، ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه**))^(١) وكيف نعرف أن هذا منه أو ليس منه؟ من معرفة سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، اعرف الأقوال التي كان يقولها - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والأفعال التي كان يلتزمها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والأوامر التي أمرك بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم افعل كما هو على مقتضى هذه النصوص الشرعية.

لذلك هل نستطيع أن نعرف أن فعل هذا الإنسان مخالف لفعل النبي أو ما نعرف؟ يعرف بسهولة، لذلك في الأصل الأول الذي هو الإخلاص ما يعرف لأن محله القلب، أما هذا متابعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محله أين محله؟ محله الأقوال والأفعال التي إيش تظهر ويراهها الناس جميعاً، فنعرف الموافق من المخالف، لذلك مجال الإنكار هذا ليس الأول، الأول النصح العام فيه، الأصل الأول الذي مضى؛ ولكن الأصل الثاني انظر للرجل كيف يصلي تعرف صلاته إن كانت موافقة أو مخالفة لما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعقائد كذلك، أنظر أصول العقائد التي كانت عندهم، ثم انظر إلى ما يصرح به وما يعلن ذاك من عقائده؛ لأن كل واحد منهم يقول: عقائدنا كذا، ينص على عقيدته، فإذا قارن بين هذه العقيدة وبين عقائد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة.

فالقضية سهلة ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)) مردود؛ يعني مردود على صاحبه؛ لأن

(١) البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم (٢٦٩٧).

مسلم: كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨).

ربك - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الذي خلقك لا يريد منك أن تعبدَه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إلا بما جاء به محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كل طريق في التعبد لله - عز وجل - في العقائد والعبادات والأخلاق والسلوك غير طريق محمد لا يقبل عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لذلك يقولون: كل الطرق مسدودة إلا طريق محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أنظر سبحان الله المفارقات، هناك من يقول وينص وفي كتبهم: أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، كذبوا والله، الطرق إلى الله كم؟ واحد، والله ما فيه غيره، ما فيه طريق يوصلك إلى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إلا طريق محمد، والله كل الطرق الأخرى مسدودة تمشي، تمشي وبعد ذلك ترى فيه سدا؛ لا يوصلك إلى الله عز وجل، جميع الطرق مسدودة، ليست مفتوحة.

والطريق الحق الذي يوصلك بحق إلى ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإلى مرضاته، وقربه، والفوز بما عنده عز وجل ما هو إلا طريق محمد، لذلك نقول دائما: في (أشهد أن محمدا رسول الله) وأن لا يعبد الله إلا بما شرع؛ يعني محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما فيه عبادة لله عز وجل تقبل إلا ويكون قد شرعها محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فمتابعة أمر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غاية في الوضوح، هذا هو الأصل الأول متابعة نبينا، فقط تدبروا الصحابة، أنظر للصحابة كيف كانوا يحرصون على متابعة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لماذا؟ لو كانت كل الطرق توصل ما فيه داعي، حتى كثير من الصحابة، كيف النبي كان يجلس؟ كان يجلس مثل جلسة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كيف يمشي، فكان يحاول أن يماثل وأن يحاكي مشية نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أما في أمور الدين قال: ((**صلوا كما رأيتموني أصلي**))،^(١) توضحا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم قال: ((**لا يقبل الله وضوءا**)) يعني غير هذا الوضوء لا يقبله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الصلاة قال: ((**خذوا عني مناسككم**))،^(٢) كل أمور الدين يجب أن نأخذها عن محمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فقط لا عن غيره، وانظر للصحابة موقف الصحابة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله كانوا يحاكونه في كل شيء، هذه المتابعة، فالمتابعة؛ متابعة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تجريدها لمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا أصل شرعي لا يقبل الله - عز وجل - عملا إلا به، وأيضا هو أصل عظيم جدا من أصول جمع الأمة على كلمة

(١) البخاري: كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، حديث رقم (٦٣١).

(٢) مسلم: كتاب الحج، باب استحباب رمي جمره العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((لتأخذوا عني مناسككم))، حديث رقم (١٢٩٧).

واللفظ للنسائي: كتاب مناسك الحج باب الركوب إلى الجمار واستظلال الحرم، حديث رقم (٣٠٦٢).

سواء؛ بل لا تجتمع الأمة إلا بهذا.

الأصل الثاني وهو أيضا من الأهمية بمكان عظيم، الأمة ما يمكن أن تجمع إلا على هذين الأصلين: تجريد المتابعة لحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في جميع أمور الدين.

ثم بعد ذلك يقولون: الوقوف على فهم الصحابة يعني يائش الوقوف على فهم الصحابة؟ يعني متابعة الصحابة.

متابعة الصحابة، لماذا الصحابة؟ لأن النصوص الشرعية أمرتنا بذلك، الكلام ليس من عندنا، الكلام ليس من عندنا، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((عليكم بستني، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ))^(١) يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث تفرق الأمة أنظروا الحديث هذا العظيم يقول: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي)) يجب أن نؤمن أن الأمة ستفترق ((وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين، كلها في النار))، سبحان الله، أمة محمد، أنظر الوعيد قال: ((كلها في النار إلا واحدة))، أنظروا لحرص الصحابة قالوا: من هي يا رسول الله؟ ما سألوا عن الفرق التي في النار، نحن نريد أن نكون من الفرقة الناجية، من هي يا رسول الله؟ فقال: ((هي الجماعة))^(٢).

لذلك قال: أمر الله بالاجتماع، الجماعة، من هي الجماعة؟ فسرّها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الجماعة برواية أخرى قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))^(٣) سبحان الله فقط احفظ هذه يا عبد الله، احفظ هذه إذا أردت أن تكون، طبعاً ما فيه واحد إلا ويريد أن يكون من الفرقة الناجية، الناجية واحدة والهالكة كم؟ اثنتان وسبعون هلكى؛ لأنه قال في النار لهذا حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كلها في النار إلا واحدة)) الواحدة هذه من؟ قال: الواحدة هذه التي كل أفعالهم تكون على مثل، تعرفون المثلية؟

(١) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

سنن أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧).

سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): حديث العرياض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٩).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة (٦).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. قال الشيخ الألباني: حسن.

يقال: فلان مثل فلان، المثلية في إيش في الأشكال في الألوان في الملابس؟ لا، المثلية في الدين، المثلية في مسائل الدين، الذي ماثل دينه دين محمد والصحابة، ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))، فالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو الذي أدخل الصحابة، لذلك مماثلة الصحابة ومحاكاة الصحابة والإقتداء بالصحابة ومتابعة الصحابة أصل عظيم من أصول النجاة، بل لا نجاة إلا بهذا والله ما فيه نجاة لن تنجو من وعيد الله - عز وجل - وعذاب الله إلا بأن تكون مثل محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في دينه ومثل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً.

بل عندنا دليل أيضاً غير هذا وهو قول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وبعض الناس يقول هذا حديث - يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥]؛ يعني الذي يخالف الرسول ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، يعني مخالفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعدم إتباع سبيل المؤمنين ﴿تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]؛ يعني مخالفة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعدم اتباع سبيل المؤمنين، من هم المؤمنون؟ الصحابة، من حيث العلمية ما فيه كلام، قولاً واحداً، فمخالفة محمد ومخالفة الصحابة ماذا تسبب، اسمع إلى كلام ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قال: ﴿تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، والعياذ بالله، وعافانا الله وإياكم ﴿تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ لم؟ لماذا يا ربنا؟ لأنه خالف محمد وخالف طريق الصحابة؛ السبيل يعني الطريق.

لذلك والله لا نجاة ولا سلامة إلا بإتباع محمد وإتباع الصحابة، كل أمر من أمور دينك اربطها بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبالصحابة، كل مسألة، كل شيء تدعى إليه أو تحاول تفكر أن تعمله لله عز وجل، لحظة، هذا الفعل الذي أنا أفعله هل فعله رسول الله؟ هل فعله أصحاب رسول الله؟ إذا فعلوا افعل، إذا لم يفعلوا ما وجدت أن النبي قد فعله ولا الصحابة فعلته، فواجب عليك عدم الفعل؛ لأنك أنت هديك في الحياة الدنيا وهمك في الحياة الدنيا أن تكون في أمور الدين مثل ما كان عليه محمد وما كان عليه الصحابة، كل من جاء إلى قيام الساعة، ويكون مثل ما كان عليه محمد والصحابة فهو الذي ينجو ويستحق النجاة ومن عداه فإنه لا يستحق النجاة أبداً، فهم الصحابة، ومتابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا هو الميزان الشرعي لجميع الأعمال؛ بل والله نقول: ليست فقط أصول الاجتماع وأصول النجاة؛ بل أصول القبول، أصول الدين والتدين عند الله عز وجل.

لا يقبل الدين إلا إذا كان مثل ما كان عليه النبي ومثل ما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

لذلك دائما كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول في كل شيء كان يقول بعد ما يذكر: **((فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))** - ماذا يقول؟ ثم يقول: **((وكل بدعة))** البدعة هي المسألة التي لا مثلية فيها، البدعة يعني ما اخترعه الناس، بدعة شيء جديد، ما كان لا في زمن النبي ولا في زمن الصحابة، ما فعله محمد ولا فعله الصحابة، قال: **((وكل بدعة ضلالة))** هذه في صحيح مسلم، وزاد النسائي رحمه الله قال: **((وكل ضلالة في النار))**،^(١) النصوص كلها مجتمعة ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار، لم؟ لأنهم ابتدعوا؛ ابتدعوا في العقائد، ابتدعوا في العبادات، ابتدعوا في السلوك، ابتدعوا في المعاملات، ابتدعوا في كل شيء.

((كل بدعة ضلالة)) الآن قف أنظر هذه الجماعات التي تدعو إلى دين الله - عز وجل - من منها يقول: إن كل بدعة ضلالة؟ سل نفسك هذا السؤال، وانظر كم من الجماعات القائمة اليوم إذا أتوا عند هذا الحديث يقول لك: اسمع يا عبد الله ترى البدعة تنقسم إلى قسمين، بدعة حسنة، وبدعة ضلالة من أين أتيت هذا الكلام؟ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **((وكل بدعة ضلالة))** والصحابة عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عمر، الصحابة كلهم بلا استثناء قالوا: كل بدعة ضلالة. عبد الله بن عمر يقول: وإن رآها الناس حسنة. لا إله إلا الله؛ يعني حتى الذي يراه الناس أنه شيء طيب، لا، ما دام أنه لم يفعلها محمد ولم يفعلها الصحابة إذن هي بدعة وكل بدعة ضلالة، بدعة في الدين حسنة ما فيه، بدعة في اللغة، بدعة في أمور الناس، بدعة في الزراعات، في الصناعات ممكن؛ لكن الكلام كله على الاجتماع، اجتماع الناس على الدين.

الدين هو ما جاء عن محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما فعله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جميعا، ولن والله لن تجتمع الأمة جميعا إلا على هذا، **((وكل بدعة ضلالة))**، لذلك أقول: الطريق واضح، وسهل أيضا. لا يوجد واحد يقول ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة، كيف الواحد يسلم وكيف يضمن أن يكون في واحدة من ثلاث وسبعين؟ لا، سهل جدا؛ عليك بالمثلية، إذا أردت تصلي صل مثل صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما تصوم صوم مثل صيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تفعل أي شيء ما تعرف، اسأل هذا الذي يدعوك، قل هذا الذي تدعوني إليه هل فعله رسول الله؟ هل فعله الصحابة؟ إن قال لك: نعم فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا فعله الصحابة، اطمئن وامش افعله، إذا قال: ها، ها. قل: بس يا شيخ اتق الله ولا تدعونا إلى شيء لم يفعله نبينا ولم يفعله الصحابة. أقول: الأمة ما تجتمع والله إلا بهذا.

(١) مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (٨٦٧).

ومخالفة هذا الأمر لاشك أنه ضلالة، كل مخالفة لما كان عليه محمد وما كان عليه الصحابة فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، إذا نحن صرنا نزن كل أمورنا بهذا الميزان الشرعي وهذه الضوابط التي ذكرناها فنسلم بإذن الله، وتجتمع الأمة، وفعلا اجتماعها يكون اجتماعا حقيقيا.

أما اجتماع تجمع الناس في مظلة واحدة، أذكر مثلا ذكره أحد مشايخنا هو الشيخ محمد أمان رحمة الله عليه قال: سبحان الله، مثل من يدعو من أهل السنة والجماعة ومثل من يدعو في دين الله الدعوة من الجماعات الأخرى، قال: مثلهم مثل رجلين قاما على باب مسجد ضخم، مسجد كبير، له باب من هنا وله باب من هنا.

هذا الداعي يقول: هلموا وادخلوا، أدخلوا، المهم ادخلوا.

فيقول: فدخل الناس، من كان على طهارة، ومن كان على جنابة، ومن كان على كذا، ودخلوا. وأما الآخر فكان لا يسمح لأحد بالدخول إلا بعد التطهر طهارة كاملة، يقول بعد ذلك: هلموا، أما هلموا والناس على ما هم عليه، لا.

فأناس يجمعون، فعلا العدد بلغ عندهم يمكن مليون أو أكثر، وعندهم أكثر من نصف قرن وهم يدعون في الدعوة ويقارعون دعوة أهل الحق دعوات كثيرة جدا كلها اليوم تتضارب مع دعوة أهل الحق القائمة على مثلية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة.

كل هذه الدعوات تجمع الناس على ما هم عليه من أفكار، وفعلا حصل الاجتماع وتجمعت الأجساد؛ لكن هل القلوب مجتمعة، لا، الاجتماع الحقيقي والاجتماع الصادق للأمة الذي فيه قوة الأمة، وفيه وعد الله عز وجل بتمكين هذه الأمة، وقيادة الأمة لسائر الأمم لا يكون إلا بعد اجتماعها في أمر الدين، كما حصل لنبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أنظر العرب كيف كانت، جاءهم محمد وحد دينهم، أنظر كيف انقلبوا، كانوا أصاغر، وكانوا لا ينظر العالم إليهم أبدا صاروا يسوسون العالم كله، أعظم دولتين عظميين في ذلك الزمان خلال أقل من عشرين سنة؛ بل عقد واحد من الزمان إلا وتلك الأمة المتخلفة صارت هي التي تقود الدنيا بأسرها.

اجتماع في الدين، أن تجتمع في الدين، والله وعد من الله - عز وجل - بالتمكين والإمامة والقيادة، أما تجمع الناس على عقائد مختلفة السني والشيعة والمبتدع، كل هؤلاء تجمعهم، أجساد لكنهم غثاء السيل كما ذكر نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم أن نلتزم الدعوة الحق، وأن لا تكون دعوتنا إلا بإرجاع الناس إلى تجريد المتابعة لمحمد والصحابة، لأنه والله لن تجتمع الأمة إلا بهذا، ولن تفوز إلا بهذا، ولا يقبل الله عز وجل دينها إلا بهذا.

أسأل الله عز وجل أن يوفقني وإياكم، وأن نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ^(١)



^(١) انتهى الشريط الثالث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ومن والاه وبعد:

تكلمنا في الدرس السابق حول الأصل الثاني، وهو كما مر معنا قبل الشروع في شرح الرسالة -الأصول الستة- أن هذا الأصل جعله رحمه الله في بيان وجوب اجتماع الأمة وعدم التفرق.

وقلنا: إن الاجتماع لا يكون، ولن يتحقق في الأمة، إلا إذا اتبعت طريقاً واحداً وهو طريق النبي عليه الصلاة والسلام، وقلنا: هذا يفرد، وبعض أهل العلم أفرده بنوع من أنواع التوحيد، وقالوا: بتوحيد المتابعة ووجوب أفراد هذا التوحيد لرسول الله عليه الصلاة والسلام، لا يستحق أحد أن يتابع متابعة تامة في أمور الدين إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فواجب على العبد بعد إخلاص التوحيد وإخلاص جميع الأعمال لله - تبارك وتعالى - أن يجرد التوحيد وأن يوحد النبي - عليه الصلاة والسلام - في متابعته له في جميع الأعمال وفي جميع الأقوال من أمور الدين مما يتقرب به إلى ربنا تبارك وتعالى.

وقلنا أيضاً: إن الأمر باجتماع الأمة بالاجتماع في الدين، هو نهي عن التفرق فيه، فالأمر بالشيء نهي عن ضده، لذلك ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن في آيات كثيرات وجوب أو الأمر أو ذكر الوعد بجميل ما يحصل لأهل الاجتماع في الدنيا، كذلك ذكر سبحانه وتعالى نقيض ذلك من الذم والوعيد للذين يتفرون في أمور الدين وفي دينهم ومتابعتهم لأنبيائهم عليهم الصلاة والسلام، وكما جاء الأمر في القرآن في آيات كثيرات منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]، فيه فالله عز وجل يأمر بالاعتصام ويأمر بالاجتماع وينهى عن التفرق والأمر واحد وإنما للتأكيد.

وكذلك جاءت النصوص الكثيرة في سنة نبينا - عليه الصلاة والسلام - كما يقول: (ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب) أي من العجب العجاب من كثرة هذه النصوص حيث يأمر فيها النبي - عليه الصلاة والسلام - بوجوب الاجتماع والنهي عن الافتراق ومدح وبالوعد لأهل الاجتماع وبالوعيد والذم الشديد لأهل الافتراق، نصوص كثيرة وألفاظ كثيرة ومناسبات كثيرة جاءت بها سنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

ثم بعد ذلك يذكر حال الأمة وما صار الأمر إليه، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين والعياذ بالله.

هذا حال الأمة كما يذكر رحمه الله في أيامه، وهو أشد في أيامنا هذه والعياذ بالله.

ثم يقول أيضا عن حال أخرى: **(وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله)** أي لا يدعو إليه ولا يطالب به ولا يدعو الناس إليه ولا يحث الناس عليه ولا يتشدد فيه يقول: **(إلا زنديق)** أي يرمى بأنه زنديق أو يرمى بأنه مجنون أو يرمى بأنه يريد تفرق الأمة، إلى غير ذلك من الأوصاف والألقاب القبيحة التي يلصقها أهل البدع والأهواء بأهل السنة كما هي عادتهم قديما وحديثا.

الشاهد في هذا الأصل الثاني وبيان حق نبينا عليه الصلاة والسلام وهو وجوب الاجتماع، والاجتماع لا يكون إلا بتجريد المتابعة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وأيضا ذكر عليه الصلاة والسلام أن الاجتماع في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون ولا يتحقق إلا إذا اجتمعت الأمة على كلمة سواء في فهم نصوص نبينا وفي فهم نصوص كتاب الله تبارك وتعالى.

وهذا لا يكون إلا بمتابعة فهم الصحابة، لذلك جاءت النصوص الكثيرة التي تحثنا على الجماعة، وخاصة في حديث افتراق الأمة عندما ذكر أن الأمة **((ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحد))** قيل: من هي يا رسول الله؟ قال **((الجماعة))**،^(١) فاجتماع الناس بعد قرن الصحابة على ما كان عليه الصحابة هو الأصل وهو التجمع في دين الله، وهو الطريق إلى اجتماع الأمة وطريق أيضا إلى عدم تفرق الأمة فالنبي عليه الصلاة والسلام حثنا على متابعة الصحابة.

ويقول كثير من أهل العلم منهم البرهاري رحمه الله يقول: إن جماع كلمة (الجماعة) يعني ما يجمع تحقيق كلمة الجماعة واجتماع الجماعة التي أمرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتزامها يقول: إن جماع كلمة الجماعة هم الصحابة.

لا يستطيع الإنسان أن يحقق الجماعة وأن يحقق الأمر والالتزام الذي أمره النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتزامه، قال: هي الجماعة، الفرقة الناجية هي الجماعة، لا يستطيع أن يصير من الجماعة، ولا أن يكون تابعا للجماعة إلا بموافقة الصحابة، وقد جاءت أيضا في حديث نبينا - صلى الله عليه وسلم - رواية وإن كان بعض أهل العلم يتكلم بها ولكنها تفسير لكلمة الجماعة.

فقال: **((الجماعة))** وفي رواية قال: **((من كان مثل ما أنا اليوم وأصحابي))**، هذا أيضا جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرنا أنه جاء في أمر الله - تبارك وتعالى - عندما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، و﴿سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هنا هو سبيل الصحابة أي طريقة الصحابة، وفهم الصحابة، وتطبيق الصحابة، كيف الصحابة فهمت

(١) سبق تخريجه في الصفحة (٦).

نصوص الكتاب، وطبقت نصوص الكتاب، وكيف الصحابة فهمت نصوص أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فمن التزم هذا الفهم وهذا التطبيق كان من الجماعة وكان متابعا للجماعة، يصير متابعا للجماعة بمعنى الصحابة، ويصير من الجماعة بمعنى أنه من أصحاب الفرقة الناجية التي أخبر عنها نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقلنا أيضا: كما جاء في حديث العرباض بن سارية عندما ذكر - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الموعظة البليغة التي ذكرها العرباض رحمه الله ثم قال: قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. فأوصاهم بكلمة جامعة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أوصاهم بالسمع والطاعة وقال: **((وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا))** الأحاديث تتوافق، والأحاديث كلها بمعنى واحد، نعم، ما تضطرب النصوص أبدا، حديث العرباض بن سارية وحديث تفرق الأمة واحد **((وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا))**، **((ثلاث وسبعين فرقة))** ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **((فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي))** وهذه إشارة إلى الصحابة أيضا.

ففهمنا وتطبيقنا لسنة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يشترط أن يكون مربوطا بفهم الصحابة وتطبيق الصحابة، فمن فعل ذلك فإنه على الجادة، وإنه من أصحاب الفرقة الناجية التي مازال الناس كل فرق الأمة تتغنى بأئمتها من هذه الفرقة، ونقول كما قال الأولون: ليس الأمر بالدعوى، وليست المسألة بالتمني ولا بالتحلي؛ ولكن بتطبيق هذه النصوص الشرعية **((فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور))**، أمور كثيرة جدا سوف نتحدث، هذا خبر نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذه الأمور وهذا التفرق أيضا نؤمن به إيمان جازما.

وهذه قلنا نحن - يعني أصحاب الحديث وأصحاب فقه السلف - مازالوا يؤمنون بأنه من أصول عقائدهم الدعوة إلى اجتماع الأمة وعدم التفرق، وأيضا من أصول عقائدهم الإيمان الجازم والتصديق التام، بأن الأمة ستفترق، وأن الفرقة لا بد وأنها تنتشر انتشارا عظيما، وهذا خبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومثل ما قلنا: هذه ما فيها منافاة وما فيها تناقض؛ لكن هذه نصوص أمرنا الله - عز وجل - ورسوله بها وهي الأمر بالاجتماع والنهي عن الافتراق، وهذه أيضا نصوص في الكتاب والسنة أخبر الله وأخبر الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بتفرق الأمة، فالخبر نؤمن به ونصدق به وأنه واقع لا محالة، والأمر يجب علينا أن نعمل بمقتضاه؛ فندعو الناس إلى الوحي وإلى توحيد الأمة وإلى اجتماع الأمة، واجتماع الأمة - كما ذكرنا وقررنا - أنه لا يكون أبدا إلا بالرجوع إلى فهم السلف، وبالتزام فهم الصحابة.

إن جماع كلمة الجماعة قال البرهاري رحمه الله: هي الصحابة؛ يعني لا تجتمع للإنسان هذه الكلمة ولا

يصير من أهلها، إلا إذا كان متابعاً متابعاً تاماً لما كان عليه سلف الأمة وما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

لذلك نقول: الوعيد الشديد لمن يخالف سبيل المؤمنين، وهذه الدعوة ليست نشاز، وإنما هذه الدعوة هي مقتضى نصوص الكتاب والسنة، يجب على جميع الأمة إن أرادوا الاجتماع وأردوا أن يتحقق فيهم وعد الله تبارك وتعالى، وأن يجتنبوا وعيد الله ووعيد الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما جاءت به النصوص، فعليهم بترك جميع هذه المذاهب وجميع أقوال الناس غير رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكذلك لا يتابعون أحداً إلا الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم الصحابة - رضي الله عنهم - في جميع أمور دينهم مما يعتقدون ومما يفعلون ومما يقولون في الدين لله تبارك وتعالى لا إله إلا هو.

قلنا: الأمة لا بد أن تجتمع في العقائد أولاً، ولا بد بعد ذلك أن تجتمع في السلوك والأخلاق، وغيرها من الأمور المعيشية والحياتية وغيرها؛ لكن هذا الاجتماع لاشك أنه أيضاً مأمور به وأمرنا الله - عز وجل - وأمرنا به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لذلك جاءت نصوص كثيرة جداً تدعو إلى اجتماع الناس في السلوكيات والأخلاقيات وفي المعاشرة وفي البيع وفي الشراء ((**لا تباغضوا ولا تحاسدوا، لا تدابروا، لا تقاطعوا**))^(١) هذه كلها نصوص تدعو إلى اجتماع الأمة في الجوانب السلوكية والجوانب الاجتماعية والجوانب الأخلاقية، هذا مطلوب، لاشك مطلوب؛ لكن هذا المطلوب يرتب ترتيباً أولياً بعد اجتماع الناس في العقائد والعبادات والتدين لله تبارك وتعالى.

ما يصلح ندعو الناس إلى الاجتماع في أمور السلوكيات والأخلاقيات وغيرها، وهم يفترون فيما بينهم افتراقاً عظيماً في أمور العقائد وأمور العبادات وغيرها.

لذلك كلمة الإمام رحمه الله هنا عندما قال: (**ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه، هو العلم والفقه في الدين**) والعياذ بالله؛ لأن الناس مضت عليها قرون وهي تدعو إلى تفرق الأمة في العقائد والمذاهب، فرق عقائدية كثيرة جداً وفرق أيضاً في المذاهب صارت إليه حال الأمة، ولاشك أن الذم والوعيد ينال الأمة في تفرقها في العقائد.

نحن نقول: حتى التفرق في المذاهب لا ينبغي، والأصل أن الناس جميعاً يعبدون الله - عز وجل - على طريقة واحدة الصلاة الكل مأمور أن يصلي بصلاة النبي عليه الصلاة والسلام، الصيام كذلك، الحج كذلك؛ يعني جميع أمور العبادات الأصل فيها توحد الأمة، لكن نقول: الخلاف فيها أهون من الخلاف في العقائد، الخلاف في العقائد أمره خطير، والذم الذي جاء في القرآن والسنة ((**كلها في النار إلا واحدة**))،

(١) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).

هذا يتناول تفرق الأمة في عقائدها والعياذ بالله.

فلذلك يأتي الناس اليوم ويهونون من الخلاف في العقائد، أن هذا الخلاف وأن الأمر الذي يقع بين أهل الإسلام أمر هين والخلاف هين، يقول: لا تزيدوا الشقة ولا تتكلموا في تفرق الأمة. هذه دعوات تخالف دعوة الكتاب وتخالف دعوة السنة.

اسمع يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وأرضاه، اجتمع مع أصحابه وتلاميذه ثم وضع حجرا على حجر؛ يعني أتى بحجرتين كبار وطبعا أحجار الزمان الأول ليس مثل اليوم؛ يعني تكون في الاستقامة والصفاء، ثم وضع حجرا على حجر ثم قال لهم: هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور، قال: انظروا بين الحجر هـذا الذي فوق وبين الحجر الذي تحت كم ترون من النور؟

فقالوا: ما نرى بينهما من النور إلا قليلا. شيء قليل جدا يظهر من النور من تعرجات الحجر الأول مع الحجر الثاني.

ثم قال رضي الله عنه وأرضاه: والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما ترون ما بين هذين الحجرين من النور.

ظهور البدع، تظهر وتنتشر انتشارا حتى يصير حال الناس أنهم لا يرون من السنة المحضة، من السنة التي كان عليها سلف الأمة إلا بقدر ما كان يرى أصحاب حذيفة من النور ما بين الحجرين.

ثم أقسم أيضا قال: والله لتفشون البدع حتى إذا ترك الناس منها شيئا، قالوا: تركت السنة.

البدع تفشوا وتنتشر، فإذا جاء من يدعو إلى ترك البدع ونبذ البدع ومحاربة البدع، ثم تركها الناس ماذا يقولون؟ يقولون: تركت السنة؛ لأنهم اعتادوا عليها منذ قرون، قرون والأمة تمارس كثيرا من البدع، من البدع العقائدية، ومن البدع في العبادات وفي المعاملات والبيوع وغيرها، والسلوكيات كلها بدع والعياذ بالله، لذلك أصبحت البدعة سنة والدعوة إلى السنة كأنها دعوة إلى البدعة.

هذا ما يقوله؛ الدعوة إلى الافتراق هو العلم والفقه في الدين، كونك تتكلم عن المذاهب وتبين اختلافات المذهب، هذا هو العلم، وصار الاجتماع في الدين الدعوة إلى تجمع الأمة الدعوة إلى نبذ هذه الفرق والبعد عن هذه العقائد وغيرها، هذا لا يقوله إلا زنديق.

وهذا حصل قديما وما زال إذا تدعو الناس إلى أن يكونوا على عقيدة واحدة وتتكلم في عقائد الأشاعرة والرافضة والصوفية، قالوا: هذا يدعو الناس إلى تفرق الأمة، هذا دعوته دعوة إلى تفرق وتمزق الأمة، الذي يحذر الناس من البدع دعوته تمزق وتفرق الأمة والعياذ بالله.

هذا هو الواقع اليوم، وهذا طبعا يحارب من قبل المؤسسات التي يمتلكها أهل البدع والأهواء وغيرهم. هذا في العقائد فما بالك في الفروع والمذاهب الفقهية وغيرها، هذا أشد والعياذ بالله، حتى أنه بعضهم

ألف، كبير هؤلاء ألف رسالة عنوانها اللامذهبية؛ يعني الذين يدعون الناس إلى أن لا يلتزموا بمذهب معين، أنك تعبد الله عز وجل بدون مذهب، قال: اللامذهبية، عنوان عريض تحتها قال: **أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية. لا إله إلا الله.**

(اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية)، هذه رسالة وموجودة في المكتبات، ومؤلفها يطلب في كل سنة من قبل وزارة الأوقاف وقيم المحاضرات الكثيرة في مساجدنا ثم يرجع؛ لأنه منظر. (اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية)، ليس تفرق الأمة إلى المذاهب تهدد الشريعة الإسلامية وتمزق الأمة، لا، اللامذهبية؛ كونك تدعو الناس أن يعبدوا الله بلا مذهب، وأن يرجعوا إلى ما كان عليه النبي وما كان، مع أنك لو سألتهم جميعا ما هو المذهب الذي كان عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ ما يستطيع أن يقول: لا المذهب الحنفي ولا المذهبي المالكي ولا المذهب الشافعي ولا المذهب الحنبلي. فأنت إذا دعوت الناس إلى غير هذه المذاهب الأربعة، أنت صاحب أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية. ومنظر آخر يقول: لا أعرف كيف يعبد الله - عز وجل - في هذه القرون بلا طريقة صوفية ولا مذهب فقهي من المذاهب الأربعة. هذا منظر أيضا يشار إليه بالبنان على أنه علامة الزمان. وآخر يقول في عقيدته بعد أن ذكر الأربعة مذاهب:

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

إجماع يعني يجب على المسلم أن يكون على واحد من المذاهب الأربعة، مع أنك لو تسألهم قبل هذه المذاهب، ماذا كانت الأمة عليه؟ يقول: ما لنا علاقة بذلك الزمان، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: **((كلها في النار إلا واحدة))** الجماعة، الصحابة والله ما كانوا لا حنفية، ولا مالكية، ولا شافعية، ولا حنابلة.

فدعوة الناس إلى ما كان عليه الصحابة في هذا اليوم دعوة نشاز، دعوة إلى البدعة والعياذ بالله دعوة لا يتبناها إلا زنديق أو مجنون بزعمهم، وإذا هونوا القول قالوا: لا، الدعوة إلى هذه الجماعة - الدعوة السلفية - هي دعوة إلى تفرق الأمة والعياذ بالله.

الأمر بالاجتماع، أمر الله - عز وجل - بالاجتماع في الدين فهي عن التفرق. هذا متفق عليه. ونقول أيضا إضافة أخرى: والأمر بالاجتماع هو فهي عن الابتداع، هذه مسألة في غاية الأهمية، إذ الدين بالمعنى الذي فهمناه من كلمة الدين والتدين لله - عز وجل - لا يحتمل الابتداع؛ لأن الابتداع هو الخروج على الناس أو إظهار أمر من أمور الدين بطريقة وعقيدة أو فعل أو قول على غير مثال سابق، أبدا، يعني ليس لك فيه سلف أبدا.

لذلك سبحانه الله كم كان السلف حريصون حرصا أكيدا على أن يكونوا في قول وكل فعل لهم من

سبقهم به، هذا الكلام هو الذي ضيعناه اليوم.

لذلك أصبحت الأمة في حال تفرق والعياذ بالله؛ يعني حصل فيها ما ذكره الله - عز وجل - من الوعيد في الذين يتفرقون، تفرقت الأمة، تمزقت الأمة، عقائد سبحانه الله شتى وسمع كثيرا جدا مثل ما قلنا إذا كان الذم يتناول الفروع فالذم في تناوله للأصول والعقائد لا أشك أنه أعظم وأشد في دين الله عز وجل. فلذلك واجب أن نعرف ما كان عليه الصحابة، ثم بعد ذلك نلتزمه التزام ما كان عليه الصحابة في كل صغير وكبير، كل أمر تدعى إليه، كل أمر يراد منك فعله، كل أمر يراد منك اعتقاده تسأل نفسك: هل كان عليه النبي؟ هل كان عليه الصحابة؟ الجواب: نعم، امض، بسم الله اعتقد وقل وافعل كما جاء به الأثر.

أما أن يكون الجواب: لا، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما فعل هذا، انتهى الصحابة ما فعلوا، لا يكون دينا بحال من الأحوال.

أبو بكر الصديق أنظروا كم يسعد السلف دائما في الذكر وربط المتابعة بالابتداع، فالاجتماع لا يكون إلا بإتباع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإتباع الصحابة، وضد هذا هو الابتداع في دين الله عز وجل؛ لأن الابتداع هو أن تأتي بأمر من أمور الاعتقاد، من أمور العبادات، من أمور المعاملات، من أمور البيوع، من أمور الأخلاق، من أمور السلوك، كل شيء في الدين، ديننا هذا شامل لكل مناحي الحياة؛ الجوانب الاقتصادية، الجوانب الاجتماعية، الجوانب العقائدية، ما فيه شيء، كله موجود فيه نصوص كثيرة جدا عن الله عز وجل وعن رسوله وعن الصحابة، فما نخرج بالدين عن هذه الثلاثة كتاب وسنة على فهم سلف الأمة، كثير جدا الفرق كلها كل الفرق الثلاث والسبعين إذا سألتهم قالوا: كتاب وسنة. فرقان ما بين دعوتنا وما بين عامة أهل الإسلام الثالثة، كتاب وسنة ثم نضيف نقول: على فهم سلف الأمة، على ما كان عليه الصحابة.

أبو بكر الصديق لما آلت إليه الخلافة في أول خطبة اسمع ماذا يقول: إن الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه من الآفات. هذا محمد معصوم انتهى ثم قال: وإنما أنا متبع ولست بمبتدع. لماذا يقول الكلمة هذه، ما أهميتها في مثل هذه الخطبة؟ ها ومثل هذه البيعة التي بايع الناس فيها أبا بكر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وأرضاه؟ بعدها قال: وإنما أنا متبع ولست بمبتدع. لأنه لو كان مبتدع لو يحق له الابتداع الذي يسمونه الاجتهاد أو غيره، كان ممكن يجتهد شيء هم عندهم فيه دليل سابق؛ لأن الابتداع هو اختراع شيء على غير مثال سابق؛ لكن ألقى هذه الكلمة في هذه الخطبة ليعلموا أنهم واجب عليهم أن يروا في أبي بكر الصديق صدق المتابعة، وأنه ما فيه شيء خاضع لإيش؟ للاجتهاد أو الابتداع حتى يقال: يمكن هذا رأيه يمكن هذا هو المسألة فيها يرى، المسألة فيها أثر عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: إنما أنا متبع ولست بمبتدع. يقول: فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني.

الله أكبر هذا أبو بكر الصديق، كل أعمالي التي سأعملها فيما بينكم وفي أمور الخلافة هي من أمور الدين أنا فيها متبع، وأنتم تعرفون موافقة المتابعة أو مخالفة المتابعة، فإذا رأيتم الموافقة فأعينوني عليه وإن رأيتم مخالفة عما تعرفونه عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقوموني ذكروني؛ التذكير والتقويم.

عبد الله ابن عباس يقول: عليك بتقوى الله والاستقامة قال: اتبع ولا تبدع. كيف تقوى الله وكيف الاستقامة؟ قال: اتبع ولا تبدع. المتابعة مربوطة بعدم الابتداع، هذه أقوال الصحابة.

عبد الله بن عمر يقول: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس - سبحانه الله كأنه يرى بنور في هذه الأزمنة المتأخرة لأنه كثير جدا من الناس اليوم يقولون: البدعة تنقسم إلى قسمين بدعة سيئة وبدعة حسنة - الله أكبر طبعاً النبي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما مر علينا في الدرس السابق في كل خطبة ماذا كان يقول؟

((وكل بدعة ضلالة)) وزاد النسائي ((وكل ضلالة في النار)).

يجيء الناس يقولون البدعة تنقسم إلى قسمين:

بدعة سيئة تنطبق عليها النصوص الشرعية التي جاءت.

وبدعة حسنة ما كان يعرفها قطعاً لا النبي، ويلزمهم، هذا إلزام لهم، أن هذا الذي تقولون: أنه حسن هذا أمر ما عرفه النبي وما عرفه الصحابة، لأن الذي نحن نعرفه كل فعل لم يكن في عهد النبي ولا في عهد الصحابة ما فعلوه وما اعتقدوه إذن هو بدعة من أمور الدين، أمور الدنيا ما نتكلم عنها، هذه ما تدخل هذه، ما هي من أمور الدين، هذه ما هي تعبد لله عز وجل تعبد ذاتي أبداً، هذه ما تدخل فيها العبادة الذاتية.

نحن نتكلم في أمور الدين كل بدعة ضلالة، وأيضا حديث النبي **((من أحدث في أمرنا هذا))** أمراً يعني في ديننا ليس أمور الدنيا، أمور الدنيا قال: **((أنتم أعلم بدنياكم))** ^(١) النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: افعلوا ما شئتم في أمور الدنيا؛ لكن أمور الدين محدودة، مقيد بما فعله النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وما كان عليه النبي وما كان عليه الصحابة، **((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))** ^(٢) مهما كان، طبعاً هذا الرواية المتفق عليها في البخاري ومسلم، وعند مسلم رواية **((من عمل))** حتى ما يقول واحد **((من أحدث))** يعني من ابتدع، نحن ما ابتدعنا، نحن نفعل البدعة، البدعة أنشئت من قبل قرون، منذ مئات

^(١) مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من معاش الدنيا على سبيل الرأي، حديث رقم (٢٣٦٣).

^(٢) سبق تخريجه في الصفحة (٤٢).

السنين الناس تعمل ونحن نعمل أيضا رواية في مسلم ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**))^(١) يعني من يفعل البدعة، من يمارس البدعة، من يخترع البدعة في أمور الدين؛ لذلك عبد الله بن عمر يقول: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة. إذا التزمنا بهذه الكلمات والله نبراس.

لذلك الصحابة كما ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**أَنَّهُمْ أَمْنَةٌ لِلأُمَّةِ**))^(٢) وجود الصحابة أمان للأمة، والتمسك بما كان عليه الصحابة أمان للأمة، أمان من الافتراق، أمان من أنها تدخل في الوعيد، أمان من أنها تدخل في العقاب والعذاب الأليم، أمان للأمة ما كان عليه الصحابة؛ المنهج الذي كان عليه الصحابة، العقيدة التي كان عليه الصحابة، العبادة التي كان عليه الصحابة.

نعم عبد الله بن مسعود له أقوال كثيرة جدا في مسألة البدعة؛ لأنه الظاهر رأى كثيرا منها قال: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وإياكم والتنطع والتبدع والتعمق وعليكم بالأمر العتيق. الأمر العتيق ما هو؟ الأمر العتيق ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي عندكم فيه برهان وعندكم فيه دليل.

ويقول أيضا: اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم. ما تتحقق المتابعة إلا بنبذ الابتداع، ما يمكن، ما يمكن أبدا. وأيضا كلنا يعرف قصة أبو موسى الأشعري مع عبد الله بن مسعود لما جاءه وأخبره عن الجماعة في المسجد يذكرون الله تعالى مجتمعين، تخلقوا حلقا وعندهم حصى، يقول قائلهم: اذكروا الله قولوا: لا إله إلا الله ألفا، يقولون: لا إله إلا الله ألف مرة قولوا: سبحان الله مائة مرة، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، فرآهم أبو موسى الأشعري استغرب، مع أنه ليش يستغرب؟ -يعني على السنة الناس اليوم- ماذا يفعلون؟ هل هم في مجلس غيبة؟ أحيوا، لا، هل هم في مجلس قيل وقال؟ هل هم في مجلس فجور؟ هل هم في كذا؟ لا، سبحان الله، بين الصلاة والصلاة، ينتظرون الصلاة الأخرى بهذا الفعل، ظاهره حسن أو ما هو حسن؟ أبو موسى استغرب لأن مثل هذا المظهر والمنظر ما رآه في زمن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة، هذا في الكوفة ذهب إلى عبد الله بن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن أنظر ما رأيت، لقد رأيت شيئا عجبا، وما رأيت إلا خيرا يقول. يعني هو عجب أنه ما رأى مثله؛ لكن ظاهره أنه خير، ما فيه شر.

فذهب أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود مع أبي موسى الأشعري إلى المسجد، فلما دخل عليهم فإذا هم على فعلهم ذلك في انتظارهم للصلاة فقال لهم: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ هذا عبد الله بن مسعود

(١) البخاري: كتاب البيوع، باب النجش، تعليقا.

مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة (٩).

وزجرهم وصرخ فيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا: يا أبا عبد الرحمن حصي نعد بها التكبير والتسييح والتهليل وننتظر الصلاة. فقال لهم: عدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيئا أبدا. عدوا السيئات هذا المنهج الذي كان عليه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة، هذا ما فيه تربية للنفس، تعد الحسنات ألف وألفين ثم تطلع تقول هللنا ألفا وسبحنا ألفا وحمد الله ألفا العد عد الحسنات ليس من مذهب السلف أبدا، مذهب مخالف ثم قال: ويحكم أمة محمد ما أسرع هلكتكم، سبحان الله هذا الفعل يقود إلى الهلكة، مع أن هذا الفعل اليوم العامي وغير العامي يقول فيه؛ يعني له فيه رأي يعني العمل طيب، العمل طيب ناس جزاهم الله خير، اجتمعوا في المسجد يذكرون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وفيه دعوات تدعو الناس إلى مثل هذا والعياذ بالله.

لذلك قال: ما أسرع هلكتكم، أنظر الميزان قال: هؤلاء أصحاب محمد متوافرون -الله أكبر لماذا؟ هم العصمة- أنظروا كل إلى أصحاب محمد لم يجتهدون، أصحاب محمد بينكم وأنتم ما تستفيدون ولا تقتدون بهم أو تفعلون شيئا لم يفعلوه، الصحابة أمانة للأمة. والله إذا فهمنا هذه الأصول وهذه المعاني الأمة في خير.

قال: هؤلاء أصحاب محمد متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم على ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لا يدركه.

في مسند الإمام أحمد يكمل الراوي عن أبي موسى وعن عبد الله بن مسعود يكمل الرواية هذه - سبحان الله- يقول: فرأيت عامة أولئك النفر -تدبروا يا إخواني- يقول: فرأيت يعني رأيت معظم الوجوه التي رأيتها في الحلق هذه في المسجد يقول: فرأيت عامة أولئك النفر ينازعونا السيف يوم النهروان. لا إله إلا الله، لذلك الخوارج الذين نازعوا الصحابة والسلف السيف يوم النهروان من هم؟ هم خوارج، من هم الخوارج؟ قوم أصحاب مبالغة وغلو في الذكر والصلاة والصيام والقرآن وغيره.

فالمسألة ما هي أنك ماذا تعمل لا، هل عملك هذا موافق أم غير موافق، فقط، هذا الميزان ((من عمل عملا ليس علينا أمرنا فهو رد))، وإن اجتمعت الأمة وقالت: هذا عمل خير، قل: ما دام ما فعله الصحابة وما فعله - النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والله ليس بخير.

يقول: فرأيت عامة أولئك النفر ينازعونا السيف؛ يعني يقاتلوننا بالسيوف يوم النهروان في معركة النهروان ضد علي بن أبي طالب وضد الصحابة والتابعين الذين كانوا مع علي بن أبي طالب. شايفين من هم؟ الذين كانوا مجتمعين في المسجد، فلذلك نقول: يعني لا تنظر الميزان نحن دائما نقول والناس كلها تقول

والكل يحفظ هذا: الأعمال كلها لا تقبل إلا بميزانين:

الميزان الأول: الإخلاص.

الميزان الثاني: المتابعة.

ما فيه ميزان عند أحد من الناس أن هذا عمل ظاهره الخير، لا، المتابعة، كما أن الإخلاص لا بد منه فالمتابعة لا بد منها، والمتابعة ضد الابتداع، ليس فقط ضد التفرق، نعم الاجتماع ضد التفرق والاجتماع ضد الابتداع، ما يمكن أن تبتدع الأمة وتجتمع الأمة مستحيل.

فلذلك يعني نستفيد من هذه الروايات الكثيرة عن الصحابة وعن سلف الأمة، وننظر إلى واقع الناس اليوم، واقع الناس اليوم والله جل الدعوات كما ذكرنا في الدرس السابق تعتمد اعتمادا كبيرا على توحيد الأمة وعلى جمع الأمة على أعمال الخير، أعمال البر، أعمال الزكاة، فطور جماعي، إفطار الصائم، مشروع كذا، كلها مشاريع جيدة، وهذا أمر مطلوب في دين الله عز وجل، اجتماع الأمة في الأمور السلوكية في الأمور الأخلاقية، نعم هذا مطلوب؛ لكن هذا لا يقدم على اجتماع الأمة في عقائدها وعبادتها، هذا لا يمكن أبدا، لا يمكن اجتماع الأمة الذي أمر الله عز وجل به اجتماع في الدين واجتماع في السلوك والأخلاق والتكافل والتناصر. نعم التكافل مطلوب كل مطلوب؛ لكن جل الدعوات اليوم والله تقوم على قضية التكافل والتعاون والبر والصلة هذا مطلوب لاشك ولا بد للأمة منه؛ لكن هذا المطلوب يرتب ترتيب ثانوي.

الترتيب الأول اجتماع في العقيدة واجتماع في العبادات.

ثم بعد ذلك الثاني تبع.

نحن أن نعرف أن الله - عز وجل - يعني كما أمر بأن تكون الأمة على ما كان عليه الصحابة، والنبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أمر بذلك أيضا كذلك جاءت نصوص كثيرة جدا تأمرنا أمرا قاطعا بعدم التدابر وعدم التشاحن، حتى قال: ((لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه، ولا يسم أحدكم على سوم أخيه))^(١) ((ولا يبيع أحدكم على بيع أخيه))^(٢) هذه كلها حتى تجتمع الأمة في هذه الجوانب؛ الجوانب الأخلاقية الجوانب الاجتماعية، هذا أمر مطلوب؛ لكن هذا المطلوب لا يكون هو يعني ركيزة الدعوة، ركيزة الدعوة العقيدة أولا لو كانوا يفهمون.

(١) مسلم: كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، حديث رقم (١٤٠٨).

(٢) البخاري: كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، حديث رقم (٥١٤٢).

مسلم: كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك، حديث رقم (١٤١٢).

فالدعوة التي ما تقوم على توحيد العقيدة هذه دعوة لا يمكن لها أن تجمع الأمة، وانظروا إلى الدعوات التي تقوم على الجوانب السلوكية وغيرها هذه كلها لها أكثر من نصف قرن من الزمان، هل وحدث الأمة لا والله، ولن توحد.

لذلك نقول: هذا الأصل الأول، الأصل الثاني وهو الأمر باجتماع الأمة، الأمر بالإجماع هو نهي على الافتراق ونهي عن الابتداع، لا بد أن نركز في دعوتنا في محاربة البدعة، نحارب أهل البدعة، نحارب الدعاة إلى البدعة، نجتنب مواطن البدعة، نجتنب الناس الذين يفعلون البدعة، ما تقول هذا عمل خير، البدعة لا خير فيها، البدعة كلها ضلال، وإن رآها الناس حسنة.

سفيان الثوري يقول: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها وأما البدعة فلا يتاب منها، لماذا البدعة ما يتاب منها؟ لأن صاحب البدعة لما يفعل البدعة يعتقد بينه وبين نفسه بينه وبين أصحاب دعوته أنهم محسنون ويتقربون بفعلتهم هذه إلى الله عز وجل، فمتى يتوبون منها؟ إن كانوا يعتقدون أن هذا الفعل يتقرب به إلى الله عز وجل، طيب هذا ما فعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أغرب ما قرأت في هذا ما تزعمه الأشاعرة واسمع البغدادي وغير البغدادي يعني أساطين المذهب الأشعري ماذا يقولون؟ طبعاً كلهم ألفوا تأليفات في شرح حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، لذلك لهم دراية بأصحاب العقائد المختلفة المفرقة فلما جاؤوا إلى عقيدتهم وهي العقيدة أشعرية وهم يظنون أن عقيدتهم هي عقيدة أهل السنة، وما زالوا يقولون: أن عقيدتهم هي عقيدة السلف، وأن هذا الكلام لا بد منه؛ يعني المعتزلي يقول: أن عقيدته هي الصواب وغيرها باطلة، الرافضي إيش يقول عن عقيدته؟ يقول: عقيدتنا هي الصواب وعقيدة غيرنا باطلة؛ لأن العقيدة ما تحتمل المساومة لا بد أن تعتقد أن عقيدتك هي الصواب وعقائد المخالفين لك هي باطلة. العقيدة ما تحتمل التعدد.

قلنا في الفقهيات التعدد محتمل؛ لكن في العقائد التعدد غير محتمل، أبداً.

مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب هذا في الفقهيات في الفروع ممكن، أما في العقائد لا والله كل الناس في العقائد يقولون: مذهبنا صواب لا يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ لا يحتمل الصواب، هذه العقيدة لأن العقيدة جزم وقطع ما فيه تردد أبداً.

ماذا يقولون عن عقيدتهم الأشعرية قالوا: نعم هي عقيدة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة، وما فيه فرق إلا مسألة واحدة. قالوا: عقيدتنا تختلف عن ما كان عليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة في شيء واحد. ما هو؟ قالوا: التأويل، التأويل ما كان في زمن النبي وما كان في زمن الصحابة. نحن نقول لهم بس هذا تركوه، قالوا: والتأويل تحسين لما كان عليه النبي وما كان عليه الصحابة. وهذا من أغرب ما قرأت.

يعني شيء لم يكن في عصر النبي والصحابة يعتقدونه إيش؟ تحسين؟ تزيين لما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولما كان عليه الصحابة، نحن فقط نسألهم سؤالاً واحداً وهل ما كان عليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة يحتاج إلى تزيين وتحسين، هل يحتمل الزيادة لا والله لا يحتمل الزيادة.

يقول الإمام مالك - رحمه الله - في التحذير من البدعة وأهلها يقول: إياكم والبدعة، في الحقيقة الإمام مالك - رحمه الله - له أقوال وله مذهب لعله من أشد المذاهب على أهل البدع، رحمة الله عليه رحمة واسعة يقول: إياكم والبدع. قيل: وما البدع يا أبا عبد الله؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته. هذا الكلام ما يعجب كثير من الناس. وكلامه وعلمه وقدرته الذين يتكلمون ويخوضون في هذه الأمور هم أهل البدع قال يعني: شعارهم أو سبب بدعتهم قال: لا يسكتون عما سكنت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان. سبحانه الله.

ثم يقول: لو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة كما تكلموا في الأحكام؛ ولكنه باطل يدل على أنه باطل.

الشاطبي - رحمه الله - أيضاً يحذر من الكلام وأهله، الشاطبي - رحمه الله - له كلام نفيس جداً في البدع وأهل البدع يقول ينقل عن ابن الماجشون يقول: قال: سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة. وما فيه صاحب بدعة إلا وهو يراها ما فيه صاحب بدعة يقول عن بدعته أنها باطلة لو باطلة لما استمر بما ولا دعا الناس إليها يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ وذلك لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يقول الإمام مالك بعد الآية أيضاً يقول: فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً. سبحانه الله هذه كلمة تكتب بالذهب، ما لم يكن يعني الشيء أي كان في العقائد في العبادات في المعاملات، في البيوع، في كل شيء، ما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم - هذا في عهد الإمام مالك - كيف لو عاش الإمام مالك إلى هذه الأزمنة المتأخرة رحمة الله عليه.

يقول الأوزاعي رحمه الله أيضاً له كلمة جميلة جداً في قضية البدعة، يقول: اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم. - من القوم؟ الصحابة - وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم. يسعك في أمور الدين ما وسع الصحابة، لا تأت بشيء جديد، لا تزيد، وكل من يذكر حديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الثلاثة الذين أرادوا الزيادة على فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ، ونعرف الوعيد والتحذير الذي ذكره ((ومن رغب في سنتي فليس مني)).^(١)

أقوال كثيرة، الإمام أحمد رحمه الله يقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله. نعم كتاب وسنة، لاشك؛ لكن لأن الكتاب والسنة تحتل وجوها والكل يدعيها، الفرقان بين أهل السنة وأهل البدعة أفعال الصحابة وأقوال الصحابة فهم الصحابة، يقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله، والإقتداء بهم وترك البدعة وكل بدعة ضلالة. هكذا يقول الإمام أحمد رحمه الله. ويأتي ناس يقولون: تنقسم إلى كم؟ تنقسم على قسمين، ويستغربون ممن يقول أن البدعة لا تنقسم، هذا أمر مستغرب عندهم، لذلك شيخنا الألباني رحمه الله كل شيء بدعة عنده، هذا عيب عندهم، كثرة التحذير من البدع وأهلها هذا أمر معيب.

الحقيقة فيه كلام طيب جدا للشاطبي رحمه الله ذكره لعلنا نذكره في الدرس القادم أو ارجعوا له واقرواوه يعني يذكر أن الأمة أجمعت على وجوب الإتيان وعلى ترك الابتداع، أقوال الصحابة، أنتم خلوكم في القرن الأول في قرن الصحابة وقرن التابعين، في قرن الصحابة وقرن التابعين كل النصوص؛ يعني نصوص القرآن والسنة في الأصل، ثم النقول عن الصحابة وعن التابعين والله كلها تأمر بالإتيان وتنهى عن الابتداع أيا كانت البدعة لذلك يقول الشاطبي رحمه الله: المسألة إجماع أجمعت الأمة في القرن الأول على وجوب الإتيان وعلى ترك الابتداع.

أنظر إلى حال الأمة اليوم قال لك: البدعة لا بد أن البدعة تنقسم وجوبا، والذي خالف الوجوب يكون أثما فالذي يقول البدعة ما تنقسم مخالف للواجب فهو آثم في دعوته.

كذلك الشاطبي رحمه الله ذكر حقيقة الإجماع، وذكر ليس فقط الإجماع حتى العقل يعني يتفق مع هذا الكلام الذي هو إجماع الأمة على وجوب المتابعة وعلى ترك الابتداع في دين الله عز وجل.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وأن يوفقنا لمتابعة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وما كان عليه الصحابة وأن يجنبنا البدعة وأهلها.

[الأسئلة]

س١/....

ج/ البدعة معناها الاختراع، والمعنى اللغوي شيء كلامنا كله لا يتكلم لا عن المعاني اللغوية ولا عن المعاني الدنيوية، ما يتعلق بالمعنى اللغوي أو أمور الدنيا لا تتناولها البدعة، نحن نتكلم عن البدعة الاصطلاحية

(١) البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في المكاح، حديث رقم (٥٠٦٣).

مسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه... حديث رقم (١٤٠٠).

في دين الله، إضافة شيء إلى دين الله لم يكن، آتي واحدة فقط مما ذكرت إضافة شيء ما كان في أيام الصحابة وما كان في أيام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جمع القرآن ما كان، جمع الحديث، الأحاديث كلها كانت، ما فيه اختراع شيء جديد البدعة، المنهي عنها البدعة المذمومة البدعة التي فيها الوعيد، إضافة شيء إلى دين الله من عقيدة أو عبادة أو سلوك أو بيع أو معاملة أو غيرها، إضافتها وهي لم تكن في السابق، ما كان عليها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثل انظر الأشاعرة ماذا قالوا؟ قالوا: نحن ما عندنا زيادة على ما قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة إلا التأويل، قالوا: التأويل عبارة عن تحسين لما كان عليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة.

فعل قبيح وعذر أقبح منه، نقول: ما كان في عهد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما يحتاج إلى تزيين ولا يحتاج إلى تحسين، وبعدين التأويل يقولون: لا، التأويل يتناول مذهب الأشاعرة من أوله إلى آخره كل أمور الدين دخل فيها التأويل بسبب الأشاعرة.

فلذلك نقول: يعني جمع عمر بن الخطاب الناس، جمعهم على أمر فعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفعله الصحابة، النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جمع الناس وصلى بهم التراويح، فنعمت البدعة لغوية، نقول: نحن البدع التي عندنا السيارة بدعة، ما كانت النظارة السماعية والميكروفون بدعة نعم اختراع؛ لكن هل هذه الأمور دينية هل هذا يضاف إلى دين الله عز وجل؟ لا، ما يضاف إلى دين الله، نحن نتكلم على البدعة الدينية، البدعة الاصطلاحية، البدعة في الاصطلاح؛ يعني إضافة شيء من العقائد إضافة شيء من العبادات أما غير هذا لا، نعم

ويرد عليه أيضا بأقوال الصحابة كلها، كل بدعة ضلالة، يعني كل بدعة دينية يعني ((من أحدث في أمرنا)) يعني في ديننا أما في أمور الدنيا، ((أنتم أعلم بشؤون دنياكم)) هذا حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشؤون الدنيا ما تدخل أمور الدين الزيادة الدين، الزيادة في الدين هي البدعة المذمومة. نعم.
س٢/...

ج/ نقول: والله الجماعات التي في الساحة لا نستطيع أن نقول: إنها من التفرق القضية تحتاج إلى تفصيل، القضية تحتاج إلى تفصيل، على كل نحن نمسك واحدة منها مثال.

مثل جماعة الإخوان المسلمين جماعة قائمة ولها كيائها، الدنيا كلها تعترف فيها، ما نقدر نقول: جماعة الإخوان المسلمين هي فرقة، أنا ما أقول أنها فرقة، وعدم القول بأنها ما هي فرقة ليس مدحا لها، أبدا لا هذا عندي ما يعرف، أنا أقول: الفرقة التي نعتبرها فرقة في الاعتقاد مثل الأشاعرة، مثل المعتزلة، مثل الماتريدية، مثلا الصوفية؛ لأنها جماعة فرقة لها أصول عقائدية تتبناها وتعمل بها وتدعو الناس إليها، هذه الفرقة؛ يعني الفرق في العقائد هي الفرقة التي تتبنى عقيدة معينة، غير عقيدة الصحابة، وغير عقيدة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وَسَلَّمَ - عندها شيء في الاعتقاد أمر زائد في الاعتقاد وهذا الأمر الزائد تجتمع عليه وتوالي عليه وتعادي عليه وتدعو الناس إليه وتلتزمه فعلا وقولا.

فالإخوان المسلمون ليسوا من هذا الباب؛ لأنهم أصلا ما عندهم لا يعتمدون على عقيدة معينة بالعكس، يقولك خلي عقيدتك في بطنك يعني في صدرك ولا تظهرها، وتعالى نجتمع نحن وإياك على الأمور التي اتفقنا عليها، عندهم أمور عامة يتفقون عليها؛ لأنهم عارفين أن العقائد فيها اختلافات لو أظهروها، المعتزلي راح يدعو إلى اعتزاله، والأشعري يدعو إلى أشعريته والصوفي يدعو إلى صوفيته فقالوا: لا؛ نتفق فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه من العقائد.

لذلك لا يثيرون المواضيع المتعلقة بالعقائد.

جماعة التبليغ، أيضا جماعة التبليغ ما تتكلم في الخلافات لا العقائد ولا المذهبية يقولون: هذه أتركها، مسائل علم، يقول لك: المسائل تفرق الناس، ونحن همنا إيش جمع الناس.

الإخوان المسلمون يرون أن الخوض في العقائد ونبش العقائد تفرق الناس الذين جمعوهم تحت مظلة الإخوان المسلمون.

لكن نحن نقول: هذا الاجتماع وهذا التجمع هل هو التجمع الذي أمر الله عز وجل به ورسوله؟ لأنه اجتماع تحت النفس المضلة هذه، الأشعري موجود، الصوفي موجود، الشيعي موجود، المعتزلي موجود، السلفي موجود، فهي ليست فرقة؛ بل هي تضم فرقا متعددة لذلك ما يسأل مثل هذا السؤال هل هذه الجماعة فرقة؟ لا، نقول التفصيل، الجماعة هذه فيها ناس على الفرقة لأن فيها ناس أشاعرة وفيها ناس معتزلة وفيها ناس على الجادة والله الحمد والمنة فهم يختلفون في عقائدهم.

ونحن نفرق عندنا أهم شيء نركز عليه في العقائد، كلام واضح.

س٣/...

ج/ الله أكبر، هذا هو الأصل حتى البدع عندما نهجرهم هذا من نصحننا لهم، وهذا من رفقنا بهم لكن صاحب البدعة إذا تخالطه وتعيش معناه متى يعرف أنه مبتدع وأنه على بدعة وأنه على خطر، من نصحننا له أننا نهجره حتى يعرف أنه على البدعة، فيتوب عن بدعته، هذا الزاجر، الزواجر تقتضي هذا نعم وانزجار الناس على البدعة هذا أصل عندنا.

وكيف يترجون عن بدعتهم إذا كنا لا نهجرهم، فهجرهم بارك الله فيك من أعظم أصول زجر المبتدع عن بدعته وإعلامه أنه على البدعة، وطبعا نحن ما نبدأ بالهجر كما هو معلوم يعني ما هو أول شيء نهجر لا الهجر ما يكون إلا بعد إيش؟ بعد خطوات كثيرة جدا لأجل إصلاحه ولأجل إعادته إلى الجادة، فإن حصل لا والله لا نهجره بعد ذلك الهجر أصل من أصول أهل السنة لأنه نخاف على أنفسنا؛ يعني الهجر ليس فقط

للمبتدع المهجر أيضا علاج للنفس من الوقوع في براثن هذه البدعة وأوحالها وشرها وأخطارها.
المهجر أعظم شيء فيه علاج النفس وصيانة للنفس من أنك تخالط أهل البدع وتتأثر ببدعة من هذه البدع، لا تنظر إلى المهجر أنه فقط يراد به صيانة المبتدع، لا صيانة النفس أولا بل وصيانة الكتاب والسنة قبلك أنت أيضا.

يعني المهجر الهدف الأول لك صيانة الكتاب والسنة، ثم صيانة الأمة.
لذلك محمد بن أسلم رضي الله عنه ورحمه من التابعين يقول: من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، فهجره له وعدم توقيرك له إيش؟ ذب عن الإسلام ونصح للإسلام، ثم صيانة للنفس رقم ثلاثة، وصيانة للمبتدع رقم أربعة .
س٤/...

ج/ كلمه وناصحه ما سمع إنا لله وإنا إليه راجعون، ما نقول لك تقع في مشكلة مع والدك؛ لكن ناصحه لعلك، مع الدعاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَأْن يهدي قلبه ويعده عن هذا الأمر.
س٥/...

ج/ السجود؟ الأمر فيه سعة، الذي ثبت وكما حققه شيخنا الألباني رحمه الله عليه أن التزول يكون على اليدين.
س٦/...

ج/ فرنسا ما فيها مكان للصلاة؟ تحاول أنها تعمل تستأذنهم ولو دقائق، تصلي، ما يصلح أنها تقيم إقامة دائمة وتجمع بين الصلوات ليس لها ذلك، حاول لو تسرق دقائق تقول أعمل لك نصف ساعة؛ لكن أعطوني خمس دقائق لأجل الصلاة لكن لا بد تشوف لها طريقة تصلي فيها المغرب.

س٧/ يقول الطهروني: جرح الشيخ ربيع في أبي الحسن جرحا غير مفصل فما رأيكم يا شيخ؟
ج/ والله يا شيخ أقول لكم: اتركوا هذه الأمور واهتموا بالعقيدة، وبعدين هذه الأمور إن شاء الله تكون تبع، من الطهروني هذا؟

هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجزاكم الله خيرا^(١)



بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الخامس

[المتن]

الأصل الثالث

أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً؛ فبين الله لهذا بياناً شافياً كافياً، بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدرًا، ثم صار لهذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم، فكيف العمل به؟!

[الشرح]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد:
(الأصل الثالث) بعد أن ذكر رحمه الله في الأصل الأول حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في وجوب توحيد الله عز وجل والإخلاص له عز وجل.

وذكر في الأصل الثاني ما هو واجب لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأجل أن يحصل في هذه الأمة الاجتماع وعدم الافتراق حول كلمة الجماعة التي بينها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنها أصل النجاة وأصل العصمة عند افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة.

هنا في هذا الأصل الثالث يبين رحمه الله رحمة واسعة الحق الذي جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للأئمة - للحكام - لمن جعل الله عز وجل لهم الولاية في هذه الأرض، فالله عز وجل جعل لهم الحقوق التي إذا أداها الناس وإذا أداها الأفراد والأتباع حصل لهم بتوفيق الله عز وجل الاجتماع وعدم التفرق.

فيقول: (إن من تمام الاجتماع) أي الذي بينه في الأصل الثاني (إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا) وتتدبر كلمة (تأمر) بخلاف من أمر فإن كان المتأمر له السمع والطاعة، فمن أمرناه وبايعناه ورضينا به، له السمع والطاعة من باب أولى.

ثم ذكر بعد ذلك وصفا ثانياً أولاً (تأمر) ثم قال: (ولو كان عبداً حبشياً) أي غير مرغوب فيه، ويزدريه عامة الناس، أو لعدم شرفه في النسب وغيره مما يتشرف به الناس، بين أن كل ذلك لا يمنع من أداء حقه بل الحق واجب في السمع والطاعة له، وأن الله عز وجل قد بين هُذا، أي هذا الأمر وهذا الأصل بياناً شائعاً كافياً بوجوه من البيان، وذكر من وجوه البيان، البيان الشرعي والبيان القدري، ثم قال رحمه الله ما ذكره أيضاً في الأصل الثالث (ثم صار لهذا الأصل لا يعرف عند أكثر أهل العلم فكيف العمل به) والعياذ بالله.

من الأمور التي ذكرها ربنا - عز وجل - هي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ٥٩]، هذا هو البيان الشرعي إلى غير ذلك من الآيات الكثيرات **وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** [آل عمران: ١٠٣] **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾** [الأنعام: ١٥٩] كل هذه النصوص والتي مرت معنا كثير منها في الأصل الثاني هو ما أراده المصنف - رحمه الله - من البيان الذي بينه ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في القرآن -البيان الشرعي- أي النصوص الشرعية التي تأمر أهل الإيمان وأهل الإسلام بوجوب السمع والطاعة لولاة الأمور والاجتماع عليهم وعدم التفرق فيما يُعنى بها من أمور الولاية.

ثم أيضا قد جاء هذا الأمر من حيث البيان ومن حيث الوضوح ومن حيث التفصيل كما هو معلوم في جميع أصول الإسلام والإيمان، التفصيل جاء في حديث نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ومما يعرف عند أهل العلم أن الأصل في نصوص القرآن وأوامر القرآن أنها تأتي بمجملة والتفصيل والبيان يكون في سنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهذا هو قول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾** [النحل: ٤٤] ما أنزله الله - عز وجل - في القرآن غالبه يكون مجملا، وبيانه وتفصيله في حديث النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - والأحاديث التي جاءت عن نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في السمع والطاعة لولاة الأمور كثيرة جدا. منها حديث عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - في الصحيحين قال: بايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبَهُ وَسَلَّم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا. ثم قال رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أيضا يرفعه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في مسألة البيعة: وأن لا ننازع الأمر أهله. وهم الولاية من ولاهم الله عز وجل عليك ولادة الأمور.^(١)

قال أيضا في رواية: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان.

الحقيقة لو تدبر المسلم النصوص الكثيرة فيما أوجبه الله عز وجل لولاية الأمور يجد فيها البيان الشافي كما قال: **(فبين الله هذا بيانا شائعا كافيا)** حقيقة أنه يكفي؛ لكن الهوى وغلبة الهوى والمصالح وغيرها تعمي الناس عن هذه النصوص، تعميهم عن فهمها فضلا عن العمل بها كما ذكر رحمه الله.

الأصل في السمع والطاعة أن يكون في المنشط والمكره، وفي العسر واليسر، وفي أثره علينا؛ أي ما تؤثره نفوسنا أيضا إن كان الأمر مخالفا لما قواه الأنفس، أيضا يجب علينا فيه السمع والطاعة ثم قال: أن لا ننازع الأمر أهله؛ لا نتطلع إلى شيء من الرئاسة والولاية، لا ننازع الأمر أهله أبدا، هذا لو كان قد تأمر علينا ولو

(١) البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ((سترون بعدي أمورا تنكرونها))، حديث رقم (٧٠٥٥، ٧٠٥٦).

مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٧٠٩).

كان عبدا حبشيا، فكيف لو كان قد وصل إلى الإمارة وإمامة بانتخاب أو بإشارة وشورى أو غير ذلك من الطرق التي يتعارف عليها الناس ويكون برضاهم أيضا.

ثم بين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ الحالة التي يجوز لهم: ((**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**)) يعني لا يختلف فيه اثنان أبدا، الكفر الذي يدعو الناس إليه الحاكم أو الذي يكون عليه الحاكم، أو يريد أن يحمل عليه الناس الحاكم، لا بد أن يكون كفرا بواحا، كفرا صريحا، ليس مبنيًا على الفهم ولا على الأوهام ولا في الدخول في النيات وغيرها، ولا هو محل اختلاف بين الناس؛ بل عندنا فيه من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - برهان؛ لأن التكفير حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، التكفير والكفر يستحقه من كفره الله - عز وجل - ورسوله فقط، التكفير ليس إلى أمر الناس ما جعل الله - عز وجل - تكفير الناس بعضهم إلى بعض أبدا، وإنما هو خاص به - عز وجل - نص من كتاب الله أو نص من حديث من نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، إن كان عندنا مثل هذا جاز الخروج وأيضا بشروط.

وهذه الشروط معتبرة وذكرها أهل العلم، وهي في محلها وموطنها، نحن نستعرض بعض هذه النصوص التي جاءت عن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - حتى يتدبر العاقل يتدبر ما صار إليه الناس وما هو دعوة الكتاب والسنة.

عن زيد بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - عن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - قال: ((**ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم أبدا**)) سبحانه الله يعني ينفي النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - أن يجعل شيء من هذه الثلاث واحدة منها في قلب مسلم، ما هو المؤمن؛ المسلم، قال: ((**إخلاص العمل لله**)) ثم قال: ((**ومناصحة ولادة الأمر**)) أنظر إلى كلمة المناصحة؛ أن تكون ناصحا لهم، والنصح هو الخلوص من جميع الشواهد، والإخلاص لهم في الدعاء وفي إرادة الخير وفي السمع والطاعة، وفي بلوغهم الأمر وفي نصرتهم وفي عزهم، هذا أن تكون ناصحا لا تغشهم لا في السر ولا في العلن، هذا هو النصح.

ومناصحة ولادة الأمر، ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ((**ولزوم الجماعة**)).^(١)

أنظر إلى النتيجة التي ذكرها النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - في هذا الحديث العظيم قال: ((**فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**)) يعني دعوة المسلمين بعضهم لبعض ودعوة أهل الإيمان بعضهم لبعض تحيط من ورائهم إذا التزموا هذه الثلاث، ومن أحل بواحدة منها ولو كان في قلبه ولم يظهره، هذه المسألة لا بد أن تكون في

(١) سنن الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم (٢٦٥٨).

سنن ابن ماجه: المقدمة باب من بلغ علما، حديث رقم (٢٣٠).

قال الشيخ الألباني: صحيح. وأورده في السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٤).

القلوب، فكيف بإظهارها على الجوارح، قلب المسلم يعني لا يكون فيه ولا يبطن المسلم إلا هذه الثلاث: إخلاص العمل لله، مناصحة ولاية الأمور، ولزوم جماعة المسلمين وعدم مفارقتهم.

إن فعلوا ذلك، إن فعلوا ذلك، وإن وطنت القلوب عن هذه الثلاث دعوتهم تحيط من ورائهم؛ يعني ما فيه مسلم في شرق الأرض ولا في غربها كما قال أهل التفسير إذا دعا دعوة إلا شملت أهل الإسلام عامة ممن اتصفوا بهذه الخصال الثلاثة، أو وطنت قلوبهم على هذه الثلاثة.

فالقضية أقول غاية في البيان.

أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)) أنظر كيف الأحاديث ألفاظها مختلفة ومعانيها ومؤداها واحد، قال: ((**أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**)) لزوم الجماعة، ((**أَنْ تَعْبُدُوهُ**)) وجوب الإخلاص العمل لله، ثم قال: ((**وَأَنْ تَنَاصَحُوا مِنْ وَلاةِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ**))، من ولاة الله، لو أنت ما وليته، أنت ما بايعته أنت لست راض؛ لكن الله أوصله - عز وجل - إلى تولى الأمر بأي طريقة كانت، يجب عليك أن تكون ناصحاً له خالصاً له في دعائك، في ما تتمنى، فيما ترغب، فيما تكره، أن تكون ناصحاً لمن ولاة الله الأمر.

أحاديث أقول كثيرة جداً.

عبد الله بن عباس يرفعه إلى النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يقول: ((**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**))،^(١) والأمير ولي الأمر فله طاعة، حق واجب أوجبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ودائماً نقول: الإسلام كله دين حقوق، كل أركان الإسلام وأركان الإيمان كلها عبارة عن حقوق، تؤدي الحقوق، تستحق الوعد، تخل بالحقوق تستحق الوعيد، والوعد والوعيد منها - يعني وعيد - خاص لآحاد الأفراد منها وعد عام ووعيد عام أيضاً، فهذه المسألة العامة عام ووعيدها عام أيضاً.

لذلك ينبغي أن نتنبه لهذا.

أبو هريرة أيضاً يقول: عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك. يعني في جميع أحوالك، عليك بالسمع والطاعة بأي حال كنت.

أبو ذر يقول: أوصاني خليلي - يعني النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدعاً

(١) البخاري: كتاب الأحكام، باب قوله تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، حديث رقم (٧١٣٧).

مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٨٣٥).

الأطراف. يعني أيضا عبد ما هو حر وأيضا فيه نقص مجدع الأطراف، ما هو كامل، هذه كلها صفات توجب عدم الإمارة؛ ولكن إن وصل إلى الإمارة وإن آلت إليه الإمارة، فما عليك إلا السمع والطاعة. هذه حقوق بينها ربنا تبارك وتعالى^١.

عبد الله بن عباس، بعض الناس يقول: طيب نشوف بعض المنكرات، هذا حديث عبد الله بن عباس يقول: من رأى من أميره شيئا فليصبر. يعني رأى شيئا تكرهه، رأى شيئا من معصية الله تبارك وتعالى، هم بشر قال: فإن من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية؛ يعني حتى في حال المعصية، يجب عليك السمع والطاعة، ما تخرج أبدا.

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: ((**يكون بعدي**)) في حديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حديث طويل جدا يسأله عن الشر، ومعروف وأسئلة حذيفة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما ذكر قال: ((**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم**)) يعني في أولئك الأئمة وأعوأهم ووزرائهم قال: ((**وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**))، قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله؟ إذا وصل الأمر يعني إلى هذه الغاية. قال: ((**تسمع وتطع**))، قال: ((**قلوبهم قلوب الشياطين**))، قال: ((**تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**)) هذه الأحاديث كلها إخواني في الصحيح صحيح البخاري وصحيح مسلم، فاسمع وأطع.

وأيضا عن أم سلمة قالت عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((**ستكون أمراء ستعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ**)) يعني من عرف معصية الأمير، ومن كره معصية الأمير وكره أفعالهم، وعرف أفعالهم التي تخالف الشرع، من عرفها وتميز بها فقد برئ؛ يعني له البراءة عند الله - عز وجل - لا يضره فعلهم، ((**ومن أنكر**)) أنكر عليهم ((**فقد سلم**)) له السلامة، فأنت بين البراءة والسلامة، ثم قال: ((**ولكن**)) يعني الذي يؤاخذ ((**من رضي وتابع**))^(١) إذا رضيت بحكم هذا السلطان أو الأمير إن كان مخالفا لشرع الله - عز وجل - وتابعته فيما خالف فيه النص، نعم هنا تحاسب وتؤاخذ.

وأما إذا عرفت وكرهت وأنكرت بالأساليب الشرعية فأنت بين البراءة والسلامة قالوا للنبي: أفلا نقاتلهم؟ قال: ((**لا، ما صلوا**))، وفي رواية أخرى: ((**من كره فقد برئ**)) كره معصية الأمير، ومخالفة الأمير.

أحاديث كثيرة جدا ((**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم**،

(١) مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما خالفوا الشرع، وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك، حديث رقم

وشرار أئمتكم)) المسألة عكسية **((الذين تبغضونهم ويبغضونكم))** لا تفكر أنك أنت تبغض الأمير والأمير يحبك، لا ما يمكن، ما يمكن أبدا، **((وتلعنوهم ويلعنونكم))** قالوا: أفلا ننابذهم يا رسول الله؟، إذا وصلت المسألة نحن نكرههم وهم يكرهوننا، أفلا ننابذهم، نفارقهم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **((لا ما أقاموا الصلاة، وإذا رأيتم من ولا تكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عملهم ولا تترعوا يدا من طاعة))**.^(١)

أقول: النصوص كثيرة جدا، وأقوال العلماء في هذا لا تعد ولا تحصى، لعلنا نذكر شيئا منها، إن حصل عندنا وقت.

هذه كلها البيان الشرعي، البيان في النصوص الشرعية أنه واجب علينا السمع والطاعة، لهم السمع، لهم الطاعة، لهم الوفاء، لهم البيعة، لهم الحب، لهم الموالاة، لهم الدعاء، لهم النصح، هذا كله أوجبه الله عز وجل علينا نحوهم، وأوجب عليهم نحونا العدل والرفق والرحمة، وأن لا يشقوا علينا؛ هذه أوجبها الله عليهم يعني هم عليهم واجبات ونحن علينا واجبات.

إن أحلوا بالواجبات لا نخل نحن بالواجبات، إذا أحلوا هم بالواجب الذي عليهم، هذا لا يبرر أننا أيضا نخل بما أوجب الله علينا، نؤدي الذي علينا، ونسأل الله - عز وجل - حقنا كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. نعم اسألوا الله - عز وجل - الذي لكم أما الحق الذي عليك يجب أن تؤديه ديانة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو، ما تجعل حظك في أداء الواجب الذي عليك مبرر لما يفعله الحاكم أنت تقول: الحاكم فاسق أو ربما تقول: كافر، فكيف تنتظر من الكافر أو الفاسق أن يؤدي الواجبات.

لكن أنت يا أيها المستقيم على طاعة الله أدِّ الواجب الذي عليك ديانة لله - عز وجل - وليس لأجل الحاكم، ديانة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

البيان القدري؛ يعني بالنظر إلى ما قدره الله - عز وجل - في هذه الحياة الدنيا، وهذه مسألة غاية في البيان والوضوح أيضا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: إنه حصل أن استقرأ التاريخ رحمه الله فنظر وذكر كل الخروج والمخالفات التي كانت وحصلت في زمن الصحابة ومن جاء بعدهم إلى زمانه، استقرأ الخروج الذي كان على الأئمة وأيضا تتبع النتائج التي حصلت، فيقول: ما فيه خروج حصل إلا والنتيجة كانت من الشر أضعاف ما كان ينتظر من الخير. بل الخير ما وصل أبدا لا خروج التابعين على يزيد بن معاوية في المدينة، ولا الخروج أيضا على خلفاء بني أمية عبد الملك بن مروان وأبنائه أيضا، ولا الخروج في الدولة العباسية في زمن المنصور وغيره، والله ما أتى الخروج إلا بشر.

(١) مسلم: كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، حديث رقم (١٨٥٥).

بل قبل ذلك أيضا انظر إلى الخروج الذي كان على عثمان - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ -، وانظر إلى الخروج الذي كان على علي رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، الخروج ما أتى ولا يأتي إلا بشر؛ لذلك يقول: إن الله - عز وجل - قد بينه؛ يعني رأيتموه هُنا إذا كنا نتعظ من تاريخنا، هُنا للمتعظ، السعيد من وعظ بغيره وانظر إلى التاريخ، انظر إلى الخروج الذي كان غير التاريخ والله ما أتى إلا بشر.

والنتيجة الذل والتفرق والتمزق وضعف الأمة، نعم وتكالب الأعداء على هذه الأمة، واستغلال هذا التفرق والتمزق في الأمة هُنا هو النتيجة؛ لأنه لا سلطان لهم؛ بل هم يخافون من السلطان والسلطان يخاف منهم لا السلطان ينصح لهم ولا هم ينصحون للسلطان، الكل يتبرص بالآخر الدوائر والكل ينتظر حتى يقفز على الآخر، والكل ينتظر حتى يصل إلى المناصب والكراسي هذه التربية اليوم لذلك أني تأتي بالخير والاجتماع؟ لا والله ما فيه إلا التفرق؛ بل أصبحنا الآن في زمن ينادي فيه الدعاة إلى الإسلام بوجوب موافقة الدولة على تكوين الأحزاب والعياذ بالله.

شوف الأمر طبعي جدا؛ بل ظاهرة صحيحة أنه الدولة لازم توافق على إنشاء الأحزاب؛ يعني عشنا حتى سمعنا هذه الكلمة، هذه ما سمعناها من العلمانيين ولا من القوميين هذه سمعناها من أناس يدعون ودعوتهم إلى الإسلام بزعمهم؛ لكن قالوا هذه لابد منها للدولة الديمقراطية حتى تحقق الديمقراطية في شعبها، وأصلا عندهم الديمقراطية تساوي الشورى والعياذ بالله، صوروا لنا أن الديمقراطية هي الوجه الآخر للعملة الواحدة مع الشورى، نعم وجهان لعملة واحدة شورى والديمقراطية، كذبوا والله، كذبوا والله، الشورى شيء والديمقراطية كفر.

الشورى قضية شرعية مسألة شرعية، ذكرها الله عز وجل في القرآن؛ بل أمر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها؛ لكن الديمقراطية ما أتت إلا نتاج هذه الدول الكافرة والأنظمة الكافرة، نعم.

لكن أقول: عشنا وسمعنا هذه الكلمة؛ أنه يجب الدولة حتى تقيم الديمقراطية أن تسمح بتعدد الأحزاب؛ يعني التفرق، الأحزاب معناها كل حزب ينشأ فيه أفراد لهم ولاء غير للذي للحزب الآخر نعم. هُنا هو البيان القدري، البيان القدري مراده رحمه الله ما حصل في الأمة من تفرق وتمزق وضعف وعدم اجتماع بسبب الخروج على الأئمة، وكل من خرج على الأئمة من سلفهم الأول الخوارج، الخوارج هم أسلاف دعاة التحزب والتمزق كلها إلى يومنا هُنا، كل خروجهم حتى خروج الخوارج كان الشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إصلاح الأحوال، إصلاح الرعية، إيصال الحقوق إلى أهلها، هذه هي الشعارات نبذ الظلم، رفع الظلم، كل هذه هي شعاراتهم قديما وحديثا، عبد الله بن سبأ قالها يعني عبد الله بن سبأ عندما أراد الخروج ورتب للخروج على عثمان واجتمع مع أصحابه وكبراء دعوته قال لهم: أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا قلوب العامة. سبحانك ربي إلى يومنا هُنا، هذه يسمونها علم

النفوس؛ يعني النفوس قديما وحديثا أنت فقط ارفع شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استلم المنبر هذا وابدأ تخطب وابدأ تتكلم بالحكام سرقونا، سرقوا من بيت أبيك؟ وانظر تعاطف العامة معك، فلان الوزير سرق، فلان الوزير فعل، فلان كذا يجب أن نطالب بحقوقنا؛ لا بد أن نؤسس لجنة للحقوق الشرعية للمطالبة بالحقوق، وانظر كيف تستميل العامة بهذه الشعارات.

أقول: هذه كلمة قالها عبد الله بن سبأ في زمن عثمان، الدعوة دعوة سرية للخروج على عثمان؛ لكن قال: أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا قلوب العامة. إلى يومنا هذا؛ بل والتربية على هذا، حتى الآن نحن يعني بالنسبة لنظرتنا إلى مجلس الأمة يقال: أن مجلس الأمة أعضاؤها ينقسمون إلى قسمين، أسأل أي واحد؛ الصغير لأننا تربينا على هذا يا شيخ، أعضاء المجلس يقول لك على قسمين: قسم للخدمات.

وقسم للمبادئ.

فيه أعضاء مبادئ وفيه أعضاء خدمات هذا فقط للخدمات، المبادئ من هم؟ قال: المعارضة، يعارضون من يا عبد الله؟ يعارضون الشيطان؟ لا يعارضون الحكومة، هؤلاء أبطال يشار إليهم أنهم هم الرجال، النفوس تربى على أن الأصل في الإنسان أن يعارض.

النصوص الشرعية كلها تقول بالسمع والطاعة، والخضوع لولاة الأمر، وعدم الخروج عليهم، وعدم معارضتهم، وعدم التشهير بهم، وعدم ذكر مساوئهم؛ بل الدعاء لهم والنصح لهم بالسر، كل هذا النصوص في طرف ونحن تربيتنا في طرف آخر.

قال لك: فلان العضو معارض، هذه من المعارضة والمعارضة معناها كلمة مدح وكلمة ثناء.

لا، يا عبد الله هذه كلها تخالف الأصول التي جاءت عن ربنا؛ لذلك يقول رحمه الله: **(ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم)** لأنك إذا بدأت اليوم بهذا الأصل قالوا: وعاظ السلاطين. اليوم الذي يدعو إلى هذه الأصول الشرعية قالوا: هذا من وعاظ السلاطين. قالوا: هذا يشغل مباحث. أنا الآن مصنف مباحث، يعني يعمل للدولة يعني لك راتب من وزارة الداخلية.

ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند من يدعي العلم، فكيف العمل به؛ لأنك إذا جئت على المنبر وتشغل بالدعاء للأمير والسلطان، الكل يقول: شيخنا هذا وإمامنا وخطيبنا هذا من وعاظ السلاطين. صحيح أو ليس بصحيح؟ هذا أكيد له راتب من وزارة الداخلية؛ لأنهم ماذا يريدون من الخطيب؟ أن يكون معارضا، أن يكون مشهرا، أن يكون سابا يسب ويلعن الحكام، هذا هو المضبوط، هذا هو الخطيب الذي تثنى عنده الركب، ويجتمع الناس عليه وعلى خطبته والعياذ بالله.

ما عندنا اتعاظ بالبيان القدري، أنظر إلى أول الخروج من سلفهم؟ الخوارج شعارهم الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، رد الحقوق إلى أهلها، رد المظالم، هذه شعاراتهم، وعلى هذا الشعار قتلوا عثمان، وعلى هذا الشعار قتلوا علي بن أبي طالب، وإلى يومنا هذا منابذة الحكام، أشغلوا الدولة الأموية، أشغلوا الدولة العباسية، أشغلوا الحكام في ذلك الزمان نعم، كلها بسبب الحروب، لم؟ لأنهم يريدون الخروج على هذا السلطان، ما السبب؟ قالوا: يحكم بغير ما أنزل الله، يخالف حكم الله، أو إمام جائر، أو إمام فاسق، أو إمام ظالم، كل هذه الأوصاف يطلقونها ويعلنونها ويشيعونها كذبا وزورا أيضا في غالبها، الكذب والزور ويزيد فيها كثيرا تبريرا للخروج، لا بد أن نبرر للخروج والعياذ بالله.

فهذا البيان القدرى يعرفه كل من نظر في حال الأمة وتاريخ الأمة، كيف الأمة تمزقت قديما وحديثا، كيف الأمة تمزقت قديما وحديثا، عند اجتماع الأمة تكون الأمة قوية أدّ الحق الشرعي يؤدي الحق الذي لك، بتوفيق الله تبارك وتعالى، وإذا لم يؤدّ لك سل الله - عز وجل - سوف تأخذه يوم القيامة، نعم تأخذ حقتك يوم القيامة.

أما نبرر والله حقوقنا ضاعت نحن نضيع حقوقنا التي علينا ولهم هذا هو تبرير وتزيين الشيطان والعياذ بالله، فسب الحكام والتشهير بالحكام وذكر مساوئهم على المنابر وفي المجالس والديوانيات، وغيرها وفي صفحات الجرائد، والله هذا كله مما يخالف هذا الأصل العظيم؛ لكن اليوم إذا تكلمت فيه قالوا: هذا مائة في المائة من الجماعة من هؤلاء؛ يعني ممن يوافق عندهم موافقة السلاطين، موافقة السلطان، موافقة الحكام هذه قهمة، نعم نحن ما نوافقهم في كثير مما يفعلون؛ لكن لا نشهر بهم لهم السمع والطاعة وإن فعلوا شيئا نكرهه، فنكره الذي يفعلون، ولكن لا نترع يدا من طاعة هذا أمر نبينا عليه الصلاة والسلام.

أبو ذر يقول: أوصاني خليلي. هذه وصية النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأبي ذر ولكم جميعا للأمة جميعا ((إياك أن ترع يدا من طاعة)) نعم فالبيعة ماضية، البيعة في أعناق الأمة، بعض الناس عنده تبرير شيطاني آخر والعياذ بالله إيش يقول؟ يقول: والله أنا يوم الحاكم استلم الحكم أنا ما رحت شخصا بنفسني أبايع وأسلم، فأنا ليس في عنقي بيعة.

وهل يلزم أن جميع الأمة فردا فردا تباع وتصفح الأمير بالبيعة؟ لا والله ما يلزم، يكفي في عقد البيعة أن يبایعه أهل الحق والعقد، لذلك كلمة شيخنا الشيخ عبد المحسن - الله يحفظه - لما سمع هذه المقالة من بعض الدعاة قال: هذا بين وكشف أمر نفسه أنه ليس من أهل الحل والعقد، لو كنت من أهل الحل والعقد كانوا طلبوك للبيعة، وهيؤوا لك المكان وأعطوك البطاقة لأجل أن تذهب للبيعة، لكن اعرف أنك من عامة الناس أنك لكن سبحان الله، كونك ما بايعت، أنا ما بايعت لكن إذا بايع أهل الحل والعقد انعقدت البيعة، انعقدت البيعة في عنق الجميع فردا فردا، ما يلزم أنك تذهب تباع أنت بنفسك أبدا، حتى لو ما بايع لو تأمر علينا واستلم الحكم، قال: أنا أميركم بالقوة، له السمع والطاعة، ما بايعه أحد أبدا، وما طلب البيعة من

أحد أبدا؛ لكن تأمر علينا بالغلبة.

أيضا له السمع والطاعة ولا يجوز الخروج عليه إلا أن تروا كفرا بواحا، الخروج لا يجوز إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان، إذا ما حصل هذا ما يجوز الخروج أبدا، مما يعني يذكر من الجماعة طبعا الاجتماع على الكلمة الجماعة تكلمنا عنها، فالجماعة هي الحق الذي جاء عن الله وعن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والجماعة هي جماعة المسلمين أيضا، أي جماعة وعدد من المسلمين اجتمعوا وكان لهم إمام ظاهر - يعني سلطان وأمير ظاهر يعني معروف معلن ما هو سري - هؤلاء هم الجماعة فإذا دخلت في دولتهم وفي سلطانهم فأنت داخل تحت هذه الجماعة، لا يجوز لك الخروج أبدا، بعض الناس يقول عنده تبريرات ما تنتهي هذه، كلها شبه يقولون هذا الكلام كله جميع هذه الأحاديث لما يكون للمسلمين إمام واحد على الدنيا كلها.

الكلام ما هو صحيح، كان فيه بيعة لمعاوية في الشام، وبيعة لعلي بن أبي طالب في الحجاز والعراق وغيرها، ما أحد من أهل العلم من الصحابة والتابعين قالوا: البيعة باطلة؛ لأن فيه أكثر من إمام، الآن يبتلون إمامة الأئمة بحجة تعدد الإمامة، تعددت الإمامة أيام الصحابة وفي أيام التابعين ومن جاء بعدهم، وما سمعنا من أحد من أهل العلم المعتبرين يقول بنقض البيعة للأئمة جميعا، بحجة تعدد الإمامة، أبدا كان فيه إمامة في بغداد وفيه إمامة في مصر وفي كل مكان، والكل يقول وينادي بهذه النصوص الشرعية في وجوب السمع والطاعة.

أنس - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - الصحابي الجليل يقول: هُنا كبرائونا من أصحاب رسول الله، قالوا: أن لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تعصوهم واصبروا واتقوا الله عز وجل، فإن الأمر قريب. لا شك، إذا حصل منا هذه الأمور لا نسب ولا نغش ولا نعصي، ونصبر على جورهم وظلمهم، فإن أمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قريب لا شك.

عمر بن الخطاب يخاطب سويد بن غفلة يقول: يا أبا أمية أي لا أدري لعلي لا ألقاك بعد عامي هذا، فإن أمر عليك - يعني ليس بكيفك - فإن أمرك عبد حبشي مجذع فاسمع له وأطع. فاسمع له وأطع. ثم قال: وإن ضربك فاصبر، وإن حرملك؛ يعني حقوقك ما قال لجنة الحقوق الشرعية، وإن حرملك فاصبر، وإن أراد أمرا ينقص دينك، فقال: سمعا وطاعة، ولكن قال: لا تفارق الجماعة.

يقول عبد الله بن مسعود: وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. نعم الفرقة والله لا تأتي إلا بشر، والاجتماع على الحاكم مهما كان ظالما جائرا فاسقا مهما كان، الاجتماع عليه هو الرحمة.

أيضا يقول علي بن المديني، انظروا هذا الإمام العظيم يقول: من خرج على إمام من أئمة المسلمين قد اجتمع الناس عليه فأقروا له بالخلافة بأي وجه كانت - يعني الإقرار - يقول: برضا كانت أو بغلبة - يعني

كان برضانا وصل للإمامة والخلافة أو تغلب مثل اليوم يسمونه انقلاب ومسك الحكم ومسك مقاليد الأمور كلها- قال: أو بغلبة من خرج على هذا يقول: فهو شاق للعصا عليه، ومخالف للآثار على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن مات مات ميتة جاهلية. والعياذ بالله، أبدا يقول: لا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه أبدا لأحد من الناس فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة. هذا من شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.

ابن أبي العز في الطحاوية يقول: اعلم رحمك الله وإيانا أن باب التكفير وعدم التكفير باب قد عظمت فيه الفتنة والحنة. نعم وكثر فيه الافتراق وتشتت فيه الأهواء والآراء. قضية خطيرة ليست سهلة؛ لكن سبحان الله الجرأة، تجدد الشباب عمره دون العشرين وأكثر ما يجب أن يخوض في هذه المسائل. النفوس هكذا تميل والعياذ بالله، لا ما يصلح، المسألة خطيرة جدا.

أبو حامد الغزالي صاحب إحياء علوم الدين يقول: والذي ينبغي الاحتراز منه التكفير؛ ينبغي الاحتراز منه، يقول: ما وسعك إلى ذلك سييلا، بقدر ما تستطيع احتراز من التكفير، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصريحين بلا إله إلا الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر -هذه كلمة تنسب للشافعي- يقول: والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم، مسألة خطيرة في التكفير لكن سبحان الله جرأة الناس السبب عدم التزام البيان الشرعي وعدم الاتعاظ بالبيان القدري، دائما نقول: نحن زماننا غير، حاكمنا غير، حاكمنا يجب أن يزال، حاكمنا يجب الخروج عليه، لازم أن نعد العدة، لازم نثور قلوب الناس ونهيج الناس على الحكام هذه النتيجة، النتيجة تكرهونكم ويكرهونكم تبغضونهم ويبغضونكم تلعنونهم ويلعنونكم والنتيجة تفرق الأمة وتمزق الأمة وضعف الأمة ما فيه.

القرطبي يقول: وباب التكفير خطير أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول. يا عبد الله إذا كان الفحول قد توقفوا في باب التكفير فانظر لنفسك هل تريد أن تكون من الكثير الذين سقطوا أم أن تلحق بالفحول من هذه الأمة.

ثم قال: فسلموا. ثم قال: ولا نعدل بالسلامة شيئا.

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: ليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ مهما رأيت الخطأ ليس لك أن تكفر حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك. ونحن كل ما نعمل وكل ما عندنا الآن من باب الشكوك، هذا فعل كذا، هذا يدل أن في قلبه كذا، كلها أفهام، كلها أفهام، هذا ما يصلح أبدا، كثير من الأئمة ذكروا هذا، وأهل العلم على هذا. يقول: الأمة افرقت على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعين هالكة. ثم قال: كلهم يبغض السلطان أرجعها كلها إلى اثنتان وسبعين الهالكة أنظر فعلا كلامه صحيح ثم قال: والناحية واحدة وهم الذين مع السلطان. لماذا؟

لأن كل الفرق الهالكة تخالف هذه النصوص التي نحن عليها، كل الفرق الهالكة عندها شيء يخالف تكفير المخالف، الأشاعرة، المرجئة، الصوفية، المعتزلة، كل واحد منهم يريد أن يكون الحاكم على معتقده، الخوارج وإذا كان الحاكم على غير عقيدتهم فهو كافر عندهم، عندهم مبدأ يقول: تكفير المخالف، كل من خالفهم في عقائدهم يعد كافراً، الرافضة الآن يعدون المخالف لهم كافراً، وما دام كافراً يجوز الخروج عليه؛ لأن الخروج هذه نتيجة سببها التكفير. فإذا كفرته عندك تبرير للخروج، ومقدمات الخروج من السب والتشهير واللعن وغيره، هذه كلها نتائج سببها التكفير.

لذلك ما فيه أخطر من التكفير، لأنه أولاً يكفر لأنه إذا كفر صار عنده مبرر يسب ويلعن ويشهر بهم، ويفعل ما يشاء ثم يخرج عليهم بالسيف، هذه كلها نتيجة، ومثل ما ذكر جميع الفرق يقول والعياذ بالله كل أهل البدع عندهم هذه القاعدة المخالف لهم يكون كافراً. والكافر يجب الخروج عليه خاصة عند المعتزلة وغير المعتزلة وجوباً يجب الخروج على الكافر، لا ولاية لكافر على مسلم.

[الأسئلة]

س١/...

ج/ الوزير هو من ولاه الأمير، لكن ولاية الأمير عامة وولاية الوزير خاصة في تخصصه، في مجاله؛ لكن لا شك كل من عينه ووكله الأمير للقيام بأمر ما، في هذا الأمر وفي هذا العمل يعتبر ولي أمر.

س٢/...

ج/ هذا الكلام قاله الخوارج في علي بن أبي طالب، قالوا: علي بن أبي طالب حكم بغير ما أنزل الله، أقول: المفروض أنه مادام أنه عندك شيء فانظر فيه إلى حسن الظن، وإلى عدم التكفير فتلتزمه، هذا ما عليه عامة أهل السنة، نعم أما كونه يصلي أو ما يصلي، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهاناً)) والمسائل هذه كلها محل اختلاف واجتهادات، وما دام أنها محل اختلاف فلا معنى فيه، الكفر البواح، الكفر البواح الذي لا يختلف فيه اثنان.

س٣/....

ج/ القوانين، من الربا، هذا استحلال، كونك تقول: هذا استحلال، نقول: هل عندك برهان أن هذا استحلال؟ الذي يشرب الخمر ويدمن شرب الخمر مستحل لشرب الخمر؟

كونك تنظر بهذا، هذه المسألة ما تنتهي كل من يفعل المعصية ويدأوم عليها ويستمر عليها يكون مستحلاً لها، لا ليس الأمر كذلك، المداومة على المعصية قد تكون من باب الهوى، قد تكون من باب المصالح قد تكون لها مبررات كثيرة جداً، ما عندك دليل على أنه استحلال، الاستحلال شيء آخر، الاستحلال هو الذي يفصح بينه وبين ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ليس لك.

لكن نحن نقول: هذه البنوك الآن أنت عندك انظر عندنا في الكويت قولوا كم عشرة، فيه عشرة أو ما فيه، عشرة، هذه العشر بنوك الربوية أنظر في سجلاتها أسماء الذين مودعين في البنوك الربوية أحمد، محمد، عبد الله، زين، حسن، أو لا، من هم؟ في الصف الأول يصلون أيضا، تقول له ضع مالك في بنك تمويل يقول لك: لا، لا أتركه في هذا البنك أحسن يكون، إذن لا نقول استحلال ما نقدر نقول، معصية نعم ونقول قضية خطيرة ومن الكبائر، لكن كونك تحكم على كل من دخل في الربا أنه مستحل للربا هذا خلاف الأصل.

س٤/...

ج/ أنواع التوحيد الثلاثة ليست من اجتهاد العلماء، استقراء للنصوص، فرق عظيم جدا لما تكون المسألة استقرائية أو المسألة تكون اجتهادية، يفرق طالب العلم بين الأمور الاستقرائية وبين الأمور الاجتهادية. الاستقراء يعني يحاسب وجمع النصوص الشرعية وتقسيمات هذه النصوص الشرعية، وجد أهل العلم أن التوحيد ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة.

القسم الرابع، كلمة نوع نقول أنواع التوحيد أربع، النوع عند أهل العلم وعند أهل المنطق وعند أهل الاصطلاح، النوع ما يكون تحته أفراد وآحاد.

توحيد الربوية نوع تحته الخلق الرزق، الإحياء، الإمامة، كونه يعز، كونه يذل، يعطي يمنع هذه كلها آحاد هذا النوع.

توحيد الألوهية نوع؟ ما تحته؟ الصلاة، الصيام، الاستغاثة، الاستعاذة، السجود، الركوع، هذه كلها أفراد تحت هذا النوع.

الأسماء والصفات، نوع ما تحته جميع الأسماء وجميع الصفات، الحي، القيوم، الرزاق، هذه كلها أسماء تحت هذا النوع.

توحيد الحاكمية ما تحته؟ الحكم، لذلك شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عليه، وهذا السؤال أنا وجهته إليه وقرأته عليه، لما جاءنا في مقر الحملة في موسم الحج قبل السنة التي توفي فيها رحمه الله، عن توحيد الحاكمية قال: إذن نقول: توحيد الصلاة وتحت الصلاة، وتوحيد الصيام تحت الصيام؛ لأنه لا يجوز أن تصلي إلا لله ولا يجوز أن تتحاكم إلا لله فقال: وما ينتهي وفعلا ما ينتهي، ومثل ما قلت لك النوع لا بد أن يكون هذا لا ما تحته إلا نفسه.

تقول توحيد ماذا تحته؟ الحاكمية، إذن نقول: توحيد الصيام ماذا تحته؟ الصيام، توحيد الصلاة ماذا تحته؟ الصلاة، وهلم جراً.

ولكن المسألة ما هي اجتهادية، الذي يقول لك: المسألة اجتهادية هذه يلبس عليك، أو أنه جاهل ما

يعرف.

نقول: فرق بين المسائل، كل قواعد أهل السنة والجماعة كل قواعدنا في العقائد كلها استقرائية يعني استقرأنا النصوص جمعنا النصوص شفنا أن النصوص، يعني مثل قواعد النحو، تعرفون قواعد النحو؟ إن وأخواتها وكان أخواتها، وحروف الجر هذه كيف عرفت؟ بالاستقراء، أبو الأسود الدؤلي هو الذي وضع القواعد مع أن العرب تكلمت بحسب القواعد منذ مئات السنين؛ لكن جمع كلام العرب واستقرأ هذه القواعد -القواعد الاستقرائية- شيء والقواعد الاجتهادية شيء آخر.

س٥/...

ج/ إذا جعل لنفسه أصولا تخالف أصول السلف أصل وفرع مسائل هذا مخالف لما كان عليه السلف، بمقدار ما يخالف المثلية، قلنا كونك تكون من الجماعة وتكون من أهل السنة والجماعة من أصحاب المذهب السلفي أن تماثل الصحابة ومثلية الصحابة في العقائد أولا، ثم في العبادات ثانيا، ثم والمعاملات والسلوك وغيرها.

فبمقدار ما عندك مثلية بمقدار ما أنت من أهل السنة وهذا الوصف يصدق في حقك، بمقدار ما تبتعد بمقدار ما يسلب عنك ذلك الاسم. لكن الأخطاء التطبيقية شيء آخر؛ وقلنا: طالب العلم يفرق بين الخطأ في التطبيق وبين الخطأ الناتج عن التأصيل.

س٦/...

ج/ يعني الدعاة يحذرون من أهل البدع، هكذا؟ أي دعاة الذين يحذرون من أهل البدع؟ الدعاة، والله إذا كانوا مثل ما قال: منشغلين. يعني شغلهم الشاغل أخطاء الناس فهذا خطأ، لكن إذا كان عرضا إذا جاء عند مسألة من المسائل يذكر فيها القول الحق ويذكر فيه الناس المخالفين، هذا منهج، هذه سنة، مازال الأئمة والعلماء إذا ذكروا قول أهل الحق يذكرون ما يقابله من أهل الباطل. وهذه مسألة مهمة جدا لأنه العرب تقول: بضدها تتميز الأشياء.

أنت لما تذكر القول الحق تبين الوسطية، الوسطية لا تظهر إلا إذا بينت أن هذا القول يتوسط قولين متعارضين متناقضين، فبيان الوسطية، أما إذا كان شغلهم الشاغل في الليل والنهار ما عندهم إلا جماعات وفلان وفلان لا شك أنه ظالم لنفسه مضيع أوقاته كلها؛ لكن كونه ذكرهم عرضا أو ذكرهم في مناسبة أو غيرها أو لبيان تميز القول الحق من القول الباطل هذا لاشك منهج ودين، ولازال السلف يحذرون من أهل البدع.

س٧/...

ج/ ما فيه فرق أبدا الفرقة الناجية هي المنصورة.

س ٨/...

ج/ ((**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت**))^(١)، عندما تدعو في الدعاء والطلب ما تستثني أما إذا دخلت على مريض فكونك تقول: طهور إن شاء الله بالنسبة للعاقبة والنتيجة نعم نستثني، يعني ، أما بالنسبة للدعاء لا بد من العزيمة، تطلب من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أن يغفر لك ما تقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم اغفر لي، أظهر عجزك أظهر حاجتك للمغفرة؛ لكن لما تقول: إن شئت، يعني إن أردت تغفر لي وأن ما أردت تغفر لي، كأنك مستغني عن مغفرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هنا الفرق.

أما كونك يعني هذا المريض قد يموت وقد يعافي، فأنت تقول له: إن شاء الله طهور يعني بالنسبة للعاقبة. هذا ليس من باب الدعاء.

س ٩/...

ج/ يعني المسجل والشريط، تخط فيه الذي تخط، والله يا شيخ هذه أمور والله المستعان، نقول: إذا كان يأمن لا يدخل فيه وإذا كان خائف، كم سعره؟ سبعين دينارا، الأماكن العامة والدورات العامة؛ أدخله في جيبيك لكن لا تخرجه داخل المرحاض وتبين الشاشة، اجعله يغلق لا يبين صورة ولا صوت فأغلقه، وضعه في جيبيك، وادخل وإن كنت في بيت أو في شيء ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢) [الحج: ٣٢]، وهذه لا حد لها أبدا، وكونك تجل المصحف أو الشيء الذي يحمل المصحف تجله وتعظمه هذا لا شك أنه من تعظيم شعائر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

اللهم صلّ وسلم على نبينا محمد وجزاكم الله خيرا. (٢)



(١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، حديث رقم (٢٦٧٩).

(٢) انتهى الشريط الخامس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس السادس

[المتن]

الأصل الرابع

بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء؛ وبيان من تشبه بهم، وليس منهم؛ وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، إلى قوله قبل ذكر إبراهيم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٢] كآلية الأولى؛ ويزيده وضوحاً: ما صرحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد؟ ثم صار هذا أغرب الأشياء! وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم: لبس الحق بالباطل! وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق، ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون! وصار من أنكره وعاداه وجدّ في التحذير عنه، والنهي عنه، هو الفقيه العالم !!

[الشرح]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ومن والاه بعد.
مراد الإمام محمد رحمه الله بهذا الأصل معرفة العلم وفضل العلم ومكانة العلم والعلماء، ثم مراده أيضاً التفريق بين العلماء الذين يؤخذ عنهم ويسبر عن أقوالهم، وبين غيرهم ممن تشبه بهم، أو ربما زاد عليهم شهرة وهو ليس منهم، هذا هو الأصل في طالب العلم أن يعرف العلم.
المسألة الأولى: معرفة العلم وفضل العلم مما يحمله على طلب العلم والصبر فيه.
ثم أيضاً من أهم المسائل في هذا الباب: التفريق والتمييز بين العالم وبين المتعالم، ممن كثروا في هذا الزمان، لذلك يقول رحمه الله: (وقد بين الله تعالى هذا الأصل) بيان فضل العلم وبيان التفريق بينهم وبين من عداهم من أهل البدع والأهواء.

يقول: بينه في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤٠-٤١] هذه من أعظم الصفات أو من أول الصفات التي ذكرها الله عز وجل وهي الإيمان، العلم يدعو إلى الإيمان، فأمر الله سبحانه وتعالى الذين أنعم عليهم وفضلهم أن يوفوا بعهد الله عز وجل، الوفاء

بعهد الله والقيام بأمر الله، والقيام بحق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذا أكد الأصول وأصل الأصول، ثم الرهبة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

هذه أوصاف يذكرها الله عز وجل في هذه الآيات، وهي نبراس وفرقان وتمييز بين أهل الحق وأهل الباطل الذين تلبسوا بهم، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ فإنهم يخافون من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ويرهبون الله عز وجل، فتحملهم هذه الرهبة على فعل ما أمر الله وترك ما نهى الله عز وجل عنه.

ثم قال: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الإيمان بكل ما أنزل الله سبحانه وتعالى؛ أركان الإيمان، أمور الاعتقاد، أصول الاعتقاد، يجب التصديق و الجزم بها إيماناً كاملاً إيماناً صادقاً.

ثم قال: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١] إنهم لا يريدون من العلم الذي أنزله الله ولا يريدون من الامتثال لأمر الله والإيمان به شيئاً من حظوظ الدنيا وإنما يريدون ما عند الله عز وجل.

ثم قال: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢] ينشرون الحق ويعلنون الحق ويدعون إلى دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وإلى الإيمان بالله عز وجل وإلى توحيد الله كما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثم قال عز وجل أيضاً: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] أمرهم بالعمل بعد الإيمان لا بد من هذه الأعمال أهل صلاة، وأهل زكاة، وأهل قيام مع الناس في صلاتهم وركوعهم.

ثم قال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] هذه من أعظم الصفات التي يتميز بها العلماء أنهم يعملون بما يأمرهم الناس به وبما قد علموه من دين الله عز وجل، فما تعلموه وما دعوا الناس إليه ولم يكتموا فإهم أول الناس من يعمل بهذا العلم يعملون بعلم الله عز وجل ولا ينسون حظ أنفسهم أبداً.

ثم قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، يستعينون على أمر الله ويستعينون على قضاء الله وبلاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالصبر الذي أمرهم الله عز وجل به والتحمل، ثم أيضاً بإقامة الصلاة وإقامة شعائر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى جميعاً.

ثم قال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بين أهل الخشوع ﴿الَّذِينَ يَطُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

ثم ختم الآيات ختم الآيات التي تبين صفات أهل العلم وأهل الفقه بقوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، هذه الأمور وهذه الأوصاف التي ذكرها ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذه الآيات هي أسباب التفضيل.

فمن أراد أن يكون من أهل الفضل عند الله عز وجل، ومن أراد أن تكون له حظوة عند الله عز وجل، فهذه الأوصاف وهذه الشروط وهذه اللوازم واجب عليه أن يلتزم بها.

ثم يقول الإمام محمد رحمه الله: **(ويزيده وضوحاً: ما صرحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد؟ ثم صار هذا أغرب الأشياء ! وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم: لبس الحق الباطل!)- والعياذ بالله- (وصار العلم الذي فرضه الله) أي العلم الذي أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأرادَه (على الخلق، ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون! هذه هي الألقاب التي يطلقها أهل البدع والأهواء على أهل الحق (وصار من أنكره وعاداه وجدّ في التحذير عنه، والنهي عنه، هو الفقيه العالم !!). والعياذ بالله.**

أما فضل العلم -يا إخوان- فضل العلم فقد بينه ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في آيات كثيرات كما بينه نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - نذكر طرفاً منها:

قول الله عز وجل: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [آل عمران: ١٨].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أيضاً: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** [فاطر: ٢٨]، خشية الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في السر والعلن، خشية الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - التي تقتضي العمل بذلك العلم إنما هو من أوصاف العلماء.

وقال - عز وجل - أيضاً: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾** [الزمر: ٩]، لا شك أنهم لا يستوون؛ لا يستوون والله لا عند الله ولا عند الناس أبداً.

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، هذه آيات ذكرها ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - تبين فضل العلم ومكانة العلم ومكانة العلماء في الدنيا وفي الآخرة.

وأما في حديث نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فقله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - كما جاء عنه في الصحيح: **((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))**،^(١) فالفقه في الدين والتفقه في دين الله عز وجل ودين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كما ذكرنا هو الاعتقاد الذي أوجبه الله عز وجل ثم العبادات ثم المعاملات وسائر الأحكام في السلوك والأخلاق، **((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))**، يقول العلماء: ومفاد هذا الحديث؛ مفهوم المخالفة في هذا الحديث أن من لم يتفقه في دين الله عز وجل ومن لم يرفع رأساً في تعلم دين الله فكأنما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما أراد به خيراً. والعياذ بالله.

^(١) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم الحديث: (٧١).

مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٧).

وحديث النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أيضا كما جاء عند أصحاب السنن والإمام أحمد وصححه الألباني رحمه الله قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة**))، نعم هذا حديث عظيم ((**من سلك طريقا**)) أي كان في طلب العلم لا يلزم أن يصل إلى مبتغاه ولا أن يصل إلى أعلى درجات العلم، مجرد سلوك ومجرد الطريق ومجرد البدء في طلب العلم يفتح الله عز وجل لك به طريقا إلى الجنة.

ثم قال: ((**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع**))، هذه فضيلة أخرى ومترلة كريمة جدا، فيقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصف فيه الملائكة أنها تضع أجنحتها ووضع الأجنحة معناها أنهم يكتنفونه بما يؤيدهم الله عز وجل فيحفظونه، يحفظون هذا الإنسان و يشتغلون بالدعاء له بالسلامة والتوفيق، ((**الملائكة تضع أجنحتها**)) أي تتواضع لهذا الطالب الذي يسلك طلب العلم ((**رضا بما يصنع**)) فهذا الصنيع وهو طلب العلم يرضاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويأمر الملائكة الكرام عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يضعوا أجنحتهم لهذا الطالب.

ثم بقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أيضا: ((**وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء**))^(١) فضيلة أخرى كل من في السموات من الملائكة الكرام وكل من في الأرض من الدواب والشجر وغيرها، وحتى الحيتان في الماء يشتغلون ويدعون الله عز وجل بالاستغفار لهذا الذي سلك طريقا في طلب العلم.

ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أيضا: ((**وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**))،^(٢) هذا هو التمييز وهذا هو الفرقان، وهذا هو الفارق بين طلب العلم وبين أهل العلم وبين من لم يرفعوا رأسا بالعلم الذي أنزله الله عز وجل.

ثم يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في نهاية الحديث: ((**وإن العلماء ورثة الأنبياء**)) أكرم بها والله مترلة وصفة، أكرم بها وساما يتوسم به طلاب العلم ((**العلماء ورثة الأنبياء**)) أي أنهم ورث الأنبياء، والوارث يا إخوان هو أقرب الناس إلى الموروث، الوارث الذي يرث هو أقرب الناس صلة وقربة إلى ذلك الموروث،

(١) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٢).

سنن ابن ماجه: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٨٥).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

والموروث هنا هو رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فالعلماء ورثته أي أقرب الناس منه، وأقرب الناس إليه، لذلك وصفهم بأنهم ورّاثه ثم قال: ((وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه)) -أي من أخذ العلم- ((أخذ بحظ وافر)) لأنه أخذ من ميراث النبوة وأخذ من مشكاة النبوة.

يقول الإمام بن القيم رحمه الله: والله لو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين هذا كما قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، يقول العلماء: أنظر كيف جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ نفسه ثم ملائكته ثم ثنى بالعلماء، هذا القرب والدنو من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. يقول رحمه الله: والله لو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين والالتحاق بعالم الملائكة وصحبة الملائكة الأعلى كفى به شرفا وفضلا.

ثم يقول رحمه الله: فكيف وعز الدنيا وعز الآخرة منوط بالعلم، مشروط بحصوله، من أراد عز الدنيا ومن أراد عز الآخرة عليه بالعلم، والعلم إخوة الإسلام العلم هنا هو العلم الشرعي الذي أنزله ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هو علم الكتاب وعلم السنة الموروث عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وأما علم لم يورث عن رسول الله فلا خير فيه والله، ولا ينبغي الاشتغال به.

العلم المراد والمبين فضله في كتاب الله - عز وجل - وفي ستة نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إنما هو العلم الذي يؤدي إلى استنباط الأحكام من كتاب الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، على وفق ما جاء به فهم الصحب الكرام، فهم صحابة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جميعا استنباط الأحكام من العلم الموروث عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الذي يحفظ الله عز وجل به الأصول ويحفظ به الكليات من الدين والمال والدم والعرض والعقل والنسل، وغير ذلك من الأصول والكليات التي لا غنى للناس عنها.

الأحكام التي يستنبطها العلماء العارفون الذين ورثوا العلم عن رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وجاهدوا واجتهدوا وصابروا وصبروا في تحصيله، ثم بعد ذلك في الدعوة إليه وفي بيان العلم الذي ورثوه عن رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يصفهم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ويصفهم أهل العلم بأنهم العلماء الربانيون الذين يربون الناس على صغار العلم قبل كباره، وواجب على طالب العلم، واجب على كل منا، وخاصة في هذه الأزمان أن نفرق وأن نميز بين أهل العلم الذين يؤخذ عنهم العلم، وبين المتعلمين الذين لا شأن لهم ولا حظ لهم من موروث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فالعلماء الربانيون هم الذين يربون الناس على صغار العلم وصغار المسائل قبل كبارها، نعم هكذا يبدؤون؛ يبدؤون بما بدأ به الله عز وجل.

وربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أول أمر أمر الناس به عبادته عز وجل وتوحيده، يبدؤون أولاً بتوحيد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يبدؤون بمسائل الاعتقاد، نعم يصلحون قلوب الناس ويصلحون إيمان الناس كما فعل رسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا الأمر لا شك أنه مستلزم لأن يكون أولئك الذين نأخذ عنهم العلم أهل بصيرة وأهل تمييز بين المسائل وبين الأولويات، الذين يثبتون أيضاً من أوصافهم كما قال كثير من مشايخنا، هم الذين يثبتون، وهم الراسخون الذين وصفهم الله عز وجل بالرسوخ، فتراهم راسخون ثابتون عند نزول الفتن وكبار المسائل ثابتون راسخون، ثم هم يثبتون ويرسخون الناس ليس عندهم من التخبط شيئاً أبداً، يعتنون بتوحيد الله عز وجل أولاً هذه أول صفاتهم أول صفات من يجب أن نجلس إليهم، وأن نسمع منهم وأن نأخذ عنهم ونصدر عنهم التوحيد، الاعتناء بالتوحيد.

ثم الاعتناء بمتابعة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن هذا الأصل الأول وهو التوحيد هو أول ما أكدت عليه النصوص الشرعية بالكتاب والسنة، وهو حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي فرضه وأمر به الأولين والآخرين، ثم متابعة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتعظيم رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعدم التحزب إلا إليه، يُرجعون الناس إلى سنة رسول الله وإلى تعظيم هذه السنة لا يهملون شيئاً من سنن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ بل تراهم على عناية عظيمة بسنة المصطفى بفعل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بما صح عنه من قول أو فعل أو غيره.

ثم بعد ذلك في المرتبة الثالثة يدعون في دعوتهم وفي تعليمهم الناس إلى مماثلة أصحاب رسول الله هذه الأمور الثلاث هي أول صفات العالم الذي يجب أن نأخذ عنه الاعتناء بالتوحيد ثم الاعتناء بسنة المصطفى محمد - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وسنته العظيمة، ثم بصحابة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تعظيم الصحابة وتوقير الصحابة ومتابعة الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - يربطون الناس ويربطون الشباب وطلاب العلم بالكتاب والسنة والصحابة فقط، لا يربطونهم بأمور أخرى ولا بأعيان وأعلام أخرى ولا بجمعيات ولا حزبيات ما أنزل الله بها من سلطان.

إخوتي يجب علينا أن نميز كما قال بيان العلم والعلماء والفقهاء وبيان من تشبه بهم وليس منهم، هذا هو أول واجب وأعظم واجب، أن ندعوا الشباب وأن نجتمع إلى هؤلاء العلماء والفقهاء. وأما أهل البدع والأهواء فتراهم والعياذ بالله تتضارب عندهم الأولويات في دعوتهم، دعوات تتخبط يمنة ويسرة نعم، يتخبطون في الأولويات يتخبطون في الأسباب التي يجمعون عليها الناس لا هم والله لهم إلا التجميع، فلا تصفية عندهم للعقائد والعبادات ولا تمييز عندهم بين السنة والبدعة، ولا يقيمون للسنة والبدعة شأن أبداً.

ثم أيضا يدعون الناس إلى أعيان وأعلام، ولا يربطونهم بصحابة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وترى أيضا في بعض هذه الدعوات وفي بعض هؤلاء المتعلمين الذين رفعهم الناس في هذا الزمان، فصاروا يوصفون بالعلم والفقه، وأهل الفكر والعياذ بالله تراهم يدعون فقط، يشتغلون شغلا عظيما ويدعون الناس إلى إقامة الخلافة والوصول إلى السلطة.

هذه صفاتهم مع الإهمال التام لمسائل التوحيد ومسائل الاعتقاد والعياذ بالله، يربطون الشباب بأحزابهم ورموزهم يربطونهم بالأحزاب والرموز من المتأخرين بل حتى من المعاصرين والعياذ بالله. من كان مستنفا فليستن بمن قد مات. نعم هذه وصية أصحاب رسول الله لكن نجد أناسا ونجد رموزا ونجد كثيرا من الدعوات تربط الشباب، وتربط الناس إلى رموزهم إما من المتأخرين من المتعلمين، وإما من المعاصرين والعياذ بالله.

يدعون الناس إلى العمل، بعض هذه الجماعات تدعو الناس إلى العمل والخروج والجهاد والدعوة قبل العلم والعياذ بالله.

أناس لا يعرفون شيئا من العلم، وما اشتغلوا كثيرا بالعلم يبدؤون بهم ويحملونهم إلى الخروج والدعوة إلى دين الله، ماذا يدعون، بماذا يجاهدون، كيف يجاهدون، ما هي الوسائل، لا يعرفون شيئا من ذلك أبدا. هذه الجماعات يجب نبذها ويجب الابتعاد عنها وعن رموزها، وكل حجتهم قول رسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**بلغوا عني ولو آية**))^(١) نعم بلغوا عني ولو آية؛ لكن بعد العلم بها، ومعرفة أحكامها ومعرفة ما تتعلق به هذه الآية وما ترتبط به من آيات وأحاديث، لا بد من العلم أولا قبل العمل وقبل الدعوة والخروج نعم،

تراهم أيضا يجب علينا أن نعرف هذه الأوصاف حتى نميز بين العالم والمتعلم، يقيمون الأعذار لشيوعهم ورموزهم إذا أخطؤوا وجانبوا السنة أو وقعوا في البدعة والعياذ بالله، وربما حين وقوعهم في الشرك أيضا يقيمون لهم كثيرا من المناهج المحدثه باسم الموازنات وباسم الحسنات والسيئات وغيرها من الأعذار، في حين أنهم لا يقيمون شيئا من هذه الموازنات ولا يقيمون شيئا من هذه المناهج إذا بدؤوا بدراسة حياة صحابة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فتراهم يرمون الصحابة بالأخطاء ويرمون الصحابة بالأوصاف التي لا يقبلونها لرموزهم وشيوعهم والعياذ بالله.

(١) البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٩).

نعم أيضا من صفات هذه الجماعات وهذه الدعوات أنهم ينصبون الأعلام والشيوخ ينصبون الأعلام والشيوخ، و يقيمون لهم المؤتمرات والمنتديات ووسائل الإعلام وغيرها، وهم لم يعرفوا بطلب العلم و بمشيخة والعياذ بالله.

أصبح الناس لا يميزون وإنما يتبعون ما في هذه الوسائل - وسائل الإعلام وغيرها - فإذا جاءت بعض الأسماء وزينت نعم وأقيمت لها الندوات وأقيمت لها المنابر وغيرها اجتمع الناس ولكنهم غثاء كما قال رسولنا عليه الصلوة والسلام؛ لأن فاقده الشيء لا يعطي أبدا.

أيضا من أهل البدع من تقوم مناهجهم ومجالسهم بالليل والنهار على تهيج العواطف وإثارة عواطف الشباب للجهاد وغيرها بلا تربية ولا قواعد ولا ثواب.

الجهاد شك أنه أجل الأعمال والجهاد ماض وباق إلى قيام الساعة؛ ولكن بعد الثواب وبعد القواعد وبعد العلم وبعد معرفة الأصول وغيرها.

ومن أهل البدع أيضا تقوم مناهجهم ومجالسهم على نبذ الحكم وعلى تتبع عورات الحكماء في الصباح والمساء لا شغل لهم إلا هذا لأنهم يريدون الوصول إلى السلطة وغيرها، وتراهم أيضا يهيجون الشعوب على منابذة الحكماء وعلى بغض الحكماء.

وقد مر معنا الكلام في بعض الأصول السابقة في هذا.

وأيضا من مناهج أهل البدع والأهواء من يقيمون في مجالسهم الطعن في العلماء الربانيين الذين قضوا أعمارهم وأيامهم في الدعوة إلى الحق وتحملوا الأذى حتى شهد لهم القاصي والداني، فتراهم ينبذون العلماء ويصفونهم بأوصاف لا تليق من فقه الدعوة أو غيرها أو من فقه الواقع والعياذ بالله، تلك المصطلحات التي أحدثوها ووالله لا يريدون منها إلا إسقاط العلماء أو صد الشباب عن العلماء الربانيين الذين جاءت صفات كثيرة لهم في كتاب الله وسنة رسول الله يريدون صد الشباب عن هؤلاء العلماء حتى لا يبقى إلا هم رؤوسا جهالا كما قال نبينا عليه الصلوة والسلام: **((إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال وإنما يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا))**.^(١)

(١) البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم (١٠٠).

مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم (٢٦٧٣).

كم نرى من هؤلاء الرؤوس على المنابر وغيرها من وسائل الإعلام يتخبطون في الفتاوى، ويتخبطون في تهيج الناس وغيرها بلا تأصيل ولا تقعيد ولا معرفة الأولويات ولا يدعوهم إلى حسن الاعتقاد وصالح الاعتقاد والعياذ بالله.

إخواني هذه أمور واجبة علينا؛ يجب أن نفرق بين العالم الرباني وبين غيره من هؤلاء الرؤوس التي كثرت في هذا الزمان، يقول عبد الله بن عباس حتى نعرف منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ في هذا: أنظر إلى هذه المناهج وانظر إلى هذه الأصول ثم اثبت عليها وادع الناس إليها ولا تحيد عنها. فوالله إنها الطريق التي توصل إلى مرضاة الله؛ لأنه بعدم متابعة الصحابة والعياذ بالله ضلال وغواية وسبل تقود أصحابها إلى النار والعياذ بالله، فقد قال نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نعم عند حديث افتراق الأمة قال: **((كلها في النار إلا واحدة))** وهذه الواحدة لا بد أن تكون على مماثلة ما عليه أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))** بل يقول ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - في بيان وجوب متابعة أصحاب رسول الله يقول الله عز وجل: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾** ثم قال: **﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾** [التوبة: ١٠٠]، فكن تابعا يا عبد الله، كن تابعا يا طالب النجاة، كن طالبا يا طالب العلم كن طالبا لمنهج الصحابة ولما كان عليه الصحابة، وكن تابعا لهم بإحسان أحسن وأتقن في متابعة أصحاب النبي، فإنه والله الطريق وإنه والله الصراط.

يقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ: إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يُكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه. تركوا الحديث عن رسول الله لما كثرت الفتنة وكثر الكذابون وكثر الوضاعون، وكثر الذين يترأسون بهذا العلم الذي لا ينبغي إلا لله عز وجل ويقول أيضا: إنا كنا إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف هذا هو التمييز، نعم.

عندما كان الناس على الجادة وكانوا على الحق ولم تكن فتنة ولم تكن فرق كانوا يسمعون لكل من يقول: قال رسول الله؛ لأن الناس كانوا أهل حق وأهل صدق وطلاب حق وطلاب صدق؛ ولكن لما دخل فيهم الدخن هذا الدخن يا إخوان دخل في الزمن الذي كان فيه عبد الله بن عباس؛ يعني في زمن التابعين في القرن الثاني في القرن الثاني من القرون التي شهد لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيرية في القرن الثاني ظهرت هذه الفتن والعياذ بالله، وظهر وجوب التمييز بين هؤلاء وبين غيرهم، بين أهل الحق وأهل الباطل، بين أهل السنة وأهل البدعة، هكذا يقول عبد الله بن عباس.

يقول محمد بن سيرين وهو إمام من أئمة التابعين هذه الروايات كلها جاءت في مقدمة صحيح مسلم فارجعوا إلى هذه المقدمة العظيمة مقدمة الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، فإنه قعد وأصل أصولا تحب على طالب العلم قبل الدخول في العلم.

يقول محمد بن سيرين رحمه الله: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. نعم يجب أن ننظر ويجب أن نعرف من هذا الذي نأخذ عنه دين الله تبارك وتعالى، لا نلتفت للأضواء، لا نلتفت لوسائل الإعلام، لا نلتفت للتطليل الذي عليه عامة أهل البدع، في هذا الزمان فإنهم يرفعون لنا رؤوسا والله خاوية لم تعرف بطلب العلم ولا بالاشتغال بالعلم ولا بالجلوس إلى العلماء، نعم اقرأ في سير الأئمة والتابعين ما تقرأ في كتاب من كتب السير عند سلف الأمة إلا يبدؤون بعد ذكر حياته ووفاته يبدؤون بذكر شيوخه أولا ثم بذكر تلاميذه، من تعرفون من هؤلاء الرؤوس من لهم من الشيوخ من لهم من التلاميذ؟ والله لم يعرفوا بشيء من ذلك أبدا فلا ينبغي لطالب العلم أن تختلط عليه الأوراق فإنهم والله يخلطون ولا يريدون إلا لبس الحق بالباطل كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]، ولا يجوز أبدا يجب أن نفرق تفريقا واضحا بينا إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

ويقول أيضا موضحا ومبيناً رحمه الله يقول: لم يكونوا يسألون عن الإسناد. الصحابة والتابعون في العصر الأول لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمو لنا رجالكم. نعم الفتنة وقعت في عصر التابعين، فكيف نحن وفي هذا الزمان والعياذ بالله نعم.

ثم يقول: فينظروا إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم. أهل البدع وأهل الأهواء وقد ذكرت أوصافا لهم وتعرفون أكثر مني، تعرفون من أوصافهم الكثير؛ لأنها لا تخفى؛ لأن أهل الحق دعوتهم إلى توحيد الله عز وجل أولا، ثم إلى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ثانيا، ثم إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثالثا، ويربطون الأمة ويربطون الشباب بهذه الثلاث لا محيد عنها ولا مناص عنها والله لا يتسمون إلا بهذه ولا يرتبطون إلا بهذه ولا يعتزون إلا بهذه، ما عندهم أعلام، ما عندهم أحداث ما عندهم رموز يدافع عنها حتى إن أخطأت في حق الصحابة والعياذ بالله، كم من هذه الرموز تكلموا في مسائل لا ينبغي أن يتكلم بها إلا كبار أهل العلم؛ بل تكلموا في مسائل هي الله ورسوله الكلام فيها ألا وهو الكلام في الصحابة، وفيما شجر بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ ولكنهم يعتبرون أنفسهم المفكر الإسلامي والحلل الإسلامي يحللون حتى ما وقع بين الصحابة من شجار ومن خلاف والعياذ بالله، ماذا يريد هؤلاء؛ لكن أقول يجب علينا أن نتنبه بأنهم يريدون أمورا أنتم أدرى بها والله عز وجل أدرى بها؛ ولكن واجب على طالب العلم أن يميز إخواني، يجب أن نميز حتى نعرف من هم الذين

نسمع لهم ومن هم الذين نأخذ عنهم ومن هم الذين لا ينبغي الاستماع إليهم كما قال محمد بن سيرين: فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، هذا إن كان مجرد الحديث؛ يعني نقلة الأحاديث عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أيضا لا يقبلون أحاديث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من هؤلاء المبتدعة، فكيف إذا كان هذا المبتدع يشرع ويستنبط ويذكر الأحكام ويحلل ويبين وينظر في أمور الدين والدنيا والعباد بالله، لا والله إنها الفتنة؛ بل هي أطمم مما كان عليه في ذلك الزمان.

فواجب علينا هذا التمييز، وهذا الكلام الذي ذكره الإمام محمد رحمه الله حتى نعرف ماذا أراد، قال: **(ثم صار هذا أغرب الأشياء)** أي الدعوة إلى توحيد الله وسنة المصطفى من أغرب الأشياء. هذا في زمانه؛ لأنكم تعرفون عندما قام ودعا إلى توحيد الله عز وجل، ودعا إلى تجريد هذا الدين من البدع والضلالات، رمته الناس عن قوس واحدة، عادوه رحمه الله وطرده من قريته وشرده من بلاده وأهله وبيته، فخرج مهاجرا في سبيل الله حتى أیده الله سبحانه وتعالى بمحمد بن سعود كما ذكرنا قبل الشروع في هذه الرسالة العظيمة، هذه العداوة لا بد منها، يعادون أهل الحق؛ بل إن الأنبياء قد عاداهم أقوامهم، الأقوام - أقوام الأنبياء - عادوا الأنبياء وهل هناك أجمل وأجل وأصفى وأنقى من دعوة الأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومع ذلك فإن أهل الأهواء وأهل البدع وأهل الضلالات وأهل الشرك والأوثان عادوا الأنبياء وسلطوا عليهم السفهاء وآذوا الأنبياء فهذه سنة العلماء ورثة الأنبياء.

وهذا الإمام محمد أوزي كثيرا رحمه الله، نعم لذلك هذا قوله: صار أغرب الأشياء وصار العلم والفقه والبدع والضلالات والعباد بالله، وحتى في زماننا هذا يقولون لدعاة التوحيد والسنة، أنكم تفرقون الناس أن هذه الدعوة لا تصلح لأنها تفرق الناس والعباد بالله، هذا مراده رحمه الله، وهذا الذي ذكره رحمه الله.

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لحسن الاستماع وحسن الانتفاع إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه. أيضا كلمة لطالب العلم أنصح بها نفسي وأنصح إخواني جميعا، الحذر؛ يعني بعد الحذر من المتعلمين ومن هؤلاء الرؤوس التي نُصبت لنا في هذا الزمان وما أكثرهم والعباد بالله.

بعد هذا العائق العظيم في الوصول إلى الحق ومعرفة الحق، لأن هؤلاء يعني مرادهم صد الناس عن الحق فقط.

لذلك أقول: كثير من هؤلاء شغله الأول كبار العلماء، نعم ونيز العلماء ووصف العلماء بأوصاف لا تليق قديما وحديثا؛ بل من الأنبياء - عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يصفونهم بأوصاف المراد منها، صد الناس عن سماع الحق منهم.

وهذا كثير والعياذ بالله لأنهم يرون أن إسقاط هؤلاء واجب حتى يتم لهم السيطرة على عقول الشباب ومن ثم توجيه هذه العقول حيث يريدون إلى أهوائهم وإلى مآربهم والعياذ بالله.

لذلك يقول المشايخ: إن الله عز وجل يعني كما ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**النجوم أمانة للسماء وأنا أمانة لأصحابي وأصحابي أمانة لأمتي**))^(١) هذا حديث عظيم، نعم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا شك هو الأمان، فما من فتنة وما من محنة إلا ويحلها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نعم، حتى إنه تكفل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالدجال إذا ظهر وهو فيهم، نعم أنه يكفيهم حتى الدجال أعظم فتنة على وجه الأرض ما فيه فتنة مثل فتنة الدجال فذكر - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن وجوده كاف ولله الحمد في صد هذه الفتنة والمحنة؛ ولكن طبعاً مات النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لذلك ذكر قال: ((**وأصحابي أمانة لأمتي**)) يجب أن نعقل هذا فدعوة لا تقوم على دعوة الناس وحمل الناس على دعوة الصحابة والله لا خير فيها ((**أصحابي أمانة لأمتي**)) أمان الأمة من الفتن والنوازل في الصحابة، الصحابة ماتوا؛ يعني منهجهم، منهج الصحابة التابعون العلماء الذين يتبعون ويقتفون آثار الصحابة نعم ويلتزمون ما كان عليه الصحابة هم الأمان.

فهؤلاء أمان ولا شك وأيضاً أهل البدع يعرفون فإسقاط هؤلاء لا شك أنه الطريق الأول لوصولهم إلى غايتهم لوصولهم إلى حمل الناس وتهيج الناس على السلاح والجهاد وغيره والعياذ بالله من الأمور التي اختلطت في هذا الزمان.

لذلك أقول دائماً: يجب أن يكون عندنا من أهل العلم من هم مرجع الذين يرجع إليهم لأنهم هم الأمان، الأمان في الأمة ما تخلوا أبداً، لا يخلوا أمان الأمة في عصر من العصور ولله الحمد والمنة كما جاء وعد نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((**ما تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي وعد الله وأمر الله تبارك وتعالى**)).^(٢)

يذلك أذكر يعني كلمة قالها شيخنا الشيخ عبد المحسن العباد يحفظه الله وهو لا شك من العلماء الربانيين نحسبه كذلك من العلماء الربانيين على المنهج الصحيح وعلى التربية الصحيحة ولله الحمد والمنة، هذا الرجل الفاضل هذا العالم الجهد يقول كلمة في حق الشيخ الألباني رحمة الله عليه بمناسبة زيارته إلى المدينة، قال: أنظروا فإن الناس لن تتكلم ثم شبه من يتكلم في الألباني كمن يتكلم في زمن الإمام أحمد في الإمام أحمد قال: في كل زمان قال كان عندهم يقول: من تكلم في الإمام أحمد، فإنه كذا من تكلم في فلان فإنه كذا يعني مطعون فيه قال: ونحن في هذا الزمان نقول من تكلم في الشيخ الألباني فإنه يقول: يجب أن ينظر في

(١) سبق تخريجه في الصفحة (٩).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة (٢٤).

عقيدته أو في دينه، إما في العبادة مبتدع ضال وإما في العقيدة منحرف والعياذ بالله؛ لأنه لا يعادي الألباني إلا لأن الرجل ثبت والله الحمد والمنة أنه على الجادة، وأنه على الصراط وأنه على الحق؛ لذلك لا يعاديه ولا يطعن فيه إلا وقد سمعت أقول في هذا المجلس سمعت بعض هؤلاء الرؤوس الذين يتصدرون في هذه الأيام وهو عندنا في الكويت وفي الكويت ما شاء الله رؤوس كثيرة جدا يمكن الآن عمره خمس وثلاثين أو دون الأربعين الآن قبل أكثر من خمسة عشر إلى عشرين سنة زار الشيخ الألباني ثم جاء والناس تزوره فجمعني وإياه مجلس والله ما كنت ذاهبا لزيارته ولكن المجلس جمعني به، وإذ به يسأل قال كيف وجدت الألباني قال: ليتني لم أره ليتني اكتفيت بالسماع عنه قال: ما وجدته شيئا أبدا، لا إله إلا الله قال هذا الكلام قبل وعمره تقريبا عشرين سنة يقول: زار الألباني وليته لم يزره ولم يره، واكتفى بما يسمع عنه، والعياذ بالله، هذه كلمات يقولون والآن طبعاً رأس ما شاء الله من الرؤوس التي تدعوا إلى هذه الدعوات الضالة والعياذ بالله.

أقول: من المعوقات أيضا التي يذكرها أهل العلم؛ لكن هذا هو المعوق الأصل الذي بدأ به رحمه الله الإمام (لابد من التفريق بين العلم والعلماء والفقهاء، وبيان من تشبه منهم وليس منهم) لكن في زماننا هذا الذين ليس منهم هم الذين تصدروا وهم الذين ترأسوا والعياذ بالله، والعلة أن الأمة غثاء، هذه هي العلة.

فمن أراد النجاة من هذا الغثاء ومن هذه الأوصاف، فعليه بالأمر الأول وعليه بالأمر العتيق وعليه بما كان الصحابة رضي الله تعالى عنه، فليحسن وليتقن متابعتهم لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

أقول: أيضا من المعوقات التي تذكر ويذكرها أهل العلم وأنتم تعرفونها لكن للتذكير يقولون: أيضا من المعوقات فساد النية أن الإنسان يطلب العلم وله نية والعياذ بالله غير إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ولا عنده إخلاص لله عز وجل ولا يريد بهذا العلم النجاة ولا يريد وعد الله تبارك وتعالى والعياذ بالله، فهذا لا شك من المعوقات العظيمة جدا ومن المفسدات، وعلى رأسها حب الشهرة وحب التصدر بعض الناس والعياذ بالله يجيء في هذا الشيء يجب أن يتصدر، وهذه أوصاف معروفة فتراه ما إن تطرح مسألة أو شيء يبادر قبل فهمها، قبل مراجعتها فيل مذاكرتها بينه وبين نفسه قبل عرضها على الأصول والثواب، تراه يجب أن يتكلم فيها فيرفع يده طالبا له، ما يصلح طالب العلم ينبغي أن يترث يسمع من غيره أولا، يسمع ممن يكبره سنا ثانيا، ثم يعرض هذه المسألة على ما عنده من الثواب ومن القواعد ومن الأصول، ثم بعد ذلك يتكلم بتوفيق الله عز وجل، طالبا من الله عز وجل السداد والتوفيق.

أيضا من المعوقات التفريط في حضور مجالس العلم وحضور أهل العلم خاصة العلماء الكبار إذا زاروا البلاد، أو إذا كان في موسم الحج أو غيره فسمع بعالم ينبغي المسارعة إلى الحضور إليهم لأن المسألة لا تكمن في طلب العلم وإنما في طلب أدب العلماء والتأدب بآدابهم نعم أن تتأدب بما يوجب علينا العلم. الإمام أحمد رحمه الله في أواخر أيامه يقول يذكر ممن لا ينساهم بالدعاء عند كل صلاة أو في كل ليلة وذكر منهم الإمام الشافعي رحمه الله، هذا تأدب.

الإمام أبو يوسف رحمه الله يذكر عنه أنه لما التقى بالإمام أبي حنيفة وطلب العلم عليه وتعلم عنه ولازمه يقول أنه ما مد رجله إلى جهة بيت أبي حنيفة وبين بيته وبيت أبي حنيفة عشرات البيوت؛ لكن يقول هذه الجهة التي فيها بيت أبي حنيفة ما مد رجله، الله أكبر أدب لا بد من التأدب بأدب العلماء أو معرفة حق العلماء إذا أدركنا أنهم من العلماء الربانيين، فلا بد أن لا نفرط في مجالسهم من باب أولى، وأن نحضر مجالسهم وأن نعتني بما يقرؤونه من كتب العلم، ما تقول أنا عندي هذا العلم.

ثم أيضا من المعوقات عدم العمل بالعلم والعمل، إذا علمت شيئا لا بد أن تعمل به يا عبد الله، فالعمل زكاة العلم العمل زكاته، إذا أردت نماء العلم، إذا أردت زيادة العلم فإنما يكمن ذلك في إيش في العمل، ثم أيضا قال بعض السلف:

يُصِيحُ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ

فالعمل لا بد منه العلم أولا؛ لكن لا يكتفي بالعلم ما نحن طلاب شهرة، ما نحن طلاب جمع معلومات وإنما طلاب عمل لأن هذا العلم إنما يبتغي به وجه الله تبارك وتعالى ومرضاة الله عز وجل وطريق الجنة التي أخبر بها نبينا عليه الصلاة والسلام.

أيضا من أهم المعوقات الحياء، بعض الشباب أو بعض الناس يكون مثلاً كبير سن أو كبير يعني مقام يعني في أهله أو كبير يعني ذو شرف وذو منزلة في العمل أو في الوظيفة، هذا يجعله أو يجعل بينه وبين طلب العلم يكون نوع من الحياء، يقول: أنا أجلس مع صغار طلاب العلم، أجلس في هذا المجلس، لا؛ أكتفي بالشريط ثم لعله يتكاسل حتى في سماع الشريط.

الحياء من أعظم المعوقات والعياذ بالله لحضور في المجالس ومخالطة المجالس وغيرها، وتراه يترفع عن الخلق وعن الطلاب وعن المتعلمين وغيرهم، وهذا لاشك أنه من أعظم معوقات التي تعيقه عن طلب العلم.

ثم أيضا ما يكثر بين طلاب العلم، وأسأل الله عز وجل أن يسلمني وإياكم من هذا وهو الحسد والعياذ بالله، وهذا كثير بين طلاب العلم فينبغي الحذر منه لذلك قيل قديما: ما كان أهل العلم قديما يأخذون كلام أهل الأقران، السبب هو الحسد والعياذ بالله الأقران؛ يعني وقع فيه أكابر العلماء، لذلك ينبغي الحذر من الحسد كن مغتبطا لغيرك، افرح إذا علم غيرك، افرح إذا تعلم غيرك أكثر منك، إذا حفظ أكثر منك افرح

في هذا نعم واقتدي به احمل نفسك على أن تصل إلى ما وصل إليه، أما أن تحسده وعلامات الحسد كما يقولون: أنك تفرح بخطأ القرين؛ هذا قرينك إذا أخطأ تجد في نفسك الاستعلاء إذا فرحت أو تفرح إذا غاب تقول: الحمد لله غاب من هذا المجلس، هذه الأمور كلها إذا وجدت في نفسك شيئاً منها فيجب أن تعالجها فإنك مبتلى بداء الحسد والعياذ بالله نعم، ثم أيضاً إذا ذم هذا القرين وتكلم بعض الناس فيه تسكت ما تدافع عنه ما تذب عنه وربما تكلموا بشيء ليس فيه، وأنت تعلم وتسكت من باب إن هذا طعن في القرين ويفرحك بما أنت فيه، هذه كلها علامات يجب الحذر منها فإذا وجدها الطالب في نفسه فليعالجها أولاً، ثم بعد ذلك يجلس في مجالس العلم ويسلك طريق العلم لأن هذه والعياذ بالله تأكله قبل غيره:

لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله

نعم مهلكة لصاحبها والعياذ بالله قبل أن تكون مهلكة للدين وللأجر والثواب.

أيضاً من الأمور التي تحصل كثيراً بيننا وبين إخواننا والصغار التعجل وعدم الصبر والعياذ بالله، وهذا كثير جداً يقول: صار لنا سنة ندرس نحن في هذا الكتاب، والدراسة ما انتهت وصار لنا سنتين والشيخ يغيب كثيراً والشيخ ما يغيب والله إلا لعذر؛ لكن سبحان الله تجد كل هذه مبررات، فنتشغل بهذه الأمور نقول: هذا كذا ثم نتشغل بأمور تصدنا حقيقة عن هذا مثل اليوم؛ لكن في زماننا هذا جاء شيء أشغل الشباب ألا وهو مثل هذا الجهاز لا أدري البلتوك، ما أدري الفلتوك، والكمبيوتر، وما أدري شو هو الثالث الانترنت فأصبحوا سبحان الله يجلسون كأنهم أمام وثن أو صنم الساعات الطوال تشغلهم والله حتى عن الواجبات والمندوبات وحضور مجالس العلم وغيرها؛ لأنهم يرون فيها الشغل يعني يشوف فيه وهذه كلها مشغلات ملهيات؛ لا ينبغي التشاغل بها ولا ينبغي أن نبرر بها عدم حضورنا؛ بل ينبغي أن نكون كما كان السلف يثنون الركب في مجالس العلم وخاصة عند العلماء الكبار نحن نحصل عندنا فرص كثيرة والحمد لله، يأتيها شيوخ من الخارج.

فينبغي أن نحصر عليهم وأن نحضر مجالسهم وأن لا نتعجل في حصول العلم ما تقول والله لي سنة سنتين أطلب العلم فيه غيرك من الجماعات عشرين وثلاثين سنة وهو أجهل من بعير أهله يا عبد الله لذلك لا شك أما أنت والله الحمد إذا علمت أصول التوحيد إذا علمت أصول المتابعة إذا علمت أصول المماثلة مع الصحابة فأنت والله على خير عظيم ثلاث احفظوها عني:

أصول التوحيد.

أصول المتابعة.

أصول المماثلة لصحابة رسول الله.

والله إذا علمتها وضبطتها وعملت بها فأنت على الصراط هذا وعد الله ما هو وعد مني أنا. ^(١)



(١) انتهى الشريط السادس.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع

[المتن]

الأصل الخامس

بيان الله سبحانه للأولياء، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار؛ ويكفي في هذا آية [آل عمران: ٣١] وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ والآية التي في [المائدة: ٥٤] وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ الآية، وآية في سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق، وحفاظ الشرع، إلى أن الأولياء: لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول، ومن اتبعه فليس منهم ! ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم ! ولا بد من ترك الإيمان، والتقوى ! فمن تقيد بالإيمان والتقوى، فليس منهم ! يا ربنا نسألك العفو والعافية، انك سميع الدعاء.

[الشرح]

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد:

الأصل الخامس من هذه الأصول العظيمة الستة جعلها الإمام رحمه الله بعد أن ذكر وجوب التفريق والتمييز بين العلماء الذين يجب الرجوع إليهم والصدور عنهم ووجوب التمييز بينهم وبين من يتشبه منهم وليس منهم، وكما ذكرنا في الدرس السابق وما أكثرهم في هذا الزمان هنا في هذا الأصل الخامس، أيضا يبين رحمه الله هذا الأصل العظيم وهذه القاعدة الشريفة وهي الإيمان بكرامات الأولياء؛ ولكن يحذر كعاداته رحمه الله من وجوب معرفة الأولياء أولا، ثم وجوب التفريق بينهم وبين من يتشبه بهم ويدعيها وليس منهم.

والأصل في هذا الباب، أو الأصل في ولاية الله - تبارك وتعالى - أو هذه القاعدة وهذا الأصل العظيم من قواعد أهل السنة ذكرها الإمام - رحمه الله - في هذه الآيات ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] هذا هو الأصل الأول في التمييز، وهذه الآية كما تعلمون يطلق عليها أهل العلم آية المحنة أو آية الامتحان، امتحن الله - سبحانه وتعالى - أهل الإيمان وأهل ولايته من أهل الدعاوى بقوله عز وجل: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ وهذا الشاهد، فإن محبة الله - تبارك وتعالى - إنما تستجلب بالإتباع وتنال بإتباع الله - تبارك وتعالى - من حيث أمره ونهي، ومن حيث خبره سبحانه وتعالى.

وأيضاً يظهر جلياً بإتباع رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم أيضاً بينها بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، تبين هذه الآية العظيمة أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ وَيُحِبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إثبات هذه الصفة العظيمة لله عز وجل والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يحب في عباده أَنْ يفعلوا ما يدعوا إلى حب الله - عز وجل - لهم وما به ينالون حب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. فالخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى يحب أَنْ يرى في عباده أو يحب أَنْ يصل العباد معه في علاقتهم به - عز وجل - إلى درجة نيل محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نعم، وهذا لا يكون إلا كما بينتها الآية العظيمة السابقة.

ثم ذكر الآية الثالثة - رحمه الله - وهذه الآية يقول أهل العلم ويصفها أهل العلم بأنها بينت أركان ولاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نعم وهي قوله عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ويقول العلماء: ذكر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الصفة العظيمة وذكر الفائدة الجليلة من الولاية بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ترغيباً من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لخلقهم ترغيباً لهم أَنْ ينالوا هذه المنزلة العظيمة، وأن يكونوا في ولاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأن يصيروا من أولياء الله - عز وجل - حتى ينالوا هذه النتيجة العظيمة، وهي لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثم بين - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - من هم الأولياء بعد وصفهم بها وبعد ذكر الثمرة، ثمرة الولاية فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهذا أول بيان أركان الولاية، هذه الآية العظيمة تبين أركان الولاية نعم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهذا هو الركن الأول وهم الذين حققوا الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثم بعد ذلك قال: ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي كانوا يعملون على مقتضى ذلك الإيمان، يتقون الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بأقوالهم، ويتقون الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بأفعالهم، فيحققون الإيمان الكامل والعمل الكامل، ولا شك أن هذه هي أركان الولاية كما بينها كثير من أهل العلم.

هذا الأصل أيها الإخوة أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة؛ الإيمان بولاية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الإيمان بأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يُحِبُّ، والإيمان بأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يُحِبُّ، الإيمان بأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يوالى والإيمان بأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يتولى.

فالمسألة أيها الإخوة يجب التنبيه إليها وأن هذه المسألة ذو طرفين:

طرف منك أيها العبد مع ربك تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والطرف الآخر هي من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لعبده وخلقته.

هذا الأصل العظيم يجب الإيمان به، هذا الأصل العظيم يجب التطلع إليه، ويجب أَنْ نسعى إليه جميعاً هذا الأصل بينه الإمام الطحاوي - رحمه الله - في عقيدته، وهي الموسومة بالعقيدة الطحارية، بعد أَنْ ذكر بيان

الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعدم مشاهة أحد أو وصول أحد من الخلق إلى الأنبياء حيث ذكر قال: ولا نفضل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء. نعم هذا هو أصل أهل السنة والجماعة.

الأولياء مهما بلغوا في ولايتهم، ونحن سوف نذكر تعريف الولاية قريباً إن شاء الله؛ لكن مهما بلغ العبد في ولاية الله عز وجل فإنه لا يداني ولا يقارب أحد من الأنبياء ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: بل نقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء. هكذا قال الطحاوي رحمه الله، ثم بين عقيدة أهل السنة والجماعة قال: ونؤمن بما جاء من كراماتهم - أي الأولياء - وصح عن الثقات من رواياتهم.

نرجع - بإذن الله - بعد أن نبين بعض الأصول والضوابط إلى مقالة الطحاوي رحمه الله، فتزيدها شرحاً وتفصيلاً حتى نعرف فضل هذا الإمام، ونعرف أنهم بكلماتهم اليسيرة إنما يذكرون القواعد والضوابط في الأصول وفي الاعتقاد.

وقال أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الواسطية قال: من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات من أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات.

هذا الأصل إذن ثابت وقد قرره العلماء قديماً، وما زال المتابعون لهم عليه في هذا الزمان؛ بل إلى أن تقوم الساعة نؤمن بالولاية، ونؤمن بثمرات هذه الولاية، ومن أعظمها كرامات الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - للأولياء في الدنيا، وكذلك كراماته - عز وجل - لهم أو ثمرات الولاية في الدنيا وثمرات الولاية في الآخرة.

مما يجب على طلاب العلم أن يتنبهوا له قبل كل شيء معرفة الولي، وتعريف الولي فنقول كما قال أهل العلم: الولي هو من وإلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الولي هو من وإلى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فصدق خبر الله عز وجل، وصدق واطمئن إلى وعده ووعيده، ثم امثل أمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ونهييه، امثل الأمر بفعله وامتثل النهي بتركه، ثم وإلى من وإلى الله - عز وجل - من الخلق والعباد، وعادى من عادى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - من الخلق والعباد.

هذا هو تعريف الولي، الولي لله - عز وجل - في معنى الاصطلاح هو من وإلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كيف نوالي الله عز وجل؟ نعم نواليه بالتصديق فيما أخبر سبحانه وتعالى بالتصديق في وعده ووعيده والاطمئنان التام إلى ذلك الوعد وإلى ذلك الوعيد، وأنه لا بد أن يتحقق وعده عز وجل وأما الوعيد فتحت مشيئة الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ثم بعد ذلك يمثل أمر الله ويمثل نهي الله عز وجل، وامتثال الأمر يكون بالفعل، وأما امتثال النهي فيكون بالترك والاجتناب.

ثم بعد ذلك يكون منزلة الولاء والبراء، فيوالي من وإلى الله أي يوالي من كان على سيرته وسنته وعلى طريقته ويعادي من غير وبدل ولم يكن فيما ذكرنا من حيث تصديق الخبر والوعد والوعيد، ومن حيث امتثال والأمر والنهي عند الله تبارك وتعالى.

والولاية لها أركان كما ذكرت في الآية السابقة التي ذكرها المصنف رحمه الله، وأركان الولاية عند أهل العلم تتحقق في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهو الإيمان بخبر الله عز وجل، والإيمان بوعده الله والإيمان بوعيد الله تبارك وتعالى.

ثم أيضا بالشطر الآخر وهي قوله: ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ هذا هو المؤمن، وهذا هو المتقي، بالإيمان والتقوى تتحقق ولاية الله عز وجل يستقيم على أمر الله، ويلتزم الحق الذي أنزله الله تبارك وتعالى، ثم يرجو لنفسه نيل وعد الله عز وجل؛ لأن الولاية كما قلت مثل المحبة، ليس الشأن أن تحب أنت الله تبارك وتعالى، أبدا وإنما الشأن أن يحبك المولى تبارك وتعالى لا إله إلا هو.

أما حبك لله فهذا مفروغ منه، فهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - كما ذكرنا هو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - موضع الكمال، والكمال يحب، وهو موضع الجمال والجمال يحب، وهو أيضا سبحانه وتعالى موضع ومنتهى الإنعام منه تبارك وتعالى، وأيضا صاحب النعمة يحب، فحبك لله عز وجل هذا أمر مفروغ منه نعم؛ لأن كل الشواهد في الحياة الدنيا تدعوك إلى حب الله عز وجل.

لكن هل هذا هو الشأن؟ هل هذا هو المقام؟ لا، المقام يا عبد الله أن تحصل أنت على حب الله - عز وجل - لك، أما حبك لله فهذا مفروغ منه، ولا بد منه عند العقلاء وعند أهل الفطر السوية وعند من نظر في نعم الله - تبارك وتعالى - وفي كمال الله عز وجل من حيث الأسماء والصفات التي أثبتتها لنفسه أو أثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام.

فالشأن في الحب أن تحب يا عبد الله كذلك الشأن في الولاية أن توالي أنت يا عبد الله، نعم، أما أنت فولائتك لله - عز وجل - تتحقق بما ذكرنا من الإيمان ومن العمل والتقوى، نعم ثم تستمر على ذلك، وترجو من الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن يتولاك هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتصير أنت وليا لله عز وجل. أما كون الله - عز وجل - هو وليك أقول فهذا مفروغ منه عند العقلاء قبل الفضلاء، نعم.

حصول الوعد من الله عز وجل هذا وعده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] أنت جاهد واجتهد، وبصدقك مع ربك تبارك وتعالى؛ بصدقك في الإيمان، وبصدقك في التقوى تحصل لك الولاية من الله عز وجل، ويتحقق وعد الله - عز وجل - لك وفيك؛ فيتولاك مولاك ويحبك ربك تبارك وتعالى، وهذا هو الشأن وهذا هو المقام، وهذا ما ينبغي أن يتطلع إليه العبد نعم.

لذلك نقول: فرق عظيم بين الولاية وبين ادعاء الولاية، وهذا ما أراده المصنف رحمه الله، وهذا ما رغب فينا أن نميز به حقيقة بين ولاية الله وغيرها، ولاية الله منك مشاهد ومعلوم الإيمان والتقوى، وأما حصول الولاية من الله - عز وجل - فهذا أمره إلى الله تبارك وتعالى، وأمر الله - عز وجل - قد غيبه عنك، لذلك أنا قلت: أنت تؤمن وأنت تتقي ثم ترجو أما تجزم فلا؛ لأن الجزم من أعظم أسباب صرف ولاية الله - عز وجل - عنك.

الدعوى كونك تدعي أو كونك تجزم أم وصلت إلى المرحلة التي يتولاك مولاك فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أقول: هذا الادعاء أو هذا الجزم وهذا الاطمئنان هذا من الشيطان والعياذ بالله، هذا قد فتح له باب الشيطان، وهذا الباب هو الصاد لك عن نيل ولاية الله تبارك وتعالى لا إله إلا هو، لأن من ادعى الولاية لاشك أنه قد زكى نفسه، ادعاء الولاية معناه أن أعمالك التي تعملها في الحياة الدنيا مقبولة رضي الله تعالى عنك ورضي عن أعمالك، وقبل منك جميع عملك، ولا شك أن هذا أعظم باب من أبواب تزكية النفس، وتزكية النفس أعظم معصية لله تبارك وتعالى. فأين المعصية من التقوى، فأنت عصيت ولم تتق الله ولم تعمل بخبر الله، ولم تطمئن إلى وعد ووعد الله تبارك وتعالى، فأنت وقعت في معصية عظيمة وهذه المعصية بعينها تمنعك أو تمنع الولاية عنك لذلك دعوى الولاية إذا سمعناها من أحد لنفسه أو لغيره بعض الناس يقول: نحن لا ندعي الولاية لأنفسنا ولكن نقول: فلان ولي الله. إذا كان ربك تبارك وتعالى قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ شوف الآية العظيمة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، إذا كان الإنسان منع شرعا أن يزكي نفسه ولا شك العاقل يعرف أن الإنسان أعرف الناس بنفسه كل واحد منا أعرف من غيره بنفسه من حيث مكنوناتها من حيث ما توسوس من حيث الصدق من حيث اليقين أعلم الناس بالنفس هو نفسك أنت، فإذا كان ربك عز وجل قد منعك أن تزكي نفسك فتزكيتك لغيرك من باب أولى؛ لأنك ما تعرف غيرك، الغير هذا ما تعرفه تعرف الظاهر منه؛ لكن ما تعرف الباطن أما أنت بنفسك تعرف نفسك من حيث ظاهره ومن حيث باطنك، ما تعلن وما تخفي تعرفه في نفسك، تعرف أعمالك التي تعملها إن كانت خيرا وإن كانت شرا، سواء ظهرت أو أبطنت شيئا منها أو أسررت شيئا منها، فكيف تزكي غيرك يا عبد الله.

فالمنع شرعا من تزكية الغير أولى وأعظم وأشد في هذه الآية في دخولها تحت هذه الآية من تزكية النفس ولا شك؛ لذلك نقول: تزكية النفس هي الصارف وهي المانع من حصول الولاية.

هذه المسألة الأولى نعرف الولي، ونعرف المدعي، ونعرف أركان الولاية، ومعنى الولاية. مما ينبغي أيضا في هذا الباب أن يدرك وأن يعرف تعريف الكرامة، ما هي الكرامة؟ لأن الخلط كثير، الخلط في هذا الباب كثير جدا.

الكرامة هي ثمرة الولاية، الكرامة التي تحصل هي من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لذلك قلنا: الولاية التي نحن بصدددها فيه شيء من العبد إلى الله، وفيه شيء من الله عز وجل إلى العبد، قد تدرك واحدة لكن الثانية ما تدركها، لذلك كيف تدعيها؟ أو كيف تدعيها لغيرك؟

باب خطير جدا ينبغي أن يسد، الكرامة هي ما تكون من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لعبده الولي التقى المؤمن، العبد إذا حقق الإيمان بأركان الإيمان وشروط الإيمان ولوازم الإيمان كما تقدم في باب الاعتقاد، ثم حقق التقوى إلى العمل؛ عمل بتقوى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فامتثل الأمر و اجتنب النهي إما خوفا وإما رجاء من الله عز وجل، ثم والى وعادى في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لاشك يحصل له الثمرة من الله.

فالكرامة إذا حصلت تكون ثمرة لإيش؟ لهذه الولاية التي حققها العبد بإيمانه وتقواه.

أمور خارقة للعادة يجعلها ويجريها المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَى لمن كان وليا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا إله إلا هو، الذي حقق الولاية يستحق إيش؟ يستحق الكرامة، لكن ليست شرطا كما سيأتي أقوال أهل العلم.

والخوارق التي تحصل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنواع:

نوع منها يتعلق بجنس العلوم؛ يكشف له الله عز وجل من العلم والمعرفة والفراصة والفطنة والإدراك والتمييز بين الحق والباطل، والتمييز بين الخير والشر، ومعرفة ما ينبغي فعله في زمن الحن وزمن الفتن، يطمئن إلى ما يلقيه، وهذا قد يكون إلهاما وقد يكون يقظة معرفة وتفسير، وشيء يلقيه الله عز وجل على عبده، وقد يكون مناما يرى في المنام أمور يطمئن إليها، فيعمل بها ويستأنس بها وبها يميز وبها يعلم وبها يدرك، هذه كلها تكون فتتكشف له الأمور، وتتكشف لها علوم لا تنكشف لغيره من الناس، نعم فهذه من كرامات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذه كما يقول أهل العلم: التمييز بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، والشر والخير وغيره هذه من أعظم أنواع الكرامات التي يرحوها أهل السنة والجماعة وأهل الحق.

فيه نوع آخر من الكرامات ذكرها أهل العلم بأنها من جنس القدرة والملك؛ فيجري الله عز وجل من خوارق العادات، خوارق يعني العادة تحرق بمثل هذه الأمور التي تحصل لهذا الإنسان؛ لأن عادة الناس أنها ما تقدر على هذا الشيء أو ما يحصل لها هذا الشيء؛ لكن تحصل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لبعض عباده، أو تكون من باب التأثير؛ يكون كلامه يؤثر في بعض الناس إذا نصحه، إذا أخبره، إذا أمره، إذا طلب منه شيئا، يتأثر الذي يُطلب منه فيممثل الأمر ويمثل النصيحة أو يمتثل الشيء الذي طلبه منه.

وكذلك يكون بحب الناس إليه، يُحب من قبل الخلق والعباد أو يكون مستجاب الدعوة بأن يدعو لمن يحب أو يدعو على من يكره أو يدعو على الأعداء فيتحقق فيهم الهلاك، حصل هذا كثير جدا.

الحسن البصري رحمه الله آذاه أحد الخوارج أذى عظيما فدعا عليه فأهلكه الله عز وجل في لحظة، سبحان الله في اللحظة أمام الخلق والعباد، أمام الناس عيانا، هذا التأثير، تأثير الدعاء أو تأثير الطلب كما

قلت، هذه كلها أيضا خوارق، ويدخل في هذا كونه يستغني عن الناس؛ يستغني أحيانا عن الطعام عن الشراب، الله عز وجل يعطيه القدرة يعطيه القوة، هذه أعدها بعض أهل العلم نوع ثالث لكن كثير من علمائنا أعدها على ما تدخل من باب إيش القدرة.

فالخوارق إما أن تكون من باب العلم والكشف والمعارف بما يطمئن لها القلب والفؤاد والعقل والذهن خاصة في زمن الفتن والحن، تراه مطمئنا راسخا ثابتا في حين يضطرب الناس ويصير الحليم حيرانا، هذا من الله عز وجل وهذه من أعظم أنواع الكرامات.

والثاني من باب القدرة يسخر الله عز وجل له أشياء لا يقدر عامة الناس عليها إما في الناس وإما في الأحوال، وهذا كثير جدا؛ لكن مثل ما قلت، هذه الكرامات يعني تحصل من الله عز وجل، أما باب الدعوة كما أغلقنا باب الدعوة في الولاية؛ لأنك أنت تعمل وما تعرف هل الله عز وجل قبل أو ما قبل إذا كان عبد الله بن عباس يبكي ويتمنى أن يعرف أن الله تعالى قد قبل منه ركعتين، فمن يستطيع أن يجزم بعد ذلك؟ إذا كان ابن القيم رحمه الله يقول: إذا كان إبراهيم يخاف على نفسه وولده الشرك فمن يأمن بعد ذلك من الناس يأمن على نفسه الفتنة والتحول في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فأنت تعمل وتجتهد وتجاهد وتصابر وتثابر وترجو من الله - عز وجل - القبول، ثم بعد القبول تكون باب الكرامات.

كذلك الكرامات أو جنس الخوارق يعني كما ذكرنا التي تكون للأولياء، الكرامة لا تكون إلا للأولياء فالكرامة ثمرة من ثمرات الأولياء، والأولياء كما قلت عرفناهم، هم أهل الإيمان وأهل التقوى، هؤلاء هم الأولياء.

أما ما عنده إيمان أو عنده خلل في الإيمان أو عنده خلل في التقوى والله نستطيع أن نجزم بأنه ليس بولي، من عصى الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - واستقام على معصية الله وخالف أمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أو انحرف في عقيدته والعباد بالله ولم يؤمن بالإيمان الواجب بالله عز وجل، فلا والله لا يصير وليا ولو اجتمعت له مخاريق الدنيا كلها، ما يمكن.

والكرامة كذلك كالولاية لا يجوز أن ندعيها واحد يقول: ليش طيب واحد صارت له كرامة ليش ما يقول؛ يعني لماذا لا يحكيها؟ أولا كونك تجزم أنه هذا الذي حصل لك من باب التكريم من الله - عز وجل - أهو من جنس الكرامة كأنك زكيت نفسك بأنك من أهل الولاية، فدخلت في الأولى دخلت في قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تُزَكُّوا﴾ لأن من ادعى أن الله تعالى قد جعل له أو سير له هذه المسألة كرامة، وهذه من باب الكرامة حصلت له، هذا كأنه جزم بأنه ولي لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فادعاء الولاية وادعاء الكرامة داخل في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وهي أعظم معصية تحجب الولاية وتحجب الكرامة.

والذي يصير للناس الذي يصير للناس؛ لأن خوارق العادات ينبغي أيضا أن نعرفها.

خوارق العادات هذه المسألة الثالثة، نحن عرفنا إيش الولاية والولي عرفناه ميزنا، عرفنا الكرامة هي ثمرة للولاية، الآن مسألة لا بد منها تعريف خوارق العادات، أن نعرف الخوارق؛ لأن فيه أمور كثيرة جدا تحصل ولا يستطيع عامة الناس عليها الخوارق يعني أمر حصل وعامة قدرات البشر وإمكانيات البشر وطاقات البشر العادية لا تستطيعها شيء معجز، هذه نسميها خوارق ولا نجزم لأنه الخوارق أعم من الكرامة، الكرامة داخلية تحت إيش؟ تحت الخوارق؛ لكن ليست هي كل الخوارق، الخوارق أعم.

فالخوارق نقول كل ما يحصل في الدنيا نعم تكون من أربعة أبواب كما بينها أهل العلم، جميع الخوارق والمخاريق التي تحصل في الدنيا على أربعة أنواع:

الأول: ما يكون جنسه للأنبياء والمرسلين، وهذه ما أظن تحتاج إلى طول كلام؛ لأنها ثابتة في القرآن والسنة، والفرق والتمييز بينها وبين غيرها واضح وجلي؛ لأن صاحبها يدعي إيش مع دعوى النبوة أنه نبي ورسول ومرسل من الله وانتهت بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنه خاتم؛ يعني لا نبي بعده، فهذه أغلق بابها بعد محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الخوارق تحصل للأولياء؛ أي جنس الخوارق نوع منها يحصل لأولياء الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وهذه، لا بد عندما نقول: نستحضر تعريف الولي والولاية ونستحضر تعريف الكرامة تكون للأولياء، ومن أعظم صفات الأولياء عند حصول الكرامة لهم أن نعرف أننا ما رأينا أحدا من هؤلاء حكى الكرامة عن نفسه، امسك هذه يا عبد الله الكرامات حصلت كثيرا أقول لك: ما رأينا وليا حكى الكرامة التي وقعت له بنفسه عن نفسه.

لذلك أرجع إلى قول الطحاوي - رحمه الله - الذي قلته في الأول قال: ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم. الثقات هم الذين يروون لنا كرامات الأولياء، ما رأينا وليا يروي كرامة لنفسه عن نفسه بحال، فكرامات الأولياء كما يقول ابن القيم - رحمه الله - الأصل فيها أنها تطوى ولا تحكى، لأنه إذا صارت الكرامة لولي من الأولياء الله عز وجل أكرمه بشيء فإنه لا يدعيها يخاف على نفسه أيضا ونحن قلنا الخوف من الله عز وجل الخوف الصادق من الله كما قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، هم الذين يؤمنون، هم الذين يصلون، هم الذين يصومون، هم الذين يتصدقون، ومع ذلك يخافون بالخوف من الله عز وجل ما زال معهم رغم إيمانهم ورغم حصول الكرامة لهم لا تغريهم هذه الكرامة وهذه الخارقة فتمنعهم من الخوف أو تقطع عنهم خوف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وخوف مكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

لذلك الكرامات إذا كانت عند الأولياء فإنها تطوى ولا تحكى...

.. كرامات كثيرة جدا والله ما حكاها عن نفسه وإنما حكيت عنه بعد وفاته رحمهم الله ما كانوا يرضون أنها تحكى في حياتهم أيضا هذا فارق عظيم وميزان عظيم.

ثم الميزان الآخر مثل ما قلت أننا نطبق عليه شروط الولاية وشروط الكرامة.

نرجع للخوارق الخوارق أيضا تحصل لنوع ثالث وهم أهل الدجل وأهل الدعاوى وهم كثير في هذا الباب، الذين يدعون الولاية، والتمييز إن شاء الله سهل جدا ما هو صعب، مثل التمييز بين الكرامة وبين معجزات الأنبياء أيضا معروف وبين أيضا التمييز بين الكرامة أو الخارق للأولياء و الخارق لهؤلاء الأدياء الذين أشار إليهم وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار أيضا تحصل لهم خوارق الفجار المنافقون أعداء الله، تحصل لهم خوارق؛ لكن هذه ليست من باب الكرامة، وإنما من باب الاستدراج ومن باب الفتنة وشتان بين ما يقع تكريما من الله وبين ما يقع فتنة واستدراجا من الله عند أهل العلم نميز التمييز سهل، استدراج لصاحبها، لصاحب الخارقة الذي حصلت له خارقة يستدرج، فيستمر في معصية الله وفي معاداة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فتنة للأتباع لمن يتبعونهم ولمن يقلدونهم ولمن يعظمونهم في هذه الحياة الدنيا. كيف نميز؟ كيف نفرق؟

التفريق الأول: أنهم يدعونها لأنفسهم، هؤلاء يدعون الولاية؛ بل ويدعون الكرامة، ويكذبون في الولاية كثيرا ويكذبون في الكرامة أكثر، ماذا يريدون؟ يريدون إثبات الولاية لأنفسهم حتى تتحقق فيهم متابعة الخلق ومتابعة العباد وتعظيم العباد لهم، وتوقير العباد لهم، فهم يريدون الولاية، باب إثبات الولاية عند الناس إيش وجود الكرامات، أنه نحن حصل لنا كرامة، حصلت لنا واحدة ثنتين ثلاثة أربعة خمسة عشرة عشرين، وكل ما المسكين يسمع إن الكرامات زادت كان هذا ولايته إلى الله - عز وجل - أقوى وأقرب من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والأمر ليس كذلك، الأصل عندنا أن الولاية لا يشترط كما سيأتي الكلام إن شاء الله، لا يشترط للولاية حصول الكرامة ليس شرطا، وإنما نعم علامة أو يعني حاجة، حاجة لهذا الإنسان فتحصل له كرامة، أو يعني حاجة شرعية تحصل بها الكرامة؛ يعني تحقيق وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بظهور الدين وغلبة الدين ونصرة الحق وانتصار أهل الحق، هذا من باب دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تحصل الكرامة نعم؛ لكن ليست شرطا كم من الأولياء جاءوا وماتوا وما عرف الناس لهم هل الولي يريد ما عند الناس أو ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ طبعا ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فمعرفة الكرامة وعد الكرامات هذه مستهلكة بين الخلق والعباد، والولي الصادق لا يريد ما عند الخلق والعباد، وإنما يريد ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا إله إلا هو.

أهل الاستدراج وأهل الفتنة تحصل لهم أقول هذه، لكن التمييز بينهم وبين الأولياء أنهم يدعونها

وأولئك لا يدعونها، أنهم يفرحون بها وأولئك يخافون منها.

عمر بن الخطاب لما فتحت له الدنيا وجئت له بالكنوز جميعا كنوز كسرى، وكنوز قيصر امتلأ المسجد وجوار المسجد، والمنطقة التي حول مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها ذهب وتيجان وكنوز وأموال وغيرها، بكى عمر بن الخطاب، فالبعض قالوا: لماذا تبكي في هذا اليوم، هذا يوم النصر هذا يوم الغنائم ويوم قال: أخشى أن نكون ممن عجلت لهم حسناتهم في الدنيا.

حصول الكرامة يعني تدعو الولي إلى الخوف أن تكون حسناتهم عجلت لهم في الدنيا؛ لأنهم ما يريدون حصول الثمرات في الدنيا، وإنما يريدون الثمرات أين تكون عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أما الأدعية فتري يعدون؛ لذلك تقرأ في تراجم أهل البدع والأهواء، اقرأ في تراجم أهل البدع والأهواء يذكر لك الترجمة ثم يعد لك واحد اثنين عشرة عشرين من الكرامات؛ لأن الكرامة عندهم شرط لإثبات الولاية لذلك يعدونها ويذكرونها وينشرونها ولا يطوونها أبدا ولا يسترونها.

نقول: الكلام يعني طویل الحقيقة في هذا، نأخذ وقت للأسئلة.

نعم على كل نقف عند النقطة إن شاء الله كما لعل يكون لنا في الدرس القادم أيضا تكملة هذا الأصل نفسه.

قلت: الخوارق تكون للأنبياء وهذا التمييز بها سهل الخوارق تكون للأولياء، عرفنا شيئا من شروطها وعلاماتها.

الخوارق تكون للأدعياء، وهذه تكون من باب الاستدراج يستدرجهم الله عز وجل، وتكون من باب الفتنة للأتباع يفتتن بهم المتبوعين أكثر، لذلك لو نظر القارئ وطالب العلم إلى شيء تقرأ في كتب التراجم عند أهل السنة أقول: لا تجد هذا الباب؛ لكن تقرأ كتب التراجم عند أهل البدع كم يتنافسون وكم يُكثرون من ذكر ما يعدونه من جنس الخوارق؛ لأن الأصل في الولاية عندهم لا تثبت إلا بهذه الكرامات والعياذ بالله، وهذا خطأ مثل ما قلت؛ لأن الأصل في نشدها والأصل في ادعائها والأصل في إذاعتها، كلها من أبواب تزكية النفس التي منعنا الله عز وجل ونهانا عنها سبحانه وتعالى.

أيضا الخوارق تكون من باب السحر تكون عند المشعوذين وأهل السحر الذين عندهم التخيلات أو عندهم السحر وغيرها وتكون للجن وتكون للشياطين كله من هذا الباب، هذا جنس الباب الرابع باب طویل جدا، لذلك قضية الخوارق لا يعول عليها ما يعول عليها أبدا؛ لأن كل أعمال الجن بالنسبة لك أنت تعتبر خوارق فهل الله عز وجل يحب الشياطين ويحب الجن.

حصول الخوارق ليست دليلا على حب الله عز وجل لهذا العبد، والخوارق قضية نسبية، نحن كثير من الأعمال ما نقدر عليها يقدر عليها من؟ الجن والشياطين، صارت الشياطين و الجن أقرب إلى الله عز وجل،

صارت أقرب إلى الله عز وجل صارت من أولياء الله؟ لا، هم أعداء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فالقضية نسبية لذلك أقول يعني لا ينبغي أن يتطلع إليها و ينبغي أن يحرص عليها احرص على ما يكون من طرفك أنت وترجو من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ' أن يحل ما يكون من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - من حيث القبول لا من حيث العلامات، ليش .. الدليل يطلب هذا الدليل.

لذلك نقول: التمييز ينبغي أن يكون لأنه نحن مثل ما قلت ما يكون للأولياء ما يكون للأدعياء، هذا هو الذي يحصل فيه الخوف؛ لكن طالب العلم إذا ميز وفرق بين أهل الإيمان وأهل البدع، وفرق بين أهل السنة وبين أهل البدعة، فرق بين أهل الطاعة والتقوى وبين أهل المعاصي، كيف يلتبس عليه الأمر.

الشافعي رحمه الله يقول: إذا رأيت الرجل يطير في الهواء - هو ينسب للشافعي - ويمشي على الماء، فلا تغتر به، فيه خوارق أكثر من هذه، يطير هكذا كأن عنده بساط الريح وجعل الماء الذي يمشي عليه يكون جامد الذي يمشي عليه أو يجلس عليه ويمشي كأنه سفينة بلا حركة، ولا شيء هذه يذكرونها كثيرا فقال: لا تغتر به حتى لو رأيته على مثل هذه الأشياء إياك أن تغتر به حتى تراه في الأمر والنهي، حتى تعرضه على كتاب الله و على سنة رسول الله، تعرض هذا الرجل على الكتاب والسنة.

نحن عندنا نعرف أركان الإيمان، ونعرف شروط الإيمان ونعرف أيضا أركان التقوى وشروط التقوى معروفة أمور واضحة جلية.

فالتمييز ينبغي أن يكون واضحا لا نغتر أقول: إذا رأينا مجرد خوارق، لذلك لا تطلب الخوارق إذا كانت الخوارق تجري على أيدي الشياطين والجن وأعداء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكذلك أهل السحر وأهل الشعوذة بأدوية وغيرها.

إذن هي ليست محلا وليست شرطا وليست دليلا على قبول الله - عز وجل - وعلى رضا الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عن هذا المخلوق وعن هذا العبد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فأقول: التمييز ينبغي أن يكون واضحا ونذكر الفروق التي ينبغي أن نعرفها في الفرق بين الولي وبين المدعي للولاية، ونعرف الفرق بين ما يحصل من باب التكريم هذه ترجع الجزم بها لا يكون يعني أنت إذا كنت على درجة من الإيمان وعلى درجة من التقوى ثم حصلت لك واحدة من الكرامات تروح تجزم بأن هذه كرامة إياك أن تجزم إذا جزمت وقعت في إيش وقعت في النهي ﴿فَلَا تُزَكُّوا﴾ نرجو نقول: نرجو إن هذا الذي حصل لنا يكون من باب الكرامة فإذا كنت ترجو وتقطع على الرجاء إلى أن تموت متى تجزم ومتى تدبغ ومتى تنشر الخوف هو الذي يمنعك من أن تفعل جميع هذه الأمور.

لذلك كل ما نراه عند الصوفية وعند أهل البدع وعند أهل الأهواء في كتبهم وفي تراجمهم في حياتهم حتى في حياتهم يقول لك: الشيخ الفلاني حصل له كذا حصل له كذا حصل له كذا مما يعد ولا يحصى

والعياذ بالله يشوفون الله - عز وجل - يشوفون النبي محمد يحضر لهم النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في الدروس وفي غيرها كل هذا عندهم والعياذ بالله دعوى والدعوى فيها كثيرة جدا.

لذلك ينبغي أن نعرف وأن نميز الحق من الباطل، وأن نميز أهل الولاية؛ أولياء الله عن أولياء الشيطان. ورسالة لطيفة جدا وصغيرة لشيخ الإسلام ابن تيمية الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان اقرؤوها ضمنها يعني فروع كثيرة جدا وضمنها تنبيهات ينبغي التنبيه إليها حتى يفرق الإنسان بين هذه الأشياء وبين ما يقع في هذه الدنيا من الخلط والعياذ بالله خاصة عند أهل البدع والأهواء. شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا مما ذكره رحمه الله أن هذه الخوارق التي تقع، طبعاً الكرامات طبعاً الكلام كله في الكرامات التي تقع للأولياء غالباً إما أن تكون لحجة أو حاجة:

حجة دينية: الله عز وجل يظهر دينه ويظهر أمره وينصر سنته وينصر أوليائه وينصر - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أهل الإيمان.

أو تكون حاجة: يعني هذا مفتقر إلى حاجة فالله عز وجل إيش يعني يكرمه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بذلك فتقضى له تلك الحاجة يعني سواء كانت عند الخلق والعباد أو في غيرها من الأحوال والأمور فتقضى وتحقق له تلك الحاجة وهذه من باب التسلية؛ يعني تسلية لنفسه وتسلية لقلبه واطمئناناً له تحصل له هذه الأشياء؛ لكن مثل ما قلنا هذا ما يذهب غدا يذيعها وينشرها وإنما يطويها بل يخاف على نفسه منها، يخاف أنها من باب تعجيل الحسنات يخاف من مكر الله عز وجل لا بد من استحضار هذه الأمور؛ لذلك يعني ذكر رحمه الله هذه إما تكون لحجة دينية شرعية أو تكون لحاجة كما بين.

الناس في هذه المسألة في هذا الأصل طبعاً نحن نختصر باختصار شديد جداً؛ لأنه ما يهمنا كثيراً؛ لكن فقط حتى نعرف ما تتميز به في عقيدتنا وفي أصولنا ناس في هذه الدنيا أنكروا قضية الكرامة تماماً، قالوا ما فيه كرامة: لا للأولياء ولا للأتقياء ولا لغيرهم هذا كله باب دجل ينبغي أن يسد، يعني الكلام الذي قلناه في الاستطراد هم أيضاً يقولونه في باب، هم لا يؤمنون بكرامات الأولياء لماذا؟ قالوا: لأنها تلتبس مع الأنبياء وهذه من خصائص الأنبياء ومن خصائص الرسل فحتى تبقى للأنبياء والرسل منزلتهم وتميزهم عن غيرهم لا نقول بكرامات تقع للأولياء.

الرد عليهم سهل جداً؛ لأن الأصل في الأولياء أنهم ما حصلت لهم تلك الكرامات إلا لمتابعتهم لمن؟ للأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أبداً كلما ازداد صدقك ومتابعتك للنبي كلما كنت أهلاً للولاية والكرامة.

لذلك البيهقي رحمه الله له كتاب عظيم جداً دلائل النبوة، لما ذكر دلائل النبوة وعلامات النبوة وآيات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في النهاية ذكر أشياء حصلت.... شدة وصدق متابعتهم لمن؟ فكان الكرامات التي تحصل للأولياء تضم إلى دلائل النبوة، فتكون من الأشياء الدالة على

صدق الأنبياء في نبوتهم عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهم المعتزلة ومن وافقهم من طبعاً من فلاسفة الزمان ومن وافقهم من بعض الأشاعرة وغيرهم.

قوم آخر توسعوا، هؤلاء أغلقوا الباب، وأولئك كسروا الباب، توسعوا كثيراً في الكرامات بل لدرجة أنهم جعلوها شرطاً في الولاية وجعلوها شرطاً في الإيمان، حتى أنت تعرف أنك مؤمن لابد تحصل لك كرامة، لو قلنا لهم أعطونا بعض الصحابة هل حصلت لهم ما يستطيعون يجيبون، هل معنى هذا أنهم ليسوا مؤمنين، لا يصح أن يقال أن الكرامة من شروط الإيمان وما عدها أحد من أهل العلم من شروط الإيمان و من شروط الإسلام و من شروط الولاية و من شروط التقوى ما عدت أبداً.

فقوم وقعوا والعياذ بالله في الإفراط، وهؤلاء توسعوا حتى وقعوا في التفریط، فصارت حياتهم كلها اعتناء واهتمام بالخوارق والكرامات حتى بلغوا فيها أعلى درجات الكذب والدعوى والعياذ بالله تفریط. وقوم -ونرجو أن نكون منهم وفيهم- توسطوا ونحن قلنا هذه وهذه حتى نعرف أننا وسط أولئك أغلقوا وهؤلاء كسروا ونحن أثبتنا ما أثبتته الله تعالى ورسوله وثبت لنا عن نقل الثقات العدول، مما حصل ونؤمن بها إيماناً جازماً؛ لكن لا نجعلها شرطاً لا في الإسلام ولا في الإيمان ولا في غيره، فرزقهم الله عز وجل البراءة من الإفراط والتفریط، فأثبتوا ما حقه الوجوب ونفوا ما حقه النفي، والعياذ بالله مما توسع فيه بعض الأقوام.

كلمة لشيخ الإسلام نختتم بها يقول شيخ الإسلام، وهذه وصية ونصيحة منه - رحمه الله - ذهبية يقول: **كن طالباً للاستقامة ولا تكن طالباً للكرامة**، سبحانه الله، كن طالباً للاستقامة ولا تكن طالباً للكرامة. **فإن نفسك منجيلة على طلب الكرامة**، نفوسنا النفس البشرية ما فيه نفس بشرية إلا وتميل إلى أنه تحصل لها الكرامات، فلا تتعب فيها أنت لأنها موجودة في نفسك، فإن نفسك منجيلة على طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة فانظر أنت من تجيب نفسك تطلب بل ومنجيلة على طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة، من تجيب؟ نجيب النفس ونمشي وراء النفس أو نجيب الله تبارك وتعالى؟ بهذا تدرك أن طلب الكرامة يغلق عنك والله يغلق عنك باب الكرامة.

لذلك الذين أكثروا في باب الكرامة نقول: عين طلبهم كان سبباً للحاجز الذي بينهم وبين الولاية وبين الكرامة.

ويقول أيضاً - رحمه الله - هذه أيضاً نتسلى بها: **وقد تعطى الكرامة لضعيف إيمان لتقوية إيمانه**. الله أكبر ما هي شرط في الإيمان؛ لأنه يقول: أحياناً تعطى الكرامة لواحد ضعيف الإيمان مسكين ضعيف؛ أو داخل الإسلام فيعطيه الله عز وجل حتى يتقوى في الإيمان وحتى يثبت على الإيمان، هذا مثل الزكاة الذي يعطى لمن؟ للمؤلفة قلوبهم، أحسنت.

فيقول: تعطى الكرامة لضعيف الإيمان تقوية له، وتعطى لمحتاج لسد حاجته. الله عز وجل كله حكمة. تعطى لمحتاج لسد حاجته وربما كان من لم يعط أعظم إيماناً ممن أعطي يقول، ولذلك -شوف الدليل- قال: ولذلك وجدت الكرامات في التابعين أكثر من الصحابة بأضعاف. الصحابة أتم إيماناً وأقوى إيماناً ممن؟ من التابعين أو لا؟ والكرامات التي نحن نشوفها الآن وجدت في التابعين بأضعاف تزيد على ما وجدت في الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ونستحضر حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((أشد الناس بلاء الأنبياء))^(١) ليس كرامة أشد الناس بلاء الأنبياء (ثم الأمثل فالأمثل) هذا أيضاً دليل على صدق كلام من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. نسأل الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يبلغنا وإياكم ولاية الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وأن يرزقنا وإياكم حسن الاستماع وحسن الإتيان إنه تَعَالَى ولي ذلك والقادر عليه.^(٢)



(١) سبق تخريجه في الصفحة (١٢).

(٢) انتهى الشريط السابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثامن

[المتن]

الأصل السادس

رد الشبه التي وضعها الشيطان، في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة؛ وهي أن القرآن والسنة لا يعرفها إلا المجتهد المطلق؛ والمجتهد هو: الموصوف بكذا وكذا، أو صافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر! فإن لم يكن الإنسان كذلك، فليعرض عنهما فرضاً حتماً لاشك ولا إشكال فيه؛ ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق، وإما مجنون، لأجل صعوبة فهمهما!! فسبحان الله وبحمده: كم بين الله سبحانه شرعا وقدرًا، خلقا وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حد الضروريات العامة: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)﴾ [يس ٧-١١].

آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

[الشرح]

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد: هذا الأصل هو الأصل الأخير في هذه الرسالة للإمام محمد رحمه الله، وبعد أن بين كثيراً من الأمور الواجبة على كل مسلم وعلى طالب العلم في التمييز بين الحق والباطل جعل الأصل السادس في بيان الموقف الواجب نحو الشبه التي يلقيها أعداء الله وأهل البدع والأهواء بالنسبة للأمور العلمية والاعتقادية أو التعبدية وغيرها.

والشبه كثيرة، ولا شك أن من يطلق هذه الشبه وينشر هذه الشبه ويريد لها التمكين لاشك أنه ممن استعملتهم الشياطين؛ لأن الأصل في فتنة الشيطان وفي أهداف الشياطين أنهم يريدون صد الناس عن الحق وعن دين الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فكل من يعمل في الشبه ونشرها وإعمالها، فإنما هو مستعمل يجب أن يعلم أنه قد استعملته الشياطين في هذا الأمر الباطل في الصد عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. والصد عن دين الله:

إما أن يكون كلياً إعراضاً.

وإما أن يكون يتعلق بأصول ثابتة، فيزين الباطل نعم ويصور الحق بصورة الباطل والعياذ بالله.
وكل ذلك داخل في هذا الجنس أو في هذا العمل الذي هو من أعمال الشياطين.

لذلك يقول رحمه الله: **(رد الشبه)** والشبه جمع شبهة والمراد بالشبه هنا ما يريد به صاحبه - يعني صاحب الشبهة أو الذي يلقيها - يريد الباطل ويريد صرف الناس عن دين الله عز وجل ويريد بهم الميل عن الحق وعن الصراط الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام؛ ولكن مراده هذا يغلفه أو يجعله في صورة من الحق أو في صورة مما يجب على الإنسان في دين الله تبارك وتعالى.

ونتذكر جميعاً هنا كلمة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه - عندما دخل عليه الخوارج وكانوا يثيرون شبهة من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، وكذلك الشبهة التي جعلوا متعلقهم فيها قول الله تبارك وتعالى: **﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** [يوسف: ٤٠]، مرادهم الباطل، هذا معنى التعريف، يريدون أمراً باطلاً؛ ولكنهم جعلوه في صورة هذه الآيات التي لا يستطيع أحد أن يرد شيئاً منها من حيث الجملة.

فقال علي - رضي الله عنه وأرضاه -: كلمة حق أريد بها باطل.

وهكذا الشبه المراد الباطل، والمقصد الباطل؛ ولكنهم يأتون بهذا المراد أو يزينون هذا المراد إما بآية في كتاب الله - عز وجل - وإما بسنة ثابتة عن رسول الله وإما بأصل متفق عليه بين أهل العلم وطلاب العلم، يذكرون مقدمة أو مقدمتين أو ثلاثاً من الأمور المتفق عليها، ثم يُدّلون بعد ذلك بما يريدون بعد أن زينوا هذا الباطل أو غلفوا هذا الباطل بهذه الآيات أو بهذه السنة الثابتة أو بالأصول والقواعد المقررة عند أهل العلم.

هذا مرادهم؛ كلمة حق، الكلمة من حيث الكلمة لاشك أنها كلمة حق؛ ولكن المراد منها هو الباطل، هذه كانت كلمة علي - رضي الله عنه - في رد شبه الخوارج قبحهم الله التي أثاروها عليه بعد التحكيم أو بعد؛ يعني ما حصل بينهم من الاختلاف.

يقول رحمه الله: **(رد الشبه)** وهذه بينها.

(التي وضعها الشيطان) فوضعها أصل وضع الشبهة إنما هو الشيطان، لذلك نقول: كل من روج شبهة

أو أعمل شبهة أو زين شبهة فليعلم أنه متبع للشيطان، وأنه قد جعل نفسه وكيلاً وعاملاً في هذا الحزب البغيض في حزب الشيطان؛ لأن الشياطين مرادهم ترك القرآن والسنة.

وكثير من الشبه التي يطلقها كثير من أهل البدع والأهواء، تخدم هذا العمل الشيطاني في ترك القرآن والسنة في صد الناس عن القرآن والسنة، ثم بعد ذلك مرادهم إتباع الآراء وإتباع الأهواء المتفرقة المختلفة،

أنظر كم في كتاب الله وكم في سنة رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - من الأمر بإتباع القرآن وكم وصف الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - القرآن ووصف النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ القرآن والسنة بأنها الهدى وأنها النور وأنها شفاء لما في القلوب، كل هذه الأوصاف العظيمة؛ ولكن هؤلاء إنما أرادوا التفرق.

وانظر أيضا كم في كتاب الله وفي سنة رسول الله من ذم إتباع الآراء ومن ذم الاختلاف ومن ذم التفرق؛ ولكن هذا مرادهم -قبحهم الله- لأنهم عمال ووكلاء عن الشيطان.

والشبه مدارها مدار الشبه التي يشير إليها المصنف رحمه الله قوله أو مرادهم ومعانيهم تدور على أن القرآن والسنة لا يعرفها إلا المجتهد المطلق، وكلمة المجتهد هي وصف لمن بلغ رتبة الاجتهاد أو لمن كانت له القدرة على الاجتهاد.

والاجتهاد من حيث اللغة: هو بذل الوسع وبذل الجهد والطاقة، وما أمكنه في إدراك أمر، أو تحصيل مراد ومصلحة ومنفعة، أو في دفع مفسدة عن نفسه أو عن غيره.

وأما في المعنى الاصطلاحي: فهو بذل الجهد من حيث العلم ومن حيث الفكر، ومن حيث النظر ومن حيث جمع الأدلة والنصوص وغيرها أن يبذل جهده ووسعه في إدراك الأحكام الشرعية، في إدراك حكم شرعي، وهذا الحكم الشرعي مرادهم أنه إما أن يكون من باب العلم ومن باب التيقن قد توصل إليه المجتهد، وإما من باب غلبة الظن.

فالمراد بالمعنى الاصطلاحي أن المجتهد هو العالم الذي يبذل جهده ويستفرغ طاقته ووسعه في جمع الأدلة الشرعية بالمقارنة بين نصوص الكتاب ونصوص السنة، يجمعها ثم ينظر فيها من حيث إدراك معانيها، ومن حيث دلالات ألفاظها، ومن حيث التقريب بينها ومقارنتها، وليصل بذلك ليصل إلى حكم شرعي، إما بالقطع به يقطع بهذا الحكم الشرعي على أنه استنباط من النصوص الشرعية وغيرها، وإما كما يقول أهل العلم: يصل إلى الحكم الشرعي بغلبة الظن. نعم، يغلب على ظنه أن حكم هذه المسألة كذا وكذا من حيث الجواز، من حيث الوجوب، من حيث الحظر، من حيث التحريم أو الكراهة وغيرها.

والوصول إلى الحكم بغلبة الظن، لعلها تكون من باب موافقة الأحكام الشرعية وعدم معارضتها، ومن باب الاتفاق مع القواعد المقررة، إذا لم يجد على ذلك نصا يُستنبط من كتاب الله أو من سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا مرادهم رحمة الله عليهم.

الموقف الواجب على الإنسان تجاه الشبه التي يلقيها هؤلاء وهم كثر كما قلت، وتراهم يتجددون كثيرا ونحن نشير إلى شيء منها بعد إشارة المصنف أو بعد كلام المصنف رحمه الله.

يقول: أن الشبه أو مدار الشبه التي يلقيها أعداء الله مما وجدهم في زمانه رحمه الله؛ بل كان الأمر على ما وجدته الإمام - رحمه الله - قبله بقرون تزيد على الخمسة أو الستة قرون عاشت الأمة تحت ظلال هذه

الشبه العظيمة؛ مما جعل التقليد أصلاً في دين الله، وجعل الخروج عن التقليد عن تقليد الأئمة أو عن تقليد الشيوخ أصحاب الطرق وغيرها، جُعل ذلك أصلاً في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأنهم كما يزعمون أن باب الاجتهاد قد أغلق، وأن باب النظر في الأدلة الشرعية قد أغلق، وما على المسلم إلا إتباع إمام من الأئمة، إما في الفروع لذلك نصبوا أئمة في الفروع، ونصبوا أئمة يجب الإقتداء بهم ويجب تقليدهم في الوصول، كما أيضاً نصبوا شيوخاً على طرق معينة في التعبد لله، وفي الطرق إلى الوصول إلى العلاقة مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي هو التصوف.

فالصوفية لها كثير من الشبه، وأهل التعصب في التقليد لهم كثير من الشبه؛ وأيضاً أصل المذاهب في العقائد المنحرفة لهم كثير من الشبه؛ ولكن مدار هذه الشبه كلها تدور على أن الأصل الواجب على المسلم أن يقلد في هذه الأبواب؛ أعني أبواب التصوف والتعبد وأبواب الاعتقاد، وكذلك أبواب الأحكام الشرعية من حيث الحلال والحرام، فجعلوا أئمة يجب على الأمة أن تقلدهم ولا يخرج عن ذلك التقليد بشبه زينوها أو زينها الشيطان لهم، ثم هم زينوها للأتباع حتى عاشت الأمة قروناً على هذا الأمر وعلى هذا المنهاج، وكأن الباطل صار حقاً؛ بل صار واجباً وأصلاً والخروج عن الباطل والعياذ بالله كان منكراً عظيماً. هكذا زين لهم الشيطان وزينت لهم أعمالهم.

نعم قالوا: أن القرآن والسنة لا يعرفها المجتهد المطلق والمجتهد المطلق الذي ملك آلة الاجتهاد والقدرة على الاجتهاد كما وصفنا في جميع أبواب الدين والإيمان.

والمجتهد الموصوف أيضاً جعلوا له شروطاً هم أهل البدع؛ أن هذا المجتهد ينبغي أن تتوفر فيه شروط معينة، ثم ذكروا من هذه الشروط كما يصف الإمام هنا رحمه الله، ذكروا أوصافاً يقول: لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وأَرْضاهما - أو في غيرهما من الصحابة.

فلما كان الأمر كذلك يعني إذا كان أمثال أبي بكر وعمر ليست عندهم هذه الآلة، إذن أنتم حققتم التقليد وحقكم موافقة أولئك الأئمة الذين هم نصبوهم على أنهم أئمة وعلى أنهم أعلام وعلى أنهم هداة في هذه الأبواب الثلاثة من دين الله عز وجل فإن لم يكن الإنسان كذلك أي لم يكن مستوفياً لتلك الشروط التي زعموها من باب تزيينها وغيرها فليعرض عنهما أي فليعرض عن قراءة كتاب الله وعن قراءة سنة رسول الله من باب النظر في الأحكام واستنباط الأحكام ومعرفة مراد الله ومعرفة سنة رسول الله، نعم لا يعرض عن القراءة من باب التبرك، لا القرآن يقرأ والسنة تقرأ من باب التبرك، من باب التعبد لله عز وجل، وتقرأ على الأموات وتقرأ في المآتم والمناسبات وغيرها.

وأما التصدي لقراءة كتاب الله والنظر في سنة رسول الله بقصد استنباط الأحكام ومعرفة الأدلة الشرعية على الأحكام، فهذا ليس لأحد؛ لأنه لا توجد في الأمة لا يوجد في الأمة أشخاصاً بهذه الشروط التي جعلوها لا بد جعلوها وقرروا أنها لا بد أن تتوافر فيمن له القدرة، وفيمن يسمح له النظر في هذه الأدلة. قال: **(فليعرض عنهما فرضاً حتماً)** أي واجبا حتماً عليه لا شك ولا إشكال فيه بزعمهم أقول: من كثرة الشبه التي أوردوها ثم قالوا أيضاً: **(ومن طلب الهدى منهما)** أي من الكتاب والسنة **(فهو إما أنه زنديق)** أي أن الأمر سيؤول به إلى الزندقة؛ لأنك ليست لك الآلة والقدرة فإذا اعتمدت على نفسك واعتمدت على ما عندك من قدرات وغيرها فالأمر والعياذ بالله سيؤول بك إلى التخويف هكذا يرجفون وهذا هو الإرجاف وهذا هو التخويف والعياذ بالله وإما قالوا: إنه **(مجنون وذلك لأجل صعوبة فهمها)** لأنك أنت لا تستطيع بفهمك وعقلك وقدرتك فهم الكتاب والسنة مباشرة، ولا أيضاً فهم سنة رسول الله. ثم قال - رحمه الله - متعجباً من هذه الشبه بل التعجب يكون ممن يقبل هذه الشبهة: **(فسبحان الله وبحمده)** يعني كيف راجت هذه الشبه على كثير من الناس العلة لأنه كم بين ربنا تبارك وتعالى بيانا شرعياً وبيانا قدرياً أيضاً من حيث القدر من حيث فعل الله تبارك وتعالى، وكذلك من حيث الشرع البيان الشرعي؛ الأدلة الشرعية والنصوص التي في الكتاب والسنة، والبيان القدرى مما خلق الله، كم من الناس قد نظروا في كتاب الله وفي سنة رسول الله فبلغ الأمر بهم إلى أعلى درجات الكمال في الاهتداء وفي النور الذي أنزله الله تبارك وتعالى، هذا مراد الله تبارك وتعالى، وبين ذلك من حيث الخلق ومن حيث الأمر، الأمر هو الشرع والخلق هو قدر الله أو تقدي الله تبارك وتعالى في خلقه وعباده. وكل ذلك في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى: إما بالأمر وإما بالنهي عن ضدها وإما بالترغيب في النظر في الكتاب والسنة، وإما بالترهيب في الاعتراض عن الكتاب والسنة نعم، وهذه كثيرة جداً في الكتاب والسنة نعم وكذلك في بيان حال الناس الذين يهتدون بالكتاب والسنة وبيان حال الذين يعرضون عن الكتاب والسنة أدلة تتضافر وتبلغ المئات والآلاف، ومع ذلك أقول: صدق الناس تلك الشبهة قروناً من الزمان لذلك كم تألم شيخ الإسلام رحمه الله ثم عاد الأمر قبل شيخ الإسلام حتى جاء الإمام محمد رحمه الله فوجد الناس في إعراض عن دين الله وفي جاهلية عظيمة من حيث الاعتقاد، ومن حيث الأعمال، ومن حيث انتشار الشرك وغيره والعياذ بالله.

ثم ذكر دليلاً مما ذكر الله - تبارك وتعالى - وهذا من باب التمثيل ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) **إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ** (٨) **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا** لا يستفيدون من كلام الله ولا يستفيدون من هدي الله ولا من هدي رسول الله لما بينهم وبين هذا

الكلام من السدود أو من العوائق وغيرها ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٩) لم يتبصروا لا بالنصوص الشرعية ولا بما فعل الله تبارك وتعالى بالأمم السابقة من حيث خلقه عز وجل فهم لا يبصرون ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠) [يس: ١٠] لما عندهم من الشبه عن الآباء والأجداد وعن تقليد الآباء والأجداد وكم حكى ربنا تبارك وتعالى عن هذه الشبه في الأمم السابقة إنما قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١) [يس: ١١]، ومثل هذه الآيات كثيرة جدا منها أيضا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] لا ينظرون في الأمم السابقة ولا يعقلون ولا يتفكرون في كلام الله حتى يفقهوا كلام الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] لا يلقون سمعا لهدي الله تبارك وتعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] هكذا وصفهم ربنا تبارك وتعالى فمن يعرض عن كتاب الله ولا يلقي بسمعه ولا ببصره ولا بصيرته ولا يفقه بقلبه ما أنزل الله عز وجل من الهدى والنور ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٩) نعم أولئك هم الغافلون عن هدى الله وعن نور الله تبارك وتعالى.

شروط الاجتهاد التي ذكرها أولئك الناس من المبتدعة الصوفية أو من مبتدعة أهل العقائد المنحرفة أو من أهل المذاهب والتعصب الفقهي الذميم لاشك أنها شروط تعجيزية وهذا مرادهم.

وأما ما يذكره علماءنا ومشايخنا من الشروط التي يجب أن تتوافر في المجتهد؛ بل وتكفيه هذه الآلة

ذكروا شروطا أنا أذكر شيئاً منها:

الشرط الأول: هو صحة الاعتقاد وسلامة المنهج في التلقي عن الله وعن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، جعلوا هذا الشرط هو أول الشروط؛ لأن صاحب البدعة مهما جمع من العلم ومهما جمع من الأدلة وغيرها فإنه سينظر في هذه الأدلة الشرعية من خلال بدعته وينتصر إلى هذه البدعة، فيؤول كثيرا من كم الله وينحرف بها من حيث معانيها انتصارا لمذهبه أو انتصارا لباطله الذي هو عليه.

نعم نحن نذكر شيئاً من الشروط؛ ولكن ليست كشروطهم التعجيزية، هم غلوا في هذه الشروط غلوا غلوا عظيماً وأغرقوا في هذه الشروط لأنهم يريدون صد الناس عن النظر في الكتاب والسنة.

ونحن نذكر شيئاً من هذه الشروط ليس من هذا الباب؛ بل دفعا للغلو وأيضاً نذكرها حتى نتجنب وإياكم التفريط، لا نكون من المتساهلين، نقول أيضاً: لا يصلح لصغير طالب العلم طالب علم صغير أول بداية طلبه في العلم لا يصلح أن ينظر في هذه الأمور؛ بل ينبغي أن يتأصل في العلم أولاً ثم يتدرج في معرفة

الكتاب والسنة، فإذا توفرت فيه هذه الشروط لاشك أن الباب مفتوح لأن باب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة.

باب الاجتهاد لا يغلق؛ بل باب النظر في الكتاب والسنة واجب على كل من اقتدر وكل من استطاع واجب عليه أن ينظر في الكتاب والسنة ولا يجوز أن يقلد غيره أبداً.

لكن أقول أهم الشروط وأول الشروط هو صحة الاعتقاد وسلامة منهج التلقي عن الله وعن رسول الله حتى لا يصير من أولئك الناس الذين جمعوا من العلم كثيراً ولكن البدعة والعياذ بالله جعلتهم ينظرون إلى الأدلة الشرعية بعين عوراء.

كما يقول شيخنا عبد المحسن العباد يقول: إن عامة أهل البدع تجمعهم أنهم ينظرون في نصوص الكتاب والسنة بعين عوراء، نعم وصاحب العين العوراء يرى شيئاً وتمتنع رؤيته لأشياء فينظرون إلى الأدلة الشرعية مما يوافق بدعتهم وأما الأدلة التي تخالف بدعتهم فهي تكون بين الرد والعياذ بالله إما يردونها بحجج شيطانية، وإما يردونها رداً مطلقاً وإما يتأولونها ويصرفون الألفاظ عن معانيها حتى توافق بدعتهم.

الشرط الثاني الذي يذكره أهل العلم هو العلم بالأدلة الشرعية، لا بد أن يلم بشيء من الأدلة الشرعية وخاصة فيما يتعلق بالباب الذي يريد أن يبحث فيه من باب آيات الأحكام وأحاديث الأحكام وما يتعلق بالاعتقاد وغيره لا نقول أنه يحفظها جميعاً أو أنه يشترط أنه يحفظ كلام الله كله أو يحفظ ألف حديث أو مائة ألف حديث أو ألف ألف حديث كما قال كثير من أهل البدع، نقول: احفظ أدلة الباب، ثم انظر في هذه الأدلة فلك أن تنظر وتستنبط.

وأيضاً مما ذكروا الإمام ولو بشيء يسير بعلم الرجال والإسناد حتى يتمكن من ضبط ومعرفة الصحيح والضعيف ومعرفة المقبول والمردود من النصوص؛ لأننا إذا نظرنا في كتب أهل البدع كم يردون من الأحاديث الصحيحة وكم يتعلقون ويستندون إلى الأدلة الواهية والأحاديث الضعيفة والموضوعة.

أيضاً الرابع: الإمام بشيء من علم الناسخ والمنسوخ لئلا يعمل بمنسوخ وألا يقرر منسوخاً وألا يرد ناسخاً، وهذا لا بد أن يدرك شيئاً من علم الناسخ والمنسوخ، وهو علم قليل ليس علماً واسعاً وليس علماً كثيراً مثلما يذكرونه تعجيزاً قبحهم الله.

خامساً: العلم بمواطن الإجماع، ومواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف بين أهل العلم لا بد أن يدرك هذه المواطن، والأصل فيها مواطن الإجماع لئلا يخالف إجماعاً؛ لأن الإجماع حكمه حكم النص من كلام الله ومن كلام رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

السادس والأخير كما قلت هذه شروط وضعها أو ذكرها كثير من مشايخنا هذه خلاصتها: الإمام بالعلم بألفاظ ومصطلحات النصوص الشرعية لا بد يعرف اللفظ ويعرف دلالة اللفظ من حيث اللغة،

ويعرف دلالات الألفاظ والمصطلحات من حيث علم أصول الفقه أيضا، لا بد يكون عنده شيء من علم اللغة حتى يعرف الألفاظ و مدلولاتها من حيث معانيها الحقيقية، من معانيها المجازية، من حيث معانيها الظاهرة، من حيث معانيها الباطنة.

وأيضاً يعرف المصطلحات المتعلقة بهذه النصوص الشرعية فيعرف العام، ويعرف الخاص، ويعرف المطلق، ويعرف المقيد، ويعرف ماذا نعمل بالمطلق والمقيد وماذا نعمل بالخاص والعام، لا بد من الإمام بهذه الأصول.

وهذه قطعاً ليست من التعجيز وإنما كما قلت حتى نجنب أنفسنا التساهل والتفريط في هذا الباب، ولا نكون من الذين لم يكونوا شيئاً أو لم يبلغوا منزلة في العلم؛ ولكنهم فتحوا لأنفسهم النظر في الأمور العظيمة ومثل كثير من هؤلاء أو كثير من المتعلمين أول ما يبدأ في الطلب أو لعله إلى الآن لم يبدأ في الطلب ولكنه ينظر في هذه الأمور، أو ينظر في الأمور التي لا يجب النظر فيها بل يجب الإمساك عنها مثل القول في القدر، القول في صحابة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

فلا بد أن يعرف هذه المواطن يعرف متى يمسك يعرف متى ينظر يعرف متى يقول يعرف ماذا يقول لا بد أن يكون عنده شيء من النباهة، كما قال كثير من مشايخنا بما يستطيع أن يميز به بين هذه الأشياء وأن يدرك وأن يميز هذه الأشياء.

أيضاً مما ذكر مشايخنا ذكروا آداباً ليست شروطاً، وإنما آداب أيضاً يجب التزامها، وهي إن لم تكن شروطاً، ولكنها تقترب من الشروط من حيث صدق النية والإخلاص والتواضع في هذا الباب، لا يريد علواً، لا يريد كذاً، وإنما يريد أن يصل إلى الأحكام الشرعية وأن يسهم في بيان حكم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهذه الأمور تحتاج إلى قدر عظيم جداً من التواضع للعلم والعلماء، التواضع لنصوص الكتاب والسنة، التواضع لما كان عليه سلف الأمة، التواضع لمقام الصحابة، مقام التابعين مقامات أهل العلم لا بد يكون عنده هذا التواضع حتى لا يتألى على الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وأن لا يغتر بما عنده.

وأيضاً لا بد من حيث آداب معرفة شيء ولو كان من باب الإمام من القواعد المقررة والآداب المرعية ولا بد أن يكون فيه التواضع حتى ينسب الفضل لأهل الفضل والأقوال لقائلها، وأن لا يكون من الذين يحبون أن يحمداً بما لم يفعلوا كما قال.

هذا الباب - والعياذ بالله - تشتهيه النفوس، لذلك كثير من الناس يميل مع متطلبات النفوس الأماراة بالسوء وغيرها فيضل ويضل خلقاً من خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثم أيضا ذكر شيخ الإسلام أنه قبل النظر في أي مسألة لابد أن يستجمع أدلة تلك المسألة كلها، اجمع الأدلة كلها - أدلة الباب الواحد - ثم أنظر بعد ذلك، ثم استنبط بعد ذلك، أما تعتمد على نص فلا بد أن ينقضها كما ذكرنا الناسخ والمنسوخ وغيرها.

أذكر بعض الشبه التي ذكرها كثير من أهل البدع قديما وحديثا؛ لكن الشبه كثيرة ولا تعد ولا تحصى؛ ولكن نحن نذكر طرفا منها على المعنى الذي ذكره المصنف رحمه الله.

الشبهة العظيمة التي أشار إليها رحمه الله هي كل ما يؤدي بالإنسان إلى الصد عن النظر في ما هو أصل في الهداية والاهتداء وأنه نور وشفاء لما في القلوب؛ لأن تعطيل الوحي وتعطيل النظر أو صرف النظر عن الكتاب والسنة لاشك أنه صرف للناس عن خير عظيم؛ لأن ربنا تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (١٧)﴾ [القمر: ١٧]، الله عز وجل يسر ثم هم يعسرون أنظر ما فعل هؤلاء وأين يذهب هؤلاء من هذه الآيات وهذه الآيات كثيرة جدا ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)﴾ [آل عمران: ١٣٨]، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ [حمد: ٢٤]، يعني أوامر ونصوص كثيرة جدا تدعو بل تحمل وتوجب على الناس النظر وقراءة القرآن والاستنباط من الأحكام واستنباط الأحكام الشرعية من كتاب الله ومن سنة رسول الله أيضا، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها)) وهم جعلوها - والعياذ بالله - كأنها ظلمات في بحر لجي لا يستطيع أحد أن ينظر استنباطا في الكتاب والسنة، ثم قال: ((لا يزيغ عنها إلا هالك))،^(١) وهم كل هدفهم أن يميلوا بالناس عن النظر في الكتاب والسنة الذي هو الوحي أصل الاهتداء، أصل الهداية وأصل النور وأصل الهدى وأصل الرحمة لاشك أنه الكتاب والسنة ((تركت فيكم ما لم تضلوا إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي))^(٢) وهم يحرمون النظر في الكتاب والسنة؛ ((بلغوا عني ولو آية)) نحن ما نريد التساهل مثل ما قلت ما تعرف الآية تروح تبلغها؛ يعني مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تستقل شيئا من هذه لابد من العلم في هذا ((بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل و حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))^(٣) هذه كلها نصوص ثابتة عن رسول الله في الصحيح.

(١) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): حديث العرياض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٧).

وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٧).

دون كلمة (المحجة).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة (٣٦).

(٣) سبق تخريجه في الصفحة (٨٧).

مما يعني يذكر هؤلاء في مقابل هذه الأدلة نحن ذكرنا شيئاً يسير جداً من الأدلة أرجو أن يكون متقرر عندنا أن الأصل هو ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نحن تكلمنا أن الأصل في دين الله عز وجل أن نحقق المثلية والمثلية لا تتحقق أبداً فيما وضع هؤلاء من أصول وضوابط أو موانع لأننا قلنا المثلية أن تحققها بالنظر في الكتاب والسنة والارتباط بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وهذه لا شك التزامها وتحقيقها وإعمالها تخدم جميع الشبه التي عند أهل البدع والأهواء نذكر شيئاً منها أقول: مما ذكره أنهم أوجبوا في الأمة تقليد إمام بعينه وأنه لا يجوز الخروج عن مذهب هذا الإمام.

والمشكلة أن الأئمة الذين نصبوهم وجعلوهم هداة ويجب تقليدهم في الفروع أنهم لا يصلحون ولا يقتدى بهم في الأصول، أنظر إلى هذا سبحانه الله الازدواجية وانظر إلى هذا التناقض. يعني مثلاً تقليد الإمام الشافعي عندهم واجب أوجبوا على كل شافعي أن يقلد الإمام الشافعي، وأنه لا يجوز له في أي مسألة في المذهب أن يقلد غير الشافعي الخروج على المذهب عندهم هذه ردة وكبيرة والعياذ بالله.

ثم قالوا: أما في الأصول ما تتبع الشافعي، الشافعي أمام في الفروع وليس إماماً في الأصول، الإمام يعني من يؤتم به وليس إماماً في الأصول، في الأصول تمشي وراء المذهب الأشعري أبي الحسن الأشعري. وكذلك المالكية يأتمون بمالك ويوجبون على المقلد أن يهتموا بمالك في الفروع دون الأصول، أما في الأصول فعلى مذهب الأشعري ولماذا؟ لماذا لا نقلد الشافعي في الأصول وفي الفروع؟ وكذلك الإمام مالك وفي العقائد وفي الفقه؟

الأحناف يقلدون الإمام أبا حنيفة في الفروع أما في الأصول في العقائد أبو منصور الماتريدي، لماذا؟ لم؟ هذه كلها أقول دليل ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) [النساء: ٨٢]، كيف الشافعي ومالك أبو حنيفة يصلحون أن يكونوا أئمة ويقتدى بهم في المذاهب ولا يجوز الخروج عنهم وفي الأصول لا ينفعون؛ بل يؤتى بواحد بعد قرنين أو بقرن ونصف من الزمان ويقال: عليكم في الأصول أن تقلدوا هذا الإمام إمام في الأصول وإماماً في الفروع بعد فترة بعد قرن قرنين من الزمان لا بد يكون إمام ثالث في التبع في التصوف.

لذلك قائلهم في هذا الزمان وهذا ممن يشار إليه في الدعوة في الصحوة الإسلامية وغيرها يقول: لا أعلم كيف يعبد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بلا إمام في الفروع وبلا شيخ في الطريقة. ما يعرف كيف يكون الطريق إلى الله كيف تعبد الله عز وجل بلا إمام في المذهب وبلا شيخ في الطريقة والتصوف والعياذ بالله.

نقول له لا اعرف طريق الصحابة ما فيه لا إمام في الفروع ولا فيه شيخ أيضاً في الطريقة فأوجبوا أن

قائلهم يقول:

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

يعني يبين هذه أصولهم في جوهره التوحيد يقول: فواجب على كل مسلم مكلف تقليد حبر منهم من الأربعة كذا حكى القوم بلفظ يفهم إشارة إلى أن المسألة ما تقول إجماع لكن اتفاق بين العلماء جميعاً أنه واجب على كل مسلم أن يقلد إماماً من الأئمة الأربعة ثم رتبوا عليها أنه لا يجوز الخروج من إمام إلى إمام غيره ولا يجوز التنقل من مذهب إلى مذهب؛ لأنه طريق إلى الزندقة، والعياذ بالله.

وأيضاً من الشبه التي يثيرونها وهذه تخدم كل مجتهد مصيب، يقولون كل مجتهد مصيب فالجتهدون الأئمة الأربعة مصيبون، هذا الكلام فاسد، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر**))،^(١) يا شيخ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصف المجتهد بأنه يصيب وأنه يخطئ وهم يقولون: لا، كل مجتهد مصيب، لا أبداً كل مجتهد يصيب ويخطئ، نعم كل مجتهد إذا اجتهد وهو من أهل الاجتهاد هذا الأول إذا اجتهد في مسألة يجوز فيها الاجتهاد توفر فيه الشرطين هذا كل مجتهد مأجور يدور أمره بين الأجر وبين الأجرين فإن أصاب أجران؛ لكن بد أولاً أن تتوفر فيه الشروط ثم أيضاً أن المسألة التي يجتهد فيها مسألة تقبل الاجتهاد والنظر؛ لأننا نحن عندنا العقائد فيها اجتهاد؟ العقائد ما فيها اجتهاد، العبادات ما فيها الاجتهاد؟ ما فيها اجتهاد الأصل في العقائد التوقيف كما قررنا، والأصل في العبادات المنع.

فهذه أبواب لا اجتهاد فيها فإذا اجتهد المجتهد الذي توفرت فيه الشروط في مسألة يجوز فيها الاجتهاد نقول: نعم هذا أمره يدور بين الأجر وبين الأجرين؛ لكن قد يخطئ وقد يصيب، فإن أصاب فله كذا وإن أخطأ فله كذا.

أيضاً من الشبه التي ألقوها ونسبوها إلى بعض الأئمة كالشافعي وغيره قالوا: مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب. دائماً فزرعوا فينا هذه زرعوا في المقلدين هذه، أن مذهبك صواب الخطأ محتمل لماذا؟ ومذهب غيرك الأصل فيه الخطأ، لذلك لا يجوز لك أن تخرج عن حدود هذا المذهب. وهذا القول أيضاً فاسد أيضاً من وجوه وهذا في غير أمور الاعتقاد، أما في أمور الاعتقاد فمذهبنا صواب لا يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ لا يحتمل الصواب؛ لأن التردد بين الخطأ والصواب ما يصلح في مسائل الاعتقاد، الأصل في مسائل الاعتقاد الجزم.

(١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم ٧٣٥٢.

مسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم ١٧١٦.

نحن قلنا قديما: جميع مسائل الاعتقاد يجب أن تؤمن بها إيمان جازما، لا يدخله ريب و لا يتطرق إليه شك، فالقول فاسد في جميع الأمور الاعتقاد وجميع مسائل الاعتقاد.

أيضا مما قالوا أن اللامذهبية يعني كونك تخرج عن المذاهب الأربعة، يعني ما عندك مذهب، والله أو الذي يخرج فيه مذهب سفيان فيه مذهب أبي ثور فيه مذهب الأوزاعي رحمه الله، المذاهب كثيرة في الأمة مذهب ابن حزم، مذهب داوود الظاهري، المذاهب كثيرة؛ لكن أيضا نقول فيه مذهب الصحابة فيه مذهب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل واحد خرج من الأربعة، لا يسوغ أنه غير متمذهب لا هو متمذهب والله الحمد، عندنا مذهب وعندنا منهج وعندنا طريقة وعندنا أصول وعندنا ضوابط وعندنا قواعد نعم.

قالوا: اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية؛ يعني الرجوع إلى السنة، الرجوع إلى ما كان إليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - هذه أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية. كذبوا والله.

وأيضا مما قاله كثير من أصحاب الطرق الصوفية وشيوخهم قالوا: الطرق التي توصلك إلى تَبَارَكَ وتَعَالَى بعدد أنفاس الخلائق.

نقول أيضا: هذه شبهة شيطانية والله لا طريق يوصل إلى الله إلا طريق محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ؛ لأننا درسنا وإياكم ونعرف وإياكم أن من معاني شهادة أن محمدا رسول الله أنه لا يعبد الله تَبَارَكَ وتَعَالَى إلا بما شرعه محمد ما يجوز التعبد لله عز وجل بشيء لم يرد على محمد ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))^(١) كما قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

بعض شبه المعاصرين يقول: اجمعوا و تفرقوا. الأصل أو مرادهم الجمع وعدم تفريق الأمة بزعمهم لأن ذكر العقائد المختلفة والرد عليها وغيرها مما تفرق كما يزعمون.

وأيضا منهم من يقول: نأمر بالمعروف وأما المنكر فندعه؛ لأن الناس إذا عرفوا المعروف ينتهون تلقائيا عن المنكرات وغيرها هذه كلها دعوات والعياذ بالله تقوم على هذا وكلها ت خالف نصوصا وأصولا في الكتاب والسنة ومرادهم يعني مرادهم غير مراد الله تَبَارَكَ وتَعَالَى في الاهتداء والنور من الثبات على ما في الكتاب والسنة، لهم أهداف لهم تجميع لهم سياسة لهم أحزاب يريدون نصرتها وغيرها.

أيضا منهم من يقول: ندعو إلى الحق الأدني في الإسلام قالوا: الإسلام والإيمان لها حد أدنى ولها حد أعلى نحن نكتفي يجب أن نجتمع على الحد الأدنى لا تأمروا الناس إلى ما هو أعلى من ذلك لا هذه فهذا كلها أقوال والعياذ بالله أو شبه؛ لأنهم يريدون شيئا غير يعني مراد الله تَبَارَكَ وتَعَالَى أو صرف الناس عن

(١) سبق تخريجه في الصفحة (٤٢).

كثير من الأصول والضوابط في الكتاب والسنة أو قائلهم الذي يقول: نجتمع فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، لا تذكر مسائل الخلاف، لا تذكر اختلافاتنا في العقائد، يكفي أن نجتمع يجب أن... هذه كلها بدع أو شبه شيطانية يلقيها الشيطان ويزينها هؤلاء.

وآخرها وآخر ما أذكر منها ما ذكره - رحمه الله - **(ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق)** هذه الكلمة - والعياذ بالله - من أعظم الكلمات الشيطانية التي ألقاها الشيطان وتلقفها أعداء الأنبياء فكان الأنبياء يأتون إلى أقوامهم وأمهم والمخالفون يلقون عليهم كثيرا من التهم والأوصاف القبيحة المنفرة عن أولئك الأنبياء؛ لأنهم إذا صرفوا الناس عن النبي صرفوا الناس عن دين الله وعن الحق الذي أنزله الله تبارك وتعالى.

فهذه آخر ما يلجؤون إليه؛ يصفون الأنبياء أقول بأوصاف منفرة حتى تنفر الناس عندهم، وما زالت هذه البدعة سارية إلى هذا الزمان بل إلى قيام الساعة يصفون العلماء أتباع الأنبياء وراث الأنبياء يصفونهم بأوصاف قبيحة أنهم لا يفقهون شيئا وأنهم كذا وأوصاف تعرفونها أكثر مني، لسنا في مجال ذكرها؛ لأننا لا نحب والله هذه الأوصاف لكن مرادهم بهذه الأوصاف أن يصدوا الناس عن هذا العالم وعن صاحب هذه الدعوة؛ لأن دعوته تخالف دعواتهم؛ لأن دعوته تقوم على الرجوع إلى الكتاب والسنة وعلى الارتباط بالكتاب والسنة دون التعصب لأحد ودون التحزب لأحد.

واجب المسلم أو واجبا في هذا الزمان كما هو واجب المسلم في كل زمان.

شبه إيش موقفنا منها لا شك أن الأصل والواجب هو الحذر والتحذير أن تحذر في ذات نفسك وأن تحذر غيرك مهما كانت الشبهة مزخرفة، ومهما كان صاحبها مشهورا ومهما كانت دعوته ذات عدد عظيم لا تغتر بالأعداد لا نستكثر بكثرة العدد ولا تغرنا كثرة الأعداد ولا نستوحش من قلة السالكين الطريق كما قال الإمام محمد رحمه الله لا تغتر بالكثرة ولا تستوحش من القلة، إياك أن تغرك الكثرة وأن تستوحشك قلة السالكين لا، هذه كلها الأنبياء أعدادهم قليلة من يتبعهم قليل والنصوص في الكتاب والسنة تمدح القلة وتذم الكثرة دائما فلا تغتر ولا تجعل هذه الأمور مما تقبل بها الشبهة عندك، مثل ما قلت لك الأصل الحذر والتحذير، ويكفي في هذا قول الله تبارك وتعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾** [آل عمران: ٧٠].

وهذه شرحناها تفصيلا أظن في الأصل الرابع عندما ذكر التمييز والتفريق بين العلم والعلماء والفقهاء

والفقهاء، ومن تشبه بهم وليس منهم.

ففيه عندنا يتعلقون إذا كان الله عز وجل وصف كتابه أنه فيه ما يوصف بأنه من باب التشابه، فكذلك كلام رسولنا وهذا ما يتعلق به، وهذا ما يؤكد كلمة علي رضي الله عنه كلمة حق أريد بها باطل، نعم فيجب الحذر، وقد حذرنا الله عز وجل وحذرنا رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه وصف الذين يتبعون المتشابه بأنهم ممن زاغت قلوبهم وأنهم أصحاب الفتنة ومرادهم الفتنة ومرادهم التأويل أي تحريف الكلام عن معانيه، وهذه يعني أعلم أنها من أعظم البدع في دين الله ومن أعظم المنكرات في دين الله عز وجل. وكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - سمي نزلت هذه الآية قال: **((إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، قال: ((أولئك الذين سمي الله فاحذروهم))**)^(١) يعني أولئك الذين سماهم الله في هذه الآية فاحذروهم، جاءك الأمر بالحذر والتحذير من الذين يتبعون ويروجون مثل هذه الشبه ومرادهم صد الناس عن دين الله وصد الناس عن الحق وعن الاهتداء بالكتاب والسنة.

كذلك عندنا حديث عمران بن حصين - رضي الله تعالى عنه ورحمه الله - هو في مسند الإمام أحمد^(٢) حديث عظيم قال النبي عليه الصلاة والسلام: **((من سمع بالدجال فليأمنه))** أنظر الدجال عندنا فيه من الآيات والعاملات **((فمن سمع بالدجال فليأمنه))** هكذا في جميع الفتن النبي صلى الله عليه وسلم يعني أغلق عليك الباب خليك داخل البيت، لا تخرج كل هذه قال من سمع بالدجال فليأمنه أي يتعد عنه، لا تواجهه. ثم قال عليه الصلاة والسلام: **((فوالله إن الرجل ليأتيه ويحسب نفسه أنه مؤمن ثم يتبعه))** مما يبعث به من الشبهات، هكذا تفعل الشبهات، عندك أنت الآن قناعة بنفسك وعندك رضا بالعلم الذي عندك والفرقان الذي عندك والتمييز الذي عندك؛ لكن مع هذا إياك أن تتعرض للفتن إياك أن تأخذ نفسك إلى مواطن الشبه والفتن؛ والعياذ بالله لأن الشبه تغير تزين تقلب الباطل إلى حق والحق إلى باطل والعياذ بالله.

أنظر هذا الرجل الذي أقسم النبي عليه الصلاة والسلام... أعرف أنه كافر وأعرف أنه وأعرف وبين باطلهم فلما يخرج يرى هذه الشبه العظيمة، فتقلب حاله من الإيمان إلى الكفر وإلى متابعة الدجال والعياذ بالله.

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿منه آيات محكمات﴾، حديث رقم (٤٥٤٧).

مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير منه، حديث رقم (٢٦٦٥).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الملاحم، باب في خروج الدجال، حديث رقم (٤٣١٩)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

والمسند أحمد عن عمران ابن حصين (٤/٤٣١).

لذلك الفتن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((**السعيد لمن جنب الفتن**))^(١) الفتن اجتنبها، الفتن احذرهما وابتعد عن مواطنها وابتعد عن أهلها لا تقول والله فيه واحد صاحب بدعة نذهب نناقشه، لا تروح قد يلقي عليك شبهة محمد بن سيرين كان إذا جاءه المبتدع يسأل طبعاً هو عنده مقصد باطل؛ لكن يأتيك في صيغة سؤال كان يضع أصبعيه في أذنيه، هكذا فعل كثير من السلف لماذا قال: أخشى أن يقول كلمة أجد لها في قلبي محلاً ثم لا أستطيع إخراجها.

هذا ابن سيرين، وهكذا أئمة التابعين هكذا فعلوا، لا يلقون سمعهم للشبه ولا لأهل البدع بل يناون عنهم ويجنبونهم لذلك قرر السلف وجوب هجر أهل البدع ابتعد عن مواطن من الشبه لا تقرأ في كتب المبتدعة؛ لأنك تقرأ كثيراً من الشبه، فرما زينوا عليك الباطل وربما قبحوا لك حقاً فاتبعتهم في ذلك، لا تقرأ كتب أهل البدع لا تنشر كتب أهل البدع لا تشتري كتب أهل البدع، لا تذهب إلى أهل البدع وتجلس معهم لا تجالسهم، لا تسمع لهم.

هكذا كان سلفنا ولعلنا ذكرنا شيئاً وكثيراً منها فيها الأصل الثاني أو الأصل الثالث، فيجب أن نتقيد بهذه الأصول يجب أن نحذر فعلاً نخاف على أنفسنا، نخاف على من نعول، نخاف على أولادنا، نخاف على شبابنا، فنأى بهم عن هذه المواطن لا تقولوا والله عندهم شيء نعم عندهم شيء من الحق، حتى الشيطان عنده من الحق قال: ((**صدقك وهو كذوب**))^(٢) نعم الشيطان عنده شيء من الحق لكن لا نذهب نجلس معهم، كونهم عندهم شيء من الحق؛ لكن الخوف وكل الخوف أنهم يلقون إليك بشبهة؛ ولكنها قد زينت وزخرفت فتجد في نفسك قبولاً لها والعياذ بالله فتحصل النتيجة السلبية تجاه هذه الشبهة وتجاه أهل الشبه ويكون بعد ذلك الصد والابتعاد عن كتاب الله وعن سنة رسول الله.

أسأل الله - عز وجل - أن يوفقني وإياكم وأن يثبتني وإياكم وأن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وجزاكم الله خيراً.



(١) سنن أبي داود: كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، حديث رقم (٤٢٦٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل الرجل رجلاً فترك الوكيل شيئاً...، حديث رقم (٢٣١١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التاسع

[الأسئلة]

س ١/ يقول السائل: ما معنى هذه العبارة: ويطل كرامات الأولياء، وما معنى المكاشفات وما معنى صفة كاشفة؟

أين جاءت هذه العبارة؟

ج/ كل المكاشفات المراد بها يعني ما يكون من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ أي بيان الله سبحانه لأوليائه وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله.

أين جاءت العبارة؟ ما جاءت عندنا هنا ما فيه المكاشفات هذا لعله يسأل عن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أعني مما ذكره شيخ الإسلام: ونؤمن بكرامات الأولياء، وما يجريه الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - على أيديهم من خوارق العادات وأنواع العلوم والمكاشفات.

ذكر شيخ الإسلام هذا في العقيدة الواسطية، نعم لعلها الإشارة إلى هذا، ما هو في كتابنا، أما ما ذكره الإمام محمد ما فيه المكاشفات، فالمكاشفات ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ينكرها كثير من أهل العلم، كثير من علمائنا ينكر هذه الكلمة المكاشفات؛ لأنها كلمة اعتمدها الصوفية كثيرا في تراثهم؛ يعني التراث الصوفي عندهم أن المكاشفات تكون من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للأولياء متى شاء الأولياء ومتى أراد الأولياء، أو متى احتاج الأولياء إلى شيء من الكشف، فإن الأمور تنكشف لهم فيستطيع الولي أن يرى ما في اللوح المحفوظ ويستطيع أن يعرف ما في الغيب، ويستطيع أن يعرف ما تخفيه لنفسك أنت ما تضره، هذه كلها يعتبرونها من المكاشفات من باب الكرامات للأولياء.

وهذا كذب وكلمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما ذكر أن من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجريه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على أيديهم من خوارق العادات وأنواع العلوم والمكاشفات، مراده بالمكاشفات هنا كما بينه ابن القيم رحمه الله وغيره مراد شيخ الإسلام ابن تيمية من المكاشفات: المكاشفات العلمية؛ لأنه ربطها بقوله: من أنواع العلوم والمكاشفات؛ يعني تنكشف لهم علوم، تنكشف لهم أفهام كما ذكر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا توفيق يعني من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في فهم بعض كلامه وبعض كلام الله؛ يعني أمور من الله عز وجل يجعلها من الفتح العلمي والكشف العلمي، لمن شاء من بعض خلقه، وبعض أوليائه، ولا يقصد أبدا ولا يريد الشيخ شيخ الإسلام ابن تيمية؛ بل أنكر كثيرا على الصوفية هذه الدعاوى الكاذبة فكلمة شيخ الإسلام لا علاقة لها بالمعنى الذي تذهب إليه الصوفية.

فلعل السائل هذا مراده لكن دائما نقول لطلاب العلم أو إخواننا الشباب إذا سألتهم يعني أفصحوا في السؤال، لا بد أن يكون السؤال واضحا جدا.

الشاهد كلمة المكاشفات نقبلها من شيخ الإسلام ابن تيمية لأنه ربطها بالعلوم نعم العلوم نعم ينكشف لبعض الناس علوم ومعارف من باب الفراسة من باب الاجتهاد من باب الإلهام، هذا كله موجود من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يلهم من شاء ويهدي من شاء إلى معرفة بعض الأمور وإلى الإصابة في بعض الاجتهادات وغيرها؛ لكن المكاشفات بالمعنى الصوفي تنكشف يعني الأمور لبعض من شاء أو بعض الأولياء بزعمهم، وهذه منها ما يكون في اللوح المحفوظ، ومنها ما يكون في الغيب وفي الغد وغيره هذا كله باطل لأنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله نعم.

س٢/ يقول السائل: هل يشترط في الكرامة أن تكون خارقة للعادة؟

ج/ الكرامة يعني تكريم من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وهذا التكريم قد يكون تيسير لبعض الأمور، قد يكون أيضا توفيق مثل ما ذكرنا الآن من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض العلوم والاجتهادات وغيرها.

لا يلزم يعني لا يلزم تكون في أمور القدرات؛ لأنه منها أمور تتعلق بالعلوم يعني الكرامات أحيانا تكون في بعض القضايا العلمية؛ يعني ينكشف لها علم تنكشف له معرفة فراسة توفيق؛ يعني في قول شديد تأثير، يقول كلمة، وهذه الكلمة يكون لها تأثير يسمع لها الناس، وقد تكون من باب القدرات؛ يعني تدخل في خوارق العادات.

فهذا جنس منها وليس يعني كلها إذن:

منها ما يكون من الأمور العلمية.

ومنها ما يكون من الأمور التي تدخل في القدرة نعم.

س٣/ يقول السائل: هل يجوز أن نسمي أحدا من الأئمة أنه من الأولياء مثل الإمام أحمد أو الشيخ ابن

باز وغيرهم من العلماء؟

ج/ الولاية لا شك كونك تقول: أن فلانا ولي من أولياء الله عز وجل من باب الرجاء نعم نرجو للمحسن؛ يعني من يعني وثقنا بدينه وخلقه وسلوكه نرجو له الولاية، أما الجزم فلا؛ لأن أولياء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كما ذكر الله عز وجل أولياء الله عز وجل يعني أحبهم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لا شك ((من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب))^(١) وغيره نصوص كثيرة جدا في الولاية، أو كون الإنسان تجزم أنه ولي من

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢).

أولياء الله هذا لاشك هي تزكية، هذه فيها تزكية فنرجو يعني لمن نثق بدينه وعلمه أن يكون وليا أما نجزم فلا.

وأما من حيث التعريف العام نقول: ولاية الله - عز وجل - تتحقق كما ذكر الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) [يونس: ٦٣]، من حقق الإيمان وحقق التقوى لا شك أنه ولي من أولياء الله.

أما نجزم لمعين نحن كما تعرفون يعني كلمة الطحاوي - رحمه الله - في ذكر أصول اعتقاد أهل السنة لا نحكم لمعين لا بجنة ولا بنار، فالحكم بأن فلان من أولياء الله عز وجل لاشك أن هذه شهادة بأنه من أهل الجنة، فهذه شهادة لا نشهدها لمعين لكن نرجو للمحسن كما ذكر الطحاوي رحمه الله ونخاف على المسيء؛ يعني لا نجزم لا للمحسن ولا نجزم أيضا للمسيء؛ ولكن الرجاء مع أهل الإحسان والخوف مع أهل الإساءة نعم.

س ٤/ يقول السائل: يا شيخ - بارك الله فيك - هل صحيح أن الولاية على قسمين:

ولاية عامة كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والقسم الثاني: ولاية خاصة وهي في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ج/ ولاية عامة وولاية خاصة.

لا الولاية إذا تحققت تدخل فيها جميع المعاني لكن الناس يتفاوتون في الولاية على تفاوتهم من حيث الإيمان وعلى تفاوتهم من حيث التقوى؛ يعني التفاوت في الإيمان والتفاوت في التقوى تجعل هناك تفاوتاً ودرجات عظيمة جداً في الولاية نعم لكن من حيث الجملة من آمن بالله وملائكته حقق أركان الإيمان واعتقدها وحقق تقوى الله على قدر استطاعته فهو داخل في الولاية لكن هل الناس على مرتبة واحدة في الولاية؟ لاشك أن الأمر ليس كذلك، فليسوا على مرتبة واحدة نعم.

س ٥/ يقول السائل: قلت يا شيخ حفظكم الله في الأصل الثالث - حفظكم الله - أن من أسباب اجتماع

الأمة الوقوف على فهم الصحابة وهم الجماعة وقد يقول قائل الصحابة اختلفوا فيما بينهم، فلماذا لا نختلف ونحن لسنا بأفضل من الصحابة؟

ج/ الصحابة اختلفوا في ماذا؟ عندما نقول الصحابة ونقول الجماعة يعني إجماع الصحابة يعني الأمور

التي نقلت إلينا مما يفهم منها اتفاق الصحابة أما اختلافات الصحابة في الأمور الفرعية أو في الأمور التي أقرها عليهم النبي عليه الصلاة والسلام، فهذه لا تعيننا ونحن عندما تكلمنا في اتفاق الصحابة واختلاف الصحابة نعي الاعتقاد.

والصحابه لم يختلفوا في مسائل الاعتقاد، لم يختلفوا في أصول الدين في أصول الدين ما حصل اختلاف بين الصحابة بل الصحابة متفقون على أصول الدين والاعتقاد هذا ليس محل اختلاف.

وهذا الكلام الذي تقوله أو تدعي أني أنا قلت ما أنا الذي قلت نبينا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أرشدنا إلى ذلك؛ بل ربنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أرشدنا إلى ذلك أيضا، فمتابعة الصحابة إذن المفروض أو يكون اعتراضك على كلام الله عز وجل وعلى كلام رسول الله كيف الله عز وجل يأمرنا بمتابعة الصحابة والصحابة اختلفوا، هذا لا شك أنه من باب سوء الظن الذي أبرء نفسي وأبرؤك أنت وأبرئ الحاضرين منه، هذا الكلام ما يقوله إلا أهل البدع وإياهم.

ربنا عز وجل أمرنا بمتابعة الصحابة، والرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أمرنا بمتابعة الصحابة، فلو كان الاعتراض واردا فالاعتراض يرد على كلام الله وعلى كلام رسول الله؛ لكن اعلم أن الصحابة لم يختلفوا في أصول الدين أصول الاعتقاد ما يؤول به الأمر إلى وحدة الأمة واجتماع الكلمة، لم يختلف الصحابة، اختلافاتهم جاءت في أمور فرعية، هذه لا تؤثر على الاجتماع ولا تفرق الأمة أبدا؛ لكن نحن نخشى من الفرقة التي تكون فرقة يعني في باب أصول الدين في باب العقائد فرقة لا يجتمع الناس فيها؛ بل يتناحرون ويتنازعون كما حصل الأمر عند أهل البدع والأهواء.

فالاعتراض أقول ليس واردا على ما قلته الاعتراض جاءك الأمر في القرآن في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء: ١١٥] الله عز وجل ذكر عن الصحابة أنه رضي عنهم إذن كيف يرضى عن الصحابة، والصحابة اختلفوا لا ما اختلفوا يا عبد الله، الصحابة ما عندهم اختلاف في أصول الدين الصحابة كانوا كلمة واحدة أمة واحدة دب الاختلاف في الأمة في أخريات أيام الصحابة، نعم شاهدوا الصحابة أدركوا بعض هذه التفرقات، أما الأمور التي حصلت في الأمة الآن لو سألناهم هؤلاء الذين يزعمون هذه الدعوى لو سألناهم أين اختلف الصحابة مباشرة يسوق لك حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة**)) هذا مثالهم نقول: هذه الاختلافات تؤثر في الأمة ولا تفرق الأمة نعم نحن نتكلم عن التفرق وعن الاتفاق في أصول الدين.

أما الفروع لا شك؛ بل هناك اختلافات بين العلماء والفقهاء والصحابة أصلها ومصدرها تعدد الأحاديث.

إذن فهل حديث رسول الله فيه اختلاف وتضاد، لا والله لا اختلاف فيه ولا تضاد؛ لكن ما كان من اختلاف التنوع كما قسم أهل العلم الاختلاف قسموا قالوا فيه اختلاف تضاد وفيه اختلاف تنوع لاختلاف الأدلة هذا ما يضر ولا يفرق الأمة.

الذي يفرق الأمة اختلافات التضاد الاختلاف الذي لا يكون معه اتفاق أبدا بل يكون سببا في تفريق الأمة وفي تمزيق الأمة نعم.

س٦/يقول السائل: لقد ذكرت إن جميع الخوارق تحصل في الدنيا تقول من أربعة أبواب ما هي الأبواب الأربعة؟

ج/ الخوارق التي تكون في الدنيا، كيف الخوارق تحصل في الدنيا؛ يعني هو يشير الخوارق تحصل في الآخرة؛ يعني كل ما يحصل عندنا باستقراء أحوالنا في الدنيا نعم:

خوارق الله - عز وجل - يجريها على أيدي الأنبياء الرسل - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فهؤلاء مع إظهار الخارقة كعصاة موسى مثلا تقتزن بها دعوى النبوة فيقول: إني رسول من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. إني نبي أرسلني الله - عز وجل - بعثني الله - عز وجل - إليكم ثم يريهم علامة من العلامات ولا شك أن هذه العلامة لا بد أن تكون خارقة حتى يصدق أنه نبي ثم يؤمنون به ثم يتابعونه فتكون الخيرية لهم في متابعتهم لهذا النبي فهذا نوع من أنواع الخوارق.

نوع ثان من أنواع الخوارق ما يقع في الدنيا مما يجريه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على أيدي الأولياء، هذه تابعة لكرامات الأنبياء ومعجزات الأنبياء؛ لأن صدقهم في متابعة الأنبياء كانت سببا لحصول تلك الكرامة لهم فالله عز وجل يؤيدهم ويكرمهم بما يظهره على أيديهم من خوارق العادات، أو من أنواع المكاشفات العلمية والتوفيق في أبواب الاجتهاد والفراسة وغيرها.

النوع الثالث من أنواع الكرامات ما جعله الله - عز وجل - فتنة على أيدي الفساق والفجار ومن أعلى وأقوى أمثلتها ما جعله الله - عز وجل - على يد الدجال، تعرفون الدجال يعني صاحب أعظم خوارق في الدنيا، لذلك يفتن الناس، يفتنهم عن دينهم، يفتنهم حتى عن عقولهم والثابت التي عندهم، تطيش وتضيع كما قال النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يخرج إليه الرجل ويظن أنه على درجة من الإيمان والتقوى فيذهب لمقابلة الدجال ومقارعة الدجال ثم لا يلبث إلا يسيرا فيصير تابعا من أتباع الدجال.

العلة ما هي؟ كثرة الخوارق التي جعلها الله - عز وجل - على يد من؟ على يد الدجال، يقول للسماء: أمطري فتمطر، يقول للأرض: أنبت فتنبت يقول للأرض: أخرج كنوزا فتخرج الكنوز من الأرض الذهب والفضة فينبهر الناس؛ يعني عنده من القدرات والخوارق.

وكذلك يكون على غير يد الدجال من الفساق والفجار على مر العصور فتنة للناس يعني يكون مبتدع والعياذ بالله، ثم تحصل له بعض الأمور وبعض الخوارق، ممكن تحصل هذا يكون من باب الاستدراج من باب الاستدراج لصاحبه، ومن باب من جرت على يده الخارقة ومن باب الفتنة لأتباعه، الأتباع يفتنون في دينهم، والرجل صاحب الخارقة يكون له استدراج من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وأيضاً هناك نوع رابع من أنواع الخوارق وهو ما يكون على أيدي السحرة والمشعوذين، طبعاً الفرق بين المشعوذ وبين المستدرج، المستدرج يريد الولاية يريد أن يثبت لنفسه الولاية والجاه، وأن يكون له أتباع يعظمونه في الدنيا.

أما الساحر والمشعوذ هذا لا يريد إلا كسب الأموال يعني يجعل العصا تطير أو يطلع لك حمامة هنا من جيبه هذه كلها خداع للأعين والأبصار؛ لكنها خوارق بالنسبة لنا فهي خوارق؛ ويعني يدخل في هذا أقول: كثير جداً يعني من الأمور التي تكون وأنتم تعرفونها؛ يعني في مدن الملاهي والألعاب السحرية وغيرها هذه كلها خوارق؛ يعني أمور نشعر أن في العادة في القدرات البشرية ما نستطيع أن نفعلها، هذا أيضاً نوع من أنواع الخوارق.

والتمييز بينها سهل كما ذكرت يعني ما يكون الاشتباه ولا يكون إلا في باب مدعي الولاية الذين يدعون الولاية فيزعمون لأنفسهم أنواعاً أو أعداداً من الكرامات والخوارق لأنهم يريدون الجاه ويريدون إثبات ولايتهم قبهم الله.

ومثل ما قلنا كما قال الشافعي رحمه الله: أنك إذا رأيت الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتر به؛ يعني لا تغرك لا تغتر بما معه من هذه الخوارق؛ لأن الخوارق حتى الشيطان معه خوارق يعني الآن قدرات الشيطان بالنسبة لنا إيش؟ خوارق، نحن ما نستطيعها هو يرانا من حيث لا نراه، ويسمعنا من حيث لا نسمعه، ينتقل في الدنيا انتقالاً سريعاً.

أمور في الدنيا كثيرة جداً بالنسبة لنا هي خوارق، خوارق معناها قدرات نحن لا نستطيعها لا نستطيع أن نفعل مثل فعله فالخارقة ليست محلاً وليست شرطاً للولاية؛ ولكن كما قال الشافعي: إذا رأيت كذا عرضوه عرضوا صاحب هذه الأشياء على الكتاب والسنة فالولاية موافقة الكتاب والسنة وليس إظهار الخوارق وإظهار هذه الأمور الخارقة بالنسبة للعامة. نعم.

س٧/ يقول السائل يا شيخ: هناك من يستدل بأن هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة بالحديث ((**من سن**

في الإسلام سنة حسنة))^(١)؟

ج/ ((**من سن في الإسلام سنة حسنة**)) ما مناسبة هذا الحديث أقول ذكرنا في درس من الدروس أن الله تبارك وتعالى أيد الأمة ووفق الأمة في معرفة الآيات ومعرفة الأحكام الشرعية، وكثير من هذه الأحكام تعرف أو تكون باباً للاجتهاد والقياس بسبب معرفة سبب النزول، أسباب النزول وأسباب ورود الحديث،

(١) مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، حديث رقم (١٠١٧).

وهذا علم دقيق جدا عند أهل العلم؛ بل هو الأصل؛ لأنك تعرف عندما تعرف سبب نزول هذه الآية تستطيع أن تقيس الأمور التي تجتمع مع هذه الآية في نزولها وسبب نزولها وحادثة نزولها.

فمعرفة أسباب النزول ومعرفة أسباب ورود الحديث باب عظيم جدا لمعرفة أبواب الاجتهاد والقياس فهذا الحديث متى ورد؟ هذا الحديث ورد عندما قام أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأتى بماله، وقام بعض الرجال وأتوا بمالهم وخاصة كان في زمن قحط وزمن جذب، الناس كانت تشح بأموالها ما كانوا يدفعون ما كانوا يتصدقون المال قليل جدا حتى قام بعض الناس وأتى بمال كثير ثم اقتدى الناس بهم فذهبوا إلى بيوتهم وأتوا بطعامهم وأتوا حتى أجمع مال واجتمع طعام عظيم، قسمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على فقراء أهل اليمن الذين كانوا سببا في هذا الحديث.

هنا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**من سن في الإسلام سنة حسنة**)) يعني من كان فعله سببا في إقتداء الناس به تأثر الناس بفعله، فقاموا واقتدوا بفعله؛ لكن هل هذا الفعل الذي فعله، ذلك الإنسان مسنون مشروع، أم أنه مخترع جديد، كونه يتصدق الصدقة، أنك تذهب إلى بيتك وتأتي بمالك وطعامك أقول: هل هذا الفعل كان فعلا يعني مبتدأ أم فعلا مشروعا؟ يعني عليه أدلة من الكتاب والسنة؟ نعم هذا مشروع هذا ((**من سن في الإسلام سنة حسنة**)) يعني كان فعله يعني مثل الرجل كان يؤثر في قومه يؤثر في جماعته يؤثر في أبنائه يؤثر في قبيلته، فإذا قام شيخ القبيلة قام أفراد القبيلة وتبعوه في هذا الفعل الحسن المسنون المشروع، هذا سبب ورود الحديث، وهذه يعني قصة الحديث.

ولا يلزم من ذلك أن يستن في الإسلام سنة لم تكن على عهد النبي ولا دليل عليها من حديث رسولنا أو من كتاب ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى نعم.

س٨/ يقول السائل: ...

ج/ ثم أنت اجمع بين هذا الحديث وبين حديث ((**كل بدعة ضلالة**))، هذا حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي قال هذا، وقال هذا، فإن كنت تدعي تناقضا بين الاثنين فالتناقض أين؟ يلزم من قولك أن في نصوص الحديث إيش؟ تناقضا وتعارضاً، ما فيه تعارض يا عبد الله ولا فيه تناقض أبدا في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**من سن في الإسلام سنة حسنة**)) يعني كان سببا اقتدى الناس بفعله فقاموا إلى فعل مشروع لكنه نُسي هذا الفعل أو شح الناس لهذا الفعل؛ لأنك أنت شددت يعني هذا بفعلك وإقتداء الناس بك فكنت سببا في حصول هذا الخير المشروع أصلا، أما غير المشروع فلا. نعم.

س٩/ يقول السائل يا شيخ: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**من سمع بالدجال فليأ عنه**)) هل يستنبط منه

البعد عن أهل البدع لأن أهل البدع لهم فتنة ؟

ج ٩/ لا شك هذا أظن ذكرناه هذه من الأمور الثابتة من أصول أهل السنة الدجال من سمع بالدجال فليئأى عنه يبتعد عنه لا تروح تقاتل وهذه طبعاً دلت على أصل عظيم من أصول أهل السنة نعم هجر المبتدع هجر أهل البدع والأهواء، هجر مجالس أهل البدع والأهواء هجر كتب أهل البدع والأهواء، أعيان أهل البدع والأهواء لا بد من هجرهم لا تقترب منهم ولا تجالسهم ولا تسمع لهم لذلك كان السلف هكذا لا يسمعون لأحد منهم لا يجالسون أحدا منهم ولا يناظرونهم ولا يناقشونهم ربما تعرض لك فتنة وشبهة تقع في قلبك ثم لا تستطيع أن تخرجها نعم. هذا هو الأصل.

س ١٠/ يقول السائل: في الأصل الرابع بين المؤلف رحمه الله فضل العلم والعلماء وترى الآن يا شيخ كثرة الطعن في علماء التوحيد نريد منكم يا شيخ تصحيح الخطأ الذي يقع فيه هؤلاء الناس بالوقوع في العلماء؟

ج/ أقول هؤلاء أتباع الشياطين وأتباع أعداء الأنبياء من الكفرة والجاحدين لأنهم اقتدوا بهم أقول: اقتدوا بهم، طعنوا في الأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لصد الناس عن دعوة الأنبياء، وما زال أتباعهم أو الذين يقتدون بهم هذا فعلهم وهذا حالهم مع علماء الأمة منذ القرون الأولى وإلى يومنا هذا.

فهؤلاء أقول: يعني لهم نصيب من هذه المتابعة والعياذ بالله وأما الواجب على طلاب العلم أن يميزوا، والتمييز كما قلنا فرق الله عز وجل بين الراسخين في العلم وبين المتخبطين في العلوم، فنعرفهم من خلال رسوخهم، من خلال ثباتهم من خلال معرفتهم بالكتاب والسنة، إرجاعهم المتشابهات إلى المحكمات، نعرفهم من هذه الأشياء فيجب أن نعرف منزلتهم وقدرهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولا بد أن يكون لنا موقف من علماء أهل السنة وموقف من علماء أهل البدع والأهواء أما أن نستجيب لهذه الصيحات أو هذه الطعنات فهذا لا شك هو سبيل الشيطان والعياذ بالله نعم.

س ١١/ يقول السائل يا شيخ: ذكرت في دروسك عن شيخ ألف رسالة اسمها اللامذهبية، فما المقصود باللامذهبية؟

ج/ يعني عدم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة، هذا مراده وإلا نحن فمذهبننا مذهب الصحابة، مذهبنا ما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه الصحابة؛ لكن مراد المؤلف ذاك قال: اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية.

مراده من حيث رسالته وما كتب أن الذي لا يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة، مذهب أبي حنيفة، أو مذهب الإمام مالك، أو مذهب الإمام الشافعي، أو مذهب الإمام أحمد، إن هذا أو الدعوة إلى عدم التمذهب بهذه المذاهب الأربعة أو حث الشباب على عدم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة أنها أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية فقط لو هو سأل نفس السؤال طيب وقبل المذاهب الأربعة هذه ما هو وضع الأمة؟

قبل وجود المذاهب في الدنيا يعني أبو حنيفة رحمه الله بعد المائة وخمسين من الهجرة وهو أول أصحاب المذاهب وآخرهم الإمام أحمد وفاته مائتين وواحد والأربعين طيب الأمة قبل المائة وخمسين على أي مذهب لم تكن على المذاهب إيش؟ المذاهب الأربعة ما كان لها وجود هل هم كانوا على أخطر بدعة؛ لأنه ما عندهم المذاهب الأربعة هذا القول لا يقوله عاقل أبدا هذا القول يعني خلاف السنة، الأصل في الإنسان أن يرتبط وأن يلتصق بسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لذلك نقول: أهل السنة والجماعة أي تتمذهب بما عليه السنة وبما تأمرنا به السنة والجماعة الصحابة، مدار كلمة الجماعة على الصحابة هذا مذهبنا وهذه طريقتنا وهذا منهجنا في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الكتاب والسنة على ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

س١٢/ يقول السائل: ما المقصود بالموازنة؟ الحسنات والسيئات.

ج/ نقول: اسأل أصحابها أفضل؛ يعني هم يريدون أنك إذا أردت أن تبين خطأ أحد من أهل العلم قبل أن تبين خطئه بين إيش؟ المواطن التي أحسن فيها، قبل أن تذكر إساءته وبدعته أذكر حسناته، إذن متى يحذر الناس، إذا أنت ذكرت له حسنات وذكرت له بدعة أو بدعتين؛ هل يحذر الناس من هذه البدعة، هذا مرادهم وهذا مرادهم أيضا عن حسن البنا وسيد قطب يقولون: أخطاؤهما أخطاء حسن البنا لهم عبارة يعني يقولون: لهم قطرة أو نقطة في بحر من الحسنات طبعاً القطرة والنقطة تضيع في البحر الواحد فكيف بالبحر؛ يعني هذا مرادهم أنك لا تذكر البدعة، لا تذكر الخطأ.

وهذا طبعاً قول فاسد لذلك ذكروا يعني مما استدلووا به على هذا المنهج أنه حتى الشيطان لا بد أن تذكر إيش؟ ما عنده من حسنات قبل أن تذكر سيئاته يلزمهم بل بعضهم قد ذكر النصوص عندما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صدقك فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر حسنة من حسنات من الشيطان أنه صدقك في هذا الموضع.

هذا يعني حتى ولو كانت ذكر حسنة، فنحن نقول: هذه الحسنة لبيان قبح تلك السيئة التي بعدها، فلا شك باب التحذير من أهل البدع والأهواء لا يلزم منه ذكر الحسنات، ذكر الحسنات، وذكر السيئات يكون في باب الترجمة.

أما إذا أنت كنت محذراً من كتاب أو من إمام أو من علم أو من مسألة فيلزمك بيان الخطأ فيها بما يقابله من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو من أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أما عدا ذلك فلا.

س١٣/ يقول السائل: هل نحذر من....أشراط الساعة؟

ج/ أقول لك: لاتحذر منهم، بدون ما تحذر منهم...تنكشف الغمة يظهر كذب إيش؟ هؤلاء؛ يعنيطلعوا صفحات كثيرة جدا في صدام حسين أنه هو السفيفاني، أنزلوا كل هذه النصوص لكن شوف سبحان الله نحن دائما نقول: هل ثبت في السفيفاني شيء عن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أولا ما ثبت؟ لكن

شوف الهوى؛ لكن هل يذكرون عدم ثبوت هذه النصوص والروايات قطعاً لا، لأنه يريد إيش؟ يريد المسألة هذه، ويبدأ يحلل ويبدأ يفصل في الأمور التي يراها ويترجم الواقع ويطابقها على تلك النصوص والنصوص لا ثبات لها، أنت أولاً أثبت النص ثم تعالى ابحث لها عن أرضية في الواقع، النصوص غير ثابتة، فيذهب كل حين يذكر إن لم تثبت هذه النصوص طيب وإن لم تثبت لا تشتغل فيها تذهب تسود الأوراق وتضيع الأوقات في مسألة لا ثبات لها لم؟ وبعدين هذا راح السفياي، وما حصلت الأمور التي بنوها من إن راح يهزم أمريكا ويهزم بريطانيا، والأمة تجتمع يجمع الأمة الإسلامية ويقودها إلى العز وإلى الشرف ويغزوا هو يصير يغزوا بلاد أمريكا كل هذا ما حصل راح الصدام وراح الصحاف وكلهم راحوا وما حصلت النبوءات كلها التي انتظروها.

فبدون ما تحذر منهم طالب العلم المفروض يميز الذي يتكلم في مثل هذه الأمور، رغم ضعفها ورغم ركاكتها وعدم ثبوتها لاشك هؤلاء أنت شوف القضايا العلمية شوف القضايا الاعتقادية تكلم فيها تحدث فيها أما تروح تشتغل وقتك كل هذا بأمور غير ثابتة شرعاً.... مثل ما ذكر.. نعم أقول: تترك يعني إن شاء الله ما يأثمون الإثم العظيم لكن يوجهون إلى تركها.

س ١٤/ يقول السائل:...

ج/ أما في الآخرة فليس لنا، الآخرة هذه ليست لنا أبداً، قبل قليل يعني قلنا: لا نحكم ولا نشهد لمعين لا بجنة ولا بنار؛ لكن نحن عندنا الحكم في الدنيا من باب المتابعة كما قلنا: باب الإخلاص ليست لنا ولكن باب المتابعة.

فنقول: إذا كان كما ذكر السائل كونه يقع في الشرك جهلاً يقول: وقع في الشرك جهلاً منه؛ يعني ما يعرف أن هذا الأمر شرك إن كان هذا فيه بعض الأمور التي يلتبس فيها الأمور، ذكر كثير من أهل العلم إن هذا مما يعني يعذر صاحبه بجهله فيه، وبعض أهل العلم شدد في هذه المسائل أنه لا عذر لأحد أن يمارس شركاً أو كفراً.

لكن الصحيح إن كانت المسألة دقيقة بحيث أنها لا تدرك فهذه ممكن أن الأصل فيها العذر بالجهل، أقول: على خلاف في هذه المسألة بين أهل العلم؛ لكن الصحيح والراجح أن الجاهل يعذر ويعرف ويدرك الجاهل وربك تبارك وتعالى، ربك يعرف إن كان هذا فعل ذلك جاهلاً أم عالماً عامداً فهذا علمه عند الله نحن لا شك الجاهل وغير الجاهل ما دام رأينا يمارس شركاً أقول: الذي علينا هو نصحه وبيان الأمر له وبيان الحكم له وإقامة الحجة عليه هذا يلزمنا.

وأما أنك تحكم عليه أنه في الآخرة كذا أو كذا لا بالعكس بل نرجو له العذر عند الله - تبارك وتعالى - ونسأل الله أن يعذرنا ويعذره لأنه يحصل لا شك أنه يحصل سواء كان الشرك الخفي أو الشرك الجلي هذا

كله قد يقع فيه بعض الناس جهلاً أو مما اعتاده الناس في بعض البلاد وغيرها لرؤيتهم كثير يعني ممن يثقون بعلمهم ودينهم يقعون في مثل هذه الأمور فتكون سبباً لغوايتهم وسبباً لجهلهم هذا يحصل فعذر الله ورحمة الله عز وجل لا شك أنها أوسع بكثير جداً وهو سبحانه وتعالى أرحم بخلقهم من الأم بولدها.

س ١٥ / يقول السائل: يا شيخ حفظكم الله والذي يخرج مع جماعة التبليغ وهم يذهبون إلى دول الخليج فقط، فماذا أفعل معه يا شيخ بارك الله فيكم؟

ج/ اقرأ عليه كلام الشيخ عبد العزيز بن باز عليه رحمة الله، كلام شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز عليه رحمة الله قال: جماعة التبليغ يعني ناس لا شك ما عندهم ذاك العلم ولا يعتنون بالنواحي العلمية ولا بأمور التوحيد والاعتقاد، وهذا معلوم وهذا معروف يعني يعرفه من خبرهم؛ ولكن عندهم ذكر فضائل وذكر غيرها ما فيه بأس إن كان كبار سن وكذا.

أما الخروج معهم لا يخرج معهم الناصح من أراد أن ينصحهم من أراد أن يبين لهم، أما يخرج حتى هو يستفيد، ما راح يستفيد علم أما يجلس في مجالس هنا يتعلم فضائل تتعلق بالإسلام ما فيه مانع أما تخرج معهم فإن تكون خرجت حتى تعلمهم نعم، وحتى تنصحهم وتبين لهم الأخطاء التي عندهم نعم، غير هذا لا، لا تخرج نعم، ولا تضيع وقتك ولا جهدك .

س ١٦ / هذه سائلة من فرنسا تقول: أبوها يمنعها من ارتداء الحجاب ومن أداء الصلاة، فما حكمها وكيف تصنع وهل يجوز لها أن تترك البيت علماً أنها إذا تركت بيت أبيها سوف تبقى بلا محرم وحيدة ووالدها يريد أن يزوجه بكافر غير مسلم.

ج/ والله نقول لها: اتقي الله ما استطعت ولكن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، الحجاب ارتديه والصلاة صليها، ولا تستجبي لا للوالد ولا للوالدة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والزواج كذلك أنت مخيرة إن كان ابن العم هذا يعني على الكفر والعياذ بالله فلا يجوز أبداً ولا تقبلي، ولعله من رحمة الله أنك في فرنسا، لأنه الآباء ما يستطيعون يجبرون أبناءهم ولا بناتهم على شيء هناك ولا على سلوك، اشتكى عليه عند حقوق الإنسان أو حق المغفر عندكم في فرنسا أن هذا الوالد يجبر أو يضرب يعني أو يعاقب ابنته هذا الأب يشتكى عليه، هذا الأب يشتكى عليه حتى يؤدب إن كان يجبر ابنته على الكفر، والعياذ بالله عدم الصلاة معناها كفر، نحن ما نقول لها: أخرجي؛ بل اجلسي واستفيدي يعني من نفقته غصبا عليه لا بد ينفق عليك واستفيدي من هذا حتى الله - عز وجل - يجعل لك المخرج مع الدعاء إلى الله - تبارك وتعالى - انصحيهم قدر ما تستطيعين؛ لكن إن ما استجابوا لا للنصيحة ولا للاستغاثة ما استجابوا لك ما عليك إلا الجهاد تشتكين عليهم حتى يؤدبوا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الله يعينا وإياك. نعم.

س ١٧ / يقول السائل: هل يجوز الصلاة جماعة ثانية في مسجد فيه إمام راتب ؟

ج/ نعم يجوز، بدون تعمد يجوز؛ يعني المنهي عنه قال الشافعي رحمه الله عليه وغيره: إن هذا من باب يعني عدم الصلاة خلف الإمام الراتب مما يؤدي إلى نفرة القلوب أو تفرق الناس أو غيره؛ لكن الحاجات الناس مثل اليوم الحاجات الملحة يتأخرون عن الصلاة فإن حصل أقول اتفاقاً، ما فيه مانع تقام الجماعة الثانية.

والدليل موجود كون دخل أحد الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ وَتَعَالَى عَنْهُ - دخل فالتبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. الصحابة الذين صلوا قال من منكم يتصدق على أخيه يصلي معه أقيمت جماعة ثانية بعض الناس يشترط للجماعة الثانية أن يدخل فيها واحد يعني من الذين صلوا في الجماعة الأولى، لا ما يشترط الشاهد أنه أقيمت جماعة ثانية وأقرأها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لذلك الشافعي رحمه الله وغيره يحملها على هذا أنه ما هو يقصد ما يكون قصدا عمدا لثلاث تتنافر القلوب مع الإمام الراتب وغيره، فهذا ما فيه مانع جائز نعم. بعض المساجد تحتاج إلى ثلاث جماعات أو أربع جماعات مثل الأسواق أو غيره ما فيه كله ما فيه مانع جائز نعم

س١٨/ يقول السائل: هل يكون المفروض إذا رفع من الركوع أن يقول سمع الله لمن حمده؟

ج/ إذا كان يصلي بمفرده نعم، أو إذا فاتته شيء مع الإمام فيما يتم يعني فيما يكمل من صلاته نعم، يقول: سمع الله لمن حمده؛ لكن إذا سمع الإمام يقولها هو يعيدها هو يرد على الإمام يقول: ربنا ولك الحمد نعم.

س١٩/ يقول السائل: هل كان الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعجن في الصلاة، وهل في كل ركعة أو في القيام من التشهد الأول؟

ج/ هي اللفظة بين العاجز وبين العاجن لكن بعض أهل العلم ذكر العجن يعني كونه يضع يده هكذا ثم يقوم والبعض الآخر قال: لا يشترط ونقول الأمر هذا فيه سعة هذه من الأمور التي يعني يسع فيها الخلاف فمن اعتمد العجن وعجن وقام كما يقوم العاجن الذي يعجن الطحين ومن اعتمد العجز وقام على بطن كفه له ذلك هذا سائغ وهذا سائغ نعم. لا في كل قيام يقوم معتمدا على يده نعم.

س٢٠/ يقول السائل: هل يقدم المصلي عند السجود اليدين أم الركبتين؟

ج/ هذا أيضا مما يسع فيه الخلاف، أعني بعض أهل العلم وعليه شيخنا الألباني رحمه الله عليه أنه يقدم يديه والشيخ عبد العزيز وغيره يقول: لا يقدم إيش يقدم ركبتيه فمن فعل هذا يعني مقدما أو مرجحا هذه الرواية، ومن فعل ذاك مرجحا تلك الرواية، فالحمد لله الأمر فيه سعة نعم.

وهذه من الأمور التي ما ينكر فيها أحد على أحد هذه الأمور فيها سعة هذا من اختلاف التنوع نعم.

س ٢١/ يقول السائل: يا شيخ في حالة حدوث خلل في خطبة الجمعة، هل يجوز من الخطيب أن يطلب من أحد المصلين إصلاح الخلل.

ج/ خلل في إيش في كهرباء مثلاً.

السائل: نعم

ج/ طيب ما فيه مانع يجوز إذا كان إصلاح الخلل فيه صلاح الخطبة وصلاح الصلاة من حيث استماع الناس إلى ميكرفون أو غيره ولهذا نعم.

أما إذا كان ما له علاقة بالخطبة ولا فيه مصلحة تترتب عليها من حيث الخطبة وسماع الناس للخطبة فتركها أولى نقول: إن كان هذا العمل يعني فيه صلاح الخطبة من حيث استماع الناس لها أو وضوح السماع أو غيره هذا نعم جائز، وهذا من إتمام الصلاة ومن إتمام الخطبة، أما إذا كان ما له علاقة بالخطبة لا شك تركها أولى؛ لأنها تعتبر من اللغو نعم.

س ٢٢/ يقول السائل: رجل مسافر أدرك التشهد الأخير مع الإمام المقيم فهل يتم أو يقصر؟

مع الإمام مقيم ورجل مسافر؟

ج/ إذا دخل مع الإمام فحكمه حكمه، يعني المأموم إذا دخل مع الإمام فحكم صلاته حكم صلاة الإمام ((إنما جعل الإمام ليؤتم به))^(١) ما دام دخلت مع الإمام والإمام مقيم فأنت صلاتك صلاة مقيم صلّ أربع، ما تصلي ركعتين هذه ما خالف فيها إلا أبو محمد بن حزم عليه رحمة الله قال: حتى ولو دخل مع إمام مقيم فإنه يصلي قصراً وجوباً. ويعد المخالف في هذا أنه يأثم، وأن صلاة باطلة؛ يعني المسافر عنده إذا صلى صلاة مقيم صلاته باطلة؛ لكن الجمهور على هذا إنك إذا دخلت يلزمك حديث ((إنما جعل الإمام ليؤتم به)) فدخلت مع الإمام تصلي صلاة الإمام أربع ركعات نعم.

س ٢٣/ يقول: هل يجب على طالب العلم أن ينبه على أخطاء يقع فيها المصلون؟

ج/ نعم يجب لاشك، هذه من النصيحة، هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصح وتعليم الناس لا بد أن ينبه الناس على الأخطاء التي عندهم، إذا عندهم أخطاء أولاً يتثبت أنها أخطاء ثم ينصحهم، نعم ينصحهم سرا أو ينصحهم نصيحة عامة في المسجد.

من الناس من يفعل كذا كما كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هذا أدب النبوة من آداب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أدبنا وعلمنا بها أنك تقوم وتتكلم أن فيه أناس لا تشير إليه ولا تبينه على وجه

(١) البخاري: كتاب الأذان، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، حديث رقم (٨٠٥).

مسلم: كتاب الصلاة، باب إتمام المأموم بأفهام، حديث رقم (٤١١).

الاختصاص، يكون كلام عام من الناس من يفعل كذا وهذا خطأ بحكم كذا بدليل كذا، هذا ما فيه مانع جازر هذا هو الأصل، نعم بل هذا الواجب نعم.

س٢٣/ يقول السائل: بعض الشباب يصومون الاثنين والخميس ويقوم كل واحد منهم بإحضار الطعام ويفطرون فما حكم ذلك؟

ج/ ما فيه مانع على أن ما يكون هو الأصل عندهم لكن كونه يحصل اتفاقاً يفطرون سواء أو يجتمعون على الطاعة ما فيه مانع لكن ما يكون شيء يعني مرتب بحيث أن من خالفهم أو من لم يوافقهم في الاجتماع أو في الطعام يعاقب أو كذا، لا ما فيه مانع نعم.

س٢٤/ يقول السائل: يا شيخ أنا لم أصل العصر لعذر وجاء وقت المغرب هل أصل المغرب ثم العصر أو أصلي العصر ثم المغرب؟

ج/ إذا صليت المغرب يلزمك بعد هذا أن تعيد طبعاً أنت تصلي العصر وبعد العصر ترجع تعيد المغرب؛ يعني تدخل مع الإمام إذا دخلت مثلاً وأنت... بعد أن دخلت المسجد الصلاة أقيمت والناس مجتمعين لصلاة المغرب تذكرت أنك ما صليت العصر فنقول: هنا تدخل معهم وهذا كلام جمهور أهل الفقه تدخل معهم بنية التطوع لبركة الجماعة وحضور الجماعة وعدم إحداث بلبلة في المصلين ثم بعد ذلك تصلي لوحدهك العصر ثم تعيد المغرب؛ لأن ترتيب واجب، ترتيب الصلوات، ما يصلح أن الإنسان يصلي المغرب، وهو ما صلى العصر ما يصلح أنك تصلي العصر وأنت ما صليت الظهر، الترتيب واجب.

نعم فيجب عليك أنك تدخل معهم وتصلي بعد ذلك تعيد العصر وتعيد المغرب، أو تدخل معهم بنية العصر وإذا سلم الإمام في الثالثة تقوم تأتي بركة رابعة؛ ولكن هذه قد تحدث إشكال الناس يرونك أو غيره هذا صلى معنا وكيف قام يصلي بعد ركعة؛ لكن إذا كان ما ينتبه لك في هذا يعني ما يعرفونك الناس وما تعرف الناس ما فيه مانع وفيه ناس غيرك يقومون قوم معهم فلا بد الحفاظ على ترتيب الصلوات أمر واجب نعم.

س٢٥/ يقول السائل: يا شيخ ما هو الأفضل الصدقة الجارية أو كفالة اليتيم؟

ج/ هذه كلها من الصدقات الجارية، أقول كلها من الصدقات الجارية ما دام هذا اليتيم باقي فما تصدقت به هذه تعتبر صدقة جارية بالنسبة لك، لكن كما يذكر أهل العلم يعني كل واحد بحسب الحاجة، أنظر الآن الناس ماذا يحتاجون في هذا المكان يعني بعد الحروب بعد كذا كثرة الأيتام تكون كفالة الأيتام أولى من غيرها؛ لكن إذا قل الأيتام وفيه من تكفل بهم نعم تنظر إلى موطن آخر من مواطن الصدقات نعم.

س٢٦/ السؤال الأخير يقول: ما هي الطريقة الصحيحة التي يجب إتباعها في هداية العوام إلى النهج

الصحيح؟

ج/ والله يا شيخ العوام إن شاء الله هم عن المنهج السلفي تربطهم بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة.

يجب أولاً أن تحب في قلوبهم كلام الله، ثم سنة رسول الله، ثم الموقف من الصحابة حب الصحابة لا بد أن يكون في القلوب.

تربطهم بهذه الأشياء بعيداً عن التعصب وعن غيره هذه إن شاء الله كلها تبين لهم، وهذه هي الفطرة يعني هذه الدعوة وهذه العقيدة وهذا المنهج مما يوافق الفطرة، فتبين لهم وتبين محاسن هذه الدعوة وتبين بجانب هذه الدعوة للتفرق والتشتت والتمزق وغيرها وهذه إن شاء الله دعوة توافق الفطرة. نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله

هذا الشرح المبارك

الفهرس

٢	الدرس الأول
٢	[مقدمة]
١٤	الدرس الثاني
١٥	الأصل الأول
٣٣	الدرس الثالث
٣٣	الأصل الثاني
٤٩	الدرس الرابع
٦٦	الدرس الخامس
٦٦	الأصل الثالث
٨١	الدرس السادس
٨١	الأصل الرابع
٩٧	الدرس السابع
٩٧	الأصل الخامس
١١١	الدرس الثامن
١١١	الأصل السادس
١٢٦	الدرس التاسع
١٤١	الفهرس

